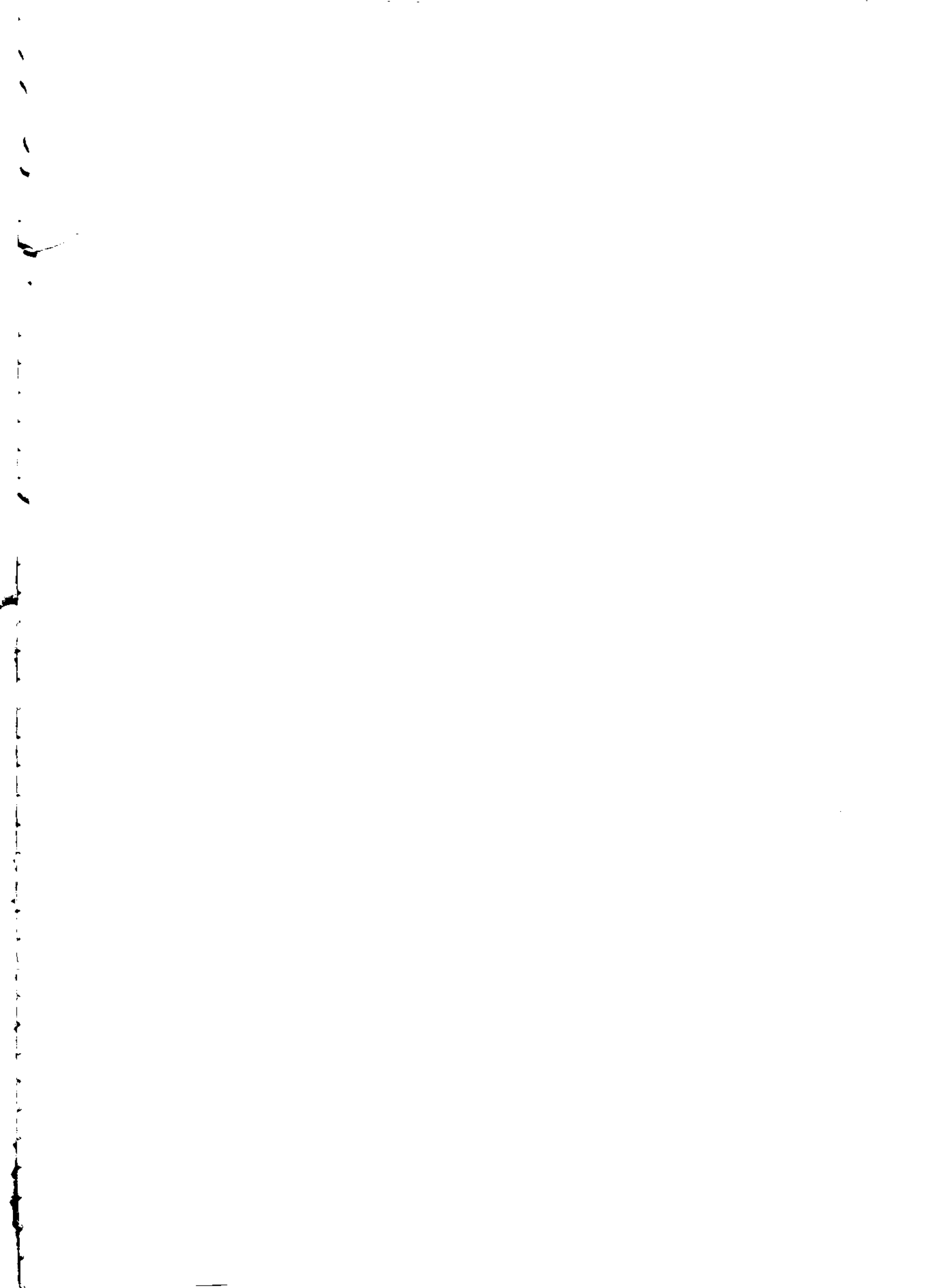

تاريخ البرامكة





تأليف:

الدكتور عبد الله الفياض

١٩٤٨م - ١٣٦٧هـ

مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	DS38.6 .F39 2019
المؤلف الشخصي:	الفياض، عبد الله – مؤلف.
العنوان:	تأريخ البرامكة /
بيان المسؤولية:	المؤلف، فياض، عبد الله، ١٩١٧-١٩٨٤
بيانات الطبع:	الطبعة الاولى.
بيانات النشر:	كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٠ / ١٤٤١ للهجرة.
الوصف المادي:	١٦٦ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر:	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧١٧).
سلسلة النشر:	(مركز كربلاء للدراسات والبحوث ؛ ١٣٢).
تبصرة بيليوجرافية:	يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٥٧-١٦٢).
مصطلح موضوعي:	البرامكة – تاريخ.
موضوع جغرافي:	العالم العربي – تاريخ – العصر العباسي الاول.
مصطلح موضوعي:	العباسيون والفرس.
مصطلح موضوعي:	البرامكة – الاحوال الاجتماعية.
موضوع شخصي:	هارون الرشيد، هارون بن محمد بن المنصور، ١٤٩-١٩٣ هجريا.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز كربلاء للدراسات والبحوث . جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية





الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الكتاب: تأريخ البرامكة

المؤلف: د. عبد الله الفياض

الاشراف العلمي: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الطبعة: الاولى

السنة: ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

جمهورية العراق/كربلاء المقدسة

00964 7719491210
00964 7814187625

www.c-karbala.com

info@c-karbala.com
karbala.center1@gmail.com
karbala.center1@yahoo.com

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٢٧٠٣) لسنة ٢٠١٤م



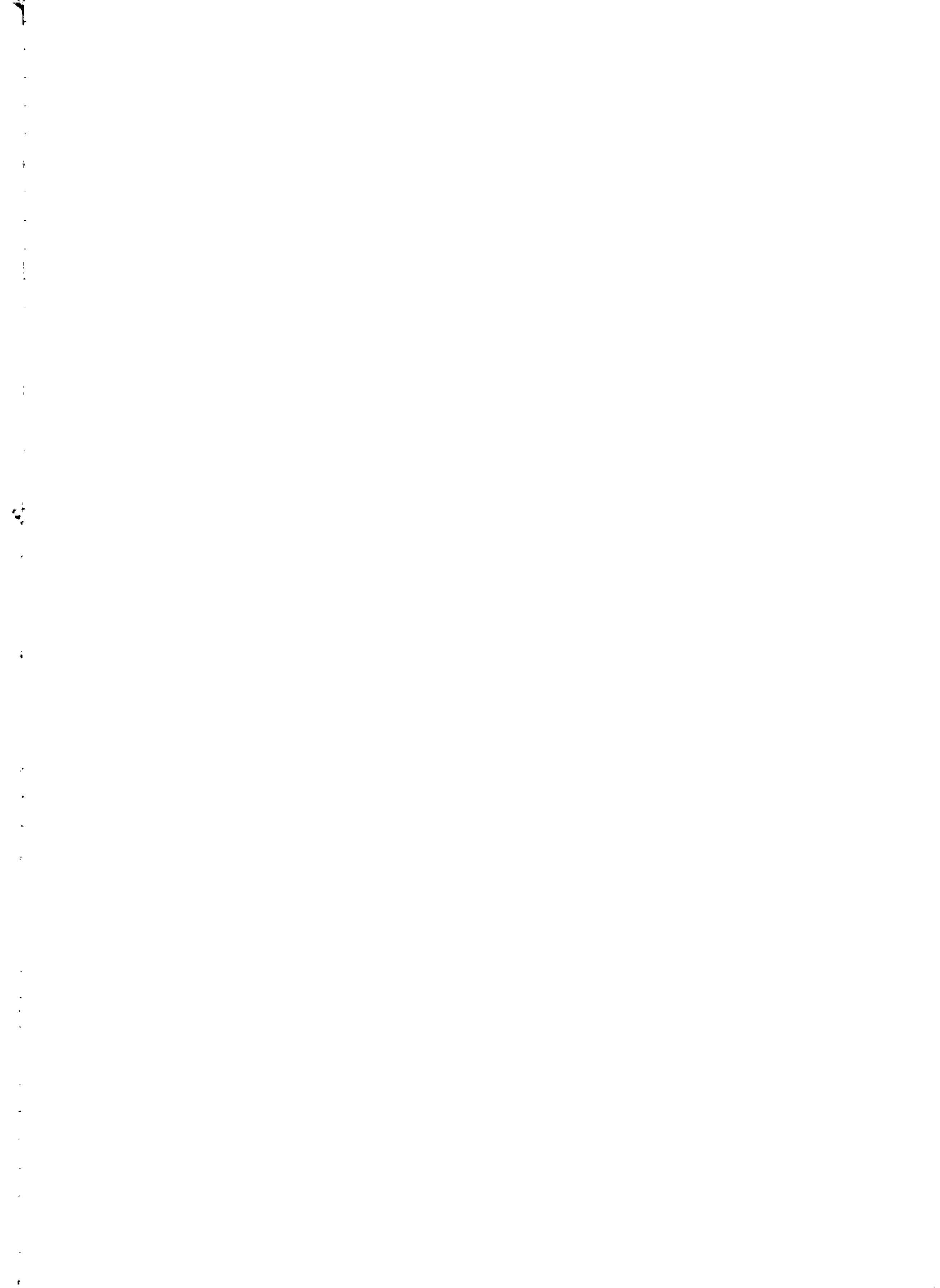

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أتقدم بكتابي هذا الى أساتذتي الأفاضل الذين تلقيت منهم التوجيه والإرشاد.

وأخص بالذكر منهم أستاذي الفاضل الدكتور عبد العزيز الـدوري الذي كان لإرشاداته وتوجيهه أثر كبير في أخراج هذا الكتاب.

المؤلف



المقدمة

بقلم الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري...

تستهدف المقدمات إلى واحد من أمور منها تعريف الناس بالكاتب، وهذه مسألة لا ضرورة لها، فالكتاب يعبر عن شخص الكاتب وثقافته وميوله واتجاهاته، بصورة مقصودة أو بطريق لا شعوري بين ثنايا السطور.

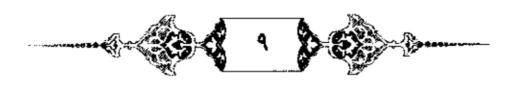
ومنها إعطاء رأي بموضوع الكتاب أو بقيمته، وأنا في غنى عن هذا، ويكفي ان تلقي نظرة على ما مراجع الكاتب من مصادر ومراجع، وعلى ما عرض من آراء لتعرف مدى الجهد الذي بذله.

ومنها أن تعطي المقدمة نظرة شاملة، مشتبكة الخيوط لتظهر ملابسات الموضوع، وتشعباته وأثره لتوضح للقارئ في اقتضاب جوهر الموضوع ونقاطه الحيوية. وقد يقع واضع مثل هذه المقدمة في ورطة إيجاز ما ذكر في ثنايا الموضوع فيستوعب وقتاً ويسود صحائف لا تغني ولا تفيد.

فلتكن المقدمة شاملة شمولاً يدخل القارئ إلى الموضوع ويسهل عليه فهمه ما أمكن بإيجاز.

كانت فترة نشاط البرامكة في العصر العباسي الأول، ومسرح فعاليتهم العراق والقسم الشرقي من الخلافة. فعلينا أن نفهم الجو الذي أحاط بهم لندرك أثرهم الحقيقي ولو بصورة تقريبية.

فالعباسيون جاؤا إلى الحكم على اثر دعوة وجهت من الحميمة، وبذرت البذور في



العراق، وأثمرت في خراسان. ولم تتخذ أسلوباً واحداً، ولا بشرت ببدأ معين، باستثناء الدعوة الى آل البيت كصيحة سياسية، والوعد بالسير على الكتاب والسنة كدستور في الحكم. بل وعدت الدولة كل جماعة بحل مشاكلها وإزالة مصادر التذمر عندها فكانت وعودها عسيرة التحقيق من ناحية، متضاربة بتضارب مصالح الجماعات التي انضمت إليها من ناحية أخرى. وهل يمكنها التوفيق بين سيادة العرب وطوح الفرس وبين مصالح الجماهير الفارسية المرهقة وبين مصالح الأرستقراطية الفارسية، وبين تطلع العباسيين إلى الحكم وبين طموح العلويين، أو بين الديانات المجوسية التي رفعت رأسها وبين الإسلام أو بين الغلاة المصبوغين بصبغة إسلامية وبين جوهر الدين الإسلامي؟

ولقد أثارت الدعوة العباسية قوى كامنة مكبوتة عند الشعوب الأعجمية، وخاصة الفرس ونمتها وجهتها، إذ أثارت النعرة القومية عند الفرس وذكرتهم بمفاخر أبائهم وبسلطانهم القديم وجعلتهم يتحمسون لإرجاع ذلك المجد الذاهب واستعادة السلطان المفقود وكانت تلك النزعة تتمثل عند الأرستقراطية والمثقفين خاصة،فالأرستقراطية الفارسية كانت عماد السيادة الساسانية، وزهرة المجتمع الطبقي الإيراني العنيف، فهي تطمح الى سلطانها وتعاونت مع العباسيين لأنهم وعدوها بإشراكها في السلطان والسياسة والمثقفون يريدون السيادة الذاهبة لأسباب عاطفية أو مثالية وأقل ما يحدوهم التحرر من سلطان غريب ومن سيادة دين الإسلام الذي غمر أديانهم وثقافتهم، وكاد يمحو لغتهم والبرامكة، سادة بلخ، وسدنة النوبهار في مقدمة هذه الطبقة.

والدعوة العباسية أثارت آمال الطبقة العامة، بوعدها بتخفيف ثقل الضرائب عنها، وبإزالة الضغط الاجتماعي عنها، وبتحريرها من تحكم الأرستقراطية وبتحقيق العدل الاجتماعي لها، وأثارت عند جماعات خاصة منها، وهي جماعات الخرمية والفلاة وآمالا أخرى.

فهذه الجماعات تكون فروعاً وبقايا لحركة مزدك الأشتراكية التي نشأت في المجتمع

الساساني احتجاجاً على الأستقلال الاجتماعي الأقتصادي العنيف وثم على النظام الطبقي القائم آنذاك وكونت لها برامجها الأجتماعية الأقتصادية الحاكمة لتحقيق أهدافها.

فلما جاء الفتح الإسلامي وتوالت الأحداث بقيت كامنة راكدة ولم تتغير وضعيتها بشكل يذكر ولم تجد في الوضع الجديد ما يحببه إليها اللهم إلا تلك المبادئ السامية التي دعى إليها الدين من مساواة وعدل بين أصحابه وهذا فتح لها باب الأمل فتلبست بثوب الإسلام لتحقيق غايتها ولكن آمالها تحطمت تجاه سياسة الأمويين العرب فوجهت سخطها الأمويين وعلى العرب وأكتسبت حركتها الأجتماعية شكلاً قومياً وهي في الأصل بعيدة عن القومية وعن أتجاهاتها. مثل هؤلاء شجعتهم الدولة العباسية وأستغلتهم وماذا ينتظر منهم أن يفهموا في الآية نقشها أو مسلم على نقوده (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم الأئمة ونجعلهم الوارثين)، وهل يستغرب أن يفهموا بهذه الآية أنهم هم المقصودون بالمستضعفين؟ وهل يستغرب أن يرى عامتهم في أبي مسلم (المنقذ) الذي جاء لتخليصهم، فيؤلهوه، أو يره على الأقل فوق مستوى البشر؟

وجاء العباسيون إلى الحكم، ولا ينتظر إلى أن تنتهي الآمال المتعارضة التي أثاروها بل لابد من استمرارها ولكن باتجاهات توقفت على موقف العباسيين.

فقد أمل هؤلاء أن يزيلوا الأنقسام العنصري الذي مزق سياد الأمويين، بخلق جو من التعاون بين الفرس والعرب ليتم الأستقرار، فأشركوا الأرستقراطية الفارسية في الحكم وقربوهم فلم يربحوا الفرس، ونفروا العرب.

فالعرب سادة الإمبراطورية وكيف يرضيهم إشراك الموالي! ونسي العباسيون أن مركز دولتهم العراق لا خراسان والعراق فخور بعربيته الم يكن العراقيون من أحفاد القبائل التي أحتجت على المختار حين أعطى الموالي.....، مستنكرين مساواتهم بالموالي ((وهم



فيء آفاءه الله عليهم وهذه البلاد العراق))!

وعامة الفرس لم يروا تغييراً يذكر فالضرائب أستمرت وفق الأسس التي يضعها نصر بن سيار لم يغيرها العباسيون وكل ما عملوه تنظيمها بصورة أدق، والنظام الطبقي الإيراني لم يتغير، وبقي التذمر على وضعه وإنما ازداد تنظيماً وأتساعاً بالحركة الفكرية التي فسحها العباسيون الأولون هذا مع دعاية ابي مسلم التي جعلت الزردشتية يرون فيه خليفة زردشت وجعلت الخرمية يرون فيه زعيمهم الشعبي المنتظر وكلهم يرى فيه المنقذ من سيادة العرب ومن الأوضاع القائمة فتنتشر الثورات بعد مقتله وجلها ينادي بأسمه ويمجد ذكراه، وترهق العباسيين بالمال والرجال لإخمادها وتنزل بمشروع العباسيين الإسلامي مشروع التعاون العربي الفارسي الضربة القوية، فيزداد الجو توتراً والمجتمع مرارة و تناحراً.

والأرستقراطية الفارسية لم يكن طموحها قاصراً على الأشتراك في الوظائف هذه كانت مراميها أبعد وأمر.

فأبو سلمة الخلال يحاول استغلال طموح كل من العباسيين والعلويين في آن واحد، ولماذا؟ لقد صمتت عن ذلك كتب التأريخ، وأبو مسلم ينشئ له كياناً في خراسان يهدد كيان العباسيين وينافس سلطان الخليفة ويتدرج إلى عصيان أوامره فلا يقدم إلى الخليفة رغم تكرر طلبه، ويقصد الذهاب الى خراسان، ولماذا؟ لأنه كما قال بعض المؤرخين، يقصد الأنفصال عن بني العباس.

والبرامكة انفسهم أتهموا في خلافة المنصور وفي خلافة الرشيد بالتعصب للفرس ولمجد فارس، وأتهموا باستغلال النزاع العلوي العباسي لضرب الطرفين فهم يشجعون يحيى بن عبد الله العلوي، وهم يقبضون عليه وهم يتظاهرون بحماية الإمام موسى الكاظم وهم يلعبون الدور الرئيسي في إيصاله الى خاتمة حياته وأن يقترحون على الرشيد

سم إدريس بن عبد الله منشئ دولة الأدارسة.

وهم يتقربون الى الرشيد في عيد برأس علوي فتثور ثائرته لتلك الجرأة وهم يكيدون للرشيد!

وهل ينتظرون العباسيين إلا حراسة سلطانهم من أنصارهم أنفسهم، الذين قلبوا الآية وأستحالوا من أعوان إلى فراعين!

وفي حين يريد الخلفاء جو أنسجام وتعاون، يحصل الخلاف والدس حتى في الحاشية ويحصل تكتل بين الفرس للأستئثار بالسلطان، ويسير البرامكة على خطة تقريب الفرس وأقصاء العرب بمختلف الوسائل، ولا يعدمون رمزاً يتخذون منهم وسيلة لتمشية خطتهم وهو الأمير الشاب المأمون فيدفعون الرشيد الى البيعة له لأنه أبن أختهم كما قال الفرس، ويحيطونه بالفرس حتى المجوس منهم، كالفضل بن سهل الذي اسلم في هذه الفترة! ويوقعهم تنفذهم في هفوة واحدة كان لها الأثر الواضح في أنهيارهم وهي أنهم كونوا عصبة خاصة من الفرس من مقربيهم بالدرجة الأولى، وهذا ابعد عنهم بعض العناصر الفارسية في البلاط، مثل علي بن عيسى بن ماهان، فتدس عليهم لتتخلص منهم وتتعاون مع الكتلة العربية التي تكونت لتحفظ بعض النقود والسيادة للعرب فهل من خطر يهدد السيادة العربية أكثر من خطر الأنقسام والدس بين حاشيتهم؟

ولم يقتصر النضال بين العرب والفرس على هذه الثورات المسلحة ولا على تلك الدسائس، بل دخل ميداناً أخطر وأعنف، وهو ميدان الفكر والثقافة والمجتمع فقد ظهرت الميول القومية الفارسية في حركات أجتماعية فكرية عنيفة كما في الحركة الشعوبية، التي كانت تهدف الى ضرب الكيان العربي وتهديم أساسه، فقد بدأت هذه الحركة زمن السيادة العربية الأموية باسم الدين الإسلامي تنادي بالمساواة الإسلامية ولا ترضى بتفوق العرب على الفرس وشعارها الظاهر (أنما المؤمنون أخوة) فلما فسح المجال أمامها



في العصر العباسي، أخذت تهاجم العرب وأتخذت طرق متقاربة، فقد وجهت نقدها اللاذع الى عرب قبل الإسلام عرب الجاهلية لأنهم أصل العرب الحاكمين، ولأنهم كانوا قبيل الإسلام في مرحلة بدوية من ظاهرها، ومهاجمة القبائل البدوية أسهل من مهاجمة عرب العصر الإسلامي المتفوقين في الحضارة، كما انها تريد بذلك ظاهراً تجنب الاصطدام بالإسلام الذي تريد التستر به، وذهبت تشوه تأريخ العرب وتدس عليهم وتتلاعب بأنسابهم، وتختلق الأدب والشعر الذي يعينها على برهنة حججها، ولم تتورع حتى على اختلاق الحديث لتحقيق غاياتها. ثم هي تترجم من اثار الفرس وتنسب للفرس أشياء لا أساس لها وتحاول جعل كل حضارة وثقافة فارسية في الأصل، تريد بذلك أن تغض من العرب ومن سيادتهم وتأريخهم.

ولكن الشعوبية لا تقف عند هذا، بل يذهب المتطرفون وغير المسلمين من انصارها الى الغض حتى من الإسلام الذي أظهر الأمة العربية في التاريخ والذي كان سبب سيادة العرب. فتظهر حركة زندقة قوية واسعة، تبث الآراء الهدامة في جسم المجتمع العباسي، وتترجم الكتب الدينية مزدكية ومالوية بالدرجة الأولى وكذلك زردشتية وتبثها بين الناس، وتتذرع باسم الحرية الفكرية وباسم الشك توقعه في أذهان الناس لتوهي اسس الدين الإسلامي ولتقوي المجوسية كوسيلة مهمة لإرجاع السيادة للفرس.

وينتبه خلفاء العباسيين لهذا الخطر، الخطر الديني، ويحثون المتكلمين والمعتزلة للرد على هؤلاء بالقلم واللسان، ويكافحوهم بأساليبهم دينية ومنطقية وفلسفية ليضعفوا خطرهم وليضيقوا دائرة تأثيرهم.

وأين البرامكة من هذا؟ لقد شجعوا حركة الترجمة الفارسية الشعبية أو غير الرسمية وساعدوا بنفوذهم ومالهم الذي حصلوا عليه بحكم مركزهم، على نقل الكثير من التراث الفارسي، شجعوا الكتاب الفرس وأيدوهم. كل هذا بهدوء وتكتم، حتى صار المؤرخون يحسون أثره ويحارون في مصدره، ولكن ذلك لم يفت البعض فحملوا على

البرامكة واتهموهم بالتعصب للفارسية، وراح آخرون ينسبوهم للزندقة.

في مثل هذا الجو الصاخب، العنيف بمؤامراته وثوراته وتكتله، المتوثب بحركته العلمية وتطاحنه الأدبي جاء البرامكة، وكانوا وسط التيار.

ولعل في هذه الملاحظات قليل من فائدة.

وأني إذا أختم، أعرب عن غبطتي في تقديم هذه الثمرة الطيبة وكلي أمل أن أرى خريجي دار المعلمين العالية يستمرون على التتبع بعد التخرج، فيفيدون ويستفيدون. والله الموفق للخير.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم للقارئ الكريم هذه الرسالة في تأريخ أسرة البرامكة الشهيرة، وقد حاولت جهد الطاقة أن أقف على المؤلفات التي بحثت في هذا الموضوع القديمة منها والحديثة ولكني لم أوفق للعثور على جميع المصادر التي تناولت هذه الناحية، لعوامل كثيرة منها تعذر وجود بعضها في العراق ولا سيما المخطوطات التي عثرت على أسماء بعضها إثناء البحث ، (وبعض هذه المخطوطات لا تزال محفوظة في مكتبات أوربا) مثل كتاب أحسن المسالك في أخبار البرامك ليوسف بن محمد البلوي المحفوظ في مكتبة باريس وقد وصف هذا الكتاب في فهرس دار الكتب البارسية[1].

وقد جاء في مجلة المشرق أنه لا يوجد في فهارس كتب أوربا الخطية مصنف أخر في هذه المادة[2].

وهذا الى أن بعض الكتب مفقود وإن كانت موجودة فهي موجودة في مكتبات الخواص لم نوفق للعثور عليها، فأبن النديم مثلاً يذكر كتاباً في هذا الموضوع أسمه كتاب أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم الى أنتهائه مشروحاً في نحو (خمسمائة) ورقة للمرزباني[3] ثم أن الحاج خليفة في كتابه الموسوم بكشف الظنون يقول ان عبد الرحمن بن الجوزي

(١) يوجد كتاب أحسن المسالك تحت رقم (٢١٠٧)، وهو كتاب جميل ويظهر من المقدمة أنه أول كتاب كتب عن البرامكة، وتبدأ المقدمة بحمد الله الكريم الوهاب، وتأريخ النسخة (١٠١٩)هـ، ويحتوي على (١٠٩) ورقات، (طوله ١٧) سم وعرضه (٥ , ١٠)سم، وفي كل صفحة (١٩) سطر. أنظر:

Bibliotheque Natlonal Baron de Slane Catalogue manuserits arabes, paris 1883. p. 95.

(٢) شيخو، لويس – كتب عن البرامكة – المشرق ج١ (١٨٩٨) ص٤٧٨.

(٣) ابن المنديم – الفهرس (مصر، المطبعة الرحمانية) ص١٩٣.



المتوفي (٥٩٧)هـ ألف كتاباً في هذا الموضوع أسمه أخبار البرامكة[١].

وهناك طائفة من هذه الكتب لم أجد سبيلاً للاطلاع عليها لجهلي باللغتين الفرنسية والفارسية، فهناك كتاب بالفارسية عنوانه «تأريخ البرامكة» لميرزا عبد العظيم خان[٢] وقد ترجم لي بعض الأخوان من الأساتذة قطعاً من هذا الكتاب ترد الإشارة إليها أثناء البحث، وكتاباً أخر بالفرنسية عنوانه «Bouvat Les Permecides» وقد ذكر أبن عساكر[٣] كتاباً في هذا الموضوع أسمه «أخبار البرامكة وفضائلهم» لعمر الأزرق الكرماني وقد أشار إليه بعض الكتاب ولكني لم أعثر عليه[٤] وبعد فسألقي نظرة سريعة في المصادر الذي أطلعت عليها في هذا الموضوع الذي طرقه كثير من المؤرخين، ولعل الشعر الذي يورده أبن خلكان يؤيد ما ذهبنا إليه، فيروي قول أحد البرامكة:

أنا أبن أناس مولى الناس جودهم ... فأضحوا حديثاً للنوال المشهر

فلم يخل من أحسانهم لفظ مخبر ... ولم يخل من تقريظهم بطن دفتر[٥]

وللأب أنطون اليسوعي ما يشبه هذا المعنى إذ يقول «وتناقلته - تأريخ البرامكة - الكتبة والمؤرخون حتى لا يكاد يخلو كتاب عربي أو مجموعة أدبية من شذرة أو شعر أو نكتة لاحقة به»[٦].

وعلى كثرة ما كتب على هذا الموضوع لم يستطع الباحث أن يظفر بصورة واضحة عنه لتشابك الروايات وتناقضها وكثرة ما فيها من الإضافات والنقائص التي تشوه صورة

(١) الحاج خليفة – كشف الظنون، (مطبعة وكالة المعارف التركية ١٩٤١) ج١ ص٢٦.

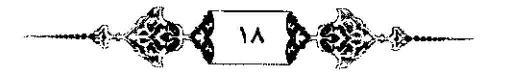
(٢) اغا بزرك ، محمد حسين ، الذريعة الى تصانيف الشيعة (النجف: مطبعة الغري ١٣٥٧) ج٣ ص٢٤١.

(٣) ابن عساكر، التاريخ الكبير (مطبعة روضة الشام ١٣٣٢) ج٥ ص٢٨.

(٤) كركاني، عبد العظيم خان، تاريخ البرامكة (فارسي)، طهران مطبعة مجلس، ١٣١٢ ص ك.

(٥) ابن خلكان وفيات الأعيان، ج١ ص٤١.

(٦) اليسوعي، الأب انطون، الرشيد والبرامكة (بيروت: المطبعة الكاثوليكية ١٩١٠) ص٣ . والبستاني، بطرس – دائرة المعارف، ج٥ ص٢٦٧ (بيروت ١٨٨١).



الحقيقة الموضوعية[1].

وقد يتلخص مبعث هذا الارتباك في الأسباب التالية:

أولاً: أن كثيراً من المؤرخين ينتمون الى طبقة الكتاب، الذين يتعصبون للبرامكة ويعطفون عليهم على اعتبار أنهم من مؤسسي هذه الطبقة ويستطيع القارئ ان يتأكد من ذلك إذا ما تأمل رواية أبن عبد ربه من ان سهل بن هارون قال عن البرامكة: ولقد عمرت معهم وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهم وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل إلا فيهم ولم تكن مقصورة إلا عليهم[2].

ويؤيد الأستاذ فيليب حتي هذا الرأي بقوله أن مؤرخي العرب يرون أن البرامكة مؤسسو صنف الكتاب (صنف القلم)[3].

أما بارتولد فيرى أن الكتاب أنما يتعصبون للبرامكة على اعتبار انهم مؤسسو هذه الطائفة[4].

وقد ادى تعصب المؤرخون الى ان يخلقوا على البرامكة صفات لا تخلو من كثير من المبالغات، وأقتصر قسم كبير منهم على ذكر حسناتهم، كما جاء في كلام الطقطقي عند تناوله الكلام على دولة البرامكة قوله اعلم أن هذه الدولة كانت غرة في جبهة الدهر وتاجاً على مفرق العصر. ضربت بمكارمها الأمثال وشدت إليها الرحال... ونيطت بها الآمال... وبذلت لها الدنيا أكبادها فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة والسيول دافعة...[5].

---

(١) انطون – الرشيد والبرامكة، ص٤.

(٢) ابن عبد ربة – العقد الفريد (مصر المطبعة الأزهرية، الطبعة الثانية ١٩٢٨) ج٣ ص٢٥٩.

(٣) حتي – تأريخ العرب (لندن مكملن ١٩٣٧) ص٢٩٥.

(٤) بارتولد، الموسوعة الاسلامية، مادة برامكة ج١ ص٦٣٣ وما بعدها.

(٥) ابن الطقطقي – الفخري (مصر مطبعة المعارف ١٩٢٣) ص١٧٩.



ويقول الأتليدي أن منتهى الكرم للبرامكة، وكاد لا يوجد من العلماء والحكماء والندماء إلا وللبرامكة عليه كرم همي كماء السماء[1] أما الشعر الذي رواه الجهشياري فينفي جميع السيئات عن البرامكة:

عند الملوك مضرة ومنافع ... وأرى البرامك لا تضر وتنفع

ان كان شر كان غيرهم له ... والخير منسوب إليهم أجمع[2]

ويرسم القرماني صورة واضحة لنظرة بعض المؤرخين الى البرامكة بقوله «أن إخبار البرامكة لكثيرة ينبغي لكل مؤرخ أن يجعل طراز تأريخه ذكر صفاتهم لأن فيه خمس فوائد:

١. أن الكريم إذا سمعها يزيد في كرمها.

٢. أن البخيل يأنف على نفسه ويتكرم.

٣. أن الأديب يقتبس من أدبهم.

٤. أن المغرور بدنياه يعتبر بما جرى عليهم بعد عز سلطانهم.

٥. أن يتأس بهم من دارت عليه دائرتهم[3].

ثانياً: أن معظم الكتاب من الفرس يتعصبون للبرامكة مثل سهل بن هارون والفضل البلخي، فطوراً يجعلونهم أحفاداً لوزراء مملكة ساسانية قديمة وطوراً ينسبون تأسيس معبدهم النوبهار الى ملك فارسي قديم، ويعلق بارتولد على هذه النقطة بقوله: « أن هذه الآراء والأفكار التي لا تسبق عهد الرشيد لم يقتصر تأثيرها على القدماء أمثال الفضل البلخي، بل تعدى الى المحدثين مثل براون في كتابه تأريخ فارس الأدبي[4].

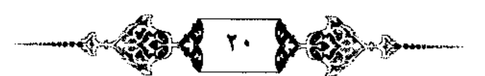
ومن الكتاب الفرس المحدثين الذين يتعصبون للبرامكة الأستاذ ميرزا عبد العظيم

(١) الأتليدي – اعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بني العباس (مصر: المطبعة الجمالية ١٣٢٩) ص١٢٤.

(٢) الجهشياري – الوزراء والكتاب ص١٥٨.

(٣) القرماني – اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (بغداد: مطبعة التبريزي) ص١٥٠ – ٥١.

(٤) بارتولد، البرامكة، المسوعة الإسلامية، ج١ ص٦٦٤.



خان كركاني، وقد تهجم على الرشيد تهجماً عنيفاً فهو يرى أن للبرامكة فضلاً على العباسيين وأن الخلافة لم يكن من السهل أن تنتقل إليهم لولا الجهود التي قدمها البرامكة في هذا الصدد ويتهجم على أبن خلدون لأنه يعتبر البرامكة من موالي الرشيد وأنه يستنكف من مصاهرتهم وسنعرض لمناقشة هذه الآراء في حينها[1].

ثالثاً: هذا الى أن تكتم الرشيد الزائد في نكبتهم حمل كثيراً من المؤرخين على الإغراق في التأويل والحدس الأمر الذي أفسح المجال لأن تتلاقف الألسن ألواناً، من الإشاعات المختلفة فاليعقوبي يذكر أن الرشيد قال في صدد نكبة البرامكة، لو علمت يمني بالسبب الذي من أجله فعلت هذا لقطعتها[2].

ويروي الطبري قول الرشيد للسندي حينما بعث إليه ليأمره بقتل البرامكة «يا سندي أني بعثت إليك في أمر لو علم به زر قميصي رميت به في الفرات»[3] وأبن خلكان يذكر حادثة جرى فيها خطاب بين الرشيد وأخته عليه بنت المهدي فقالت له بعد إيقاعه بالبرامكة «يا سيدي ما رأيت لك يوم سرور منذ أن قتلت جعفراً، فلأي شيء قتلته، فقال لها يا حياتي لو علمت أن قميصي يعلم السبب في ذلك لمزقته»[4].

رابعاً: وقد كان لوجود بعض العرب المتعصبين على البرامكة مثل الأصمعي أثر لا ينكر في هذا الغموض الذي يسود تأريخهم. ونتيجة لهذه العوامل أنقسم الناس الى فريقين: فريق يؤيد البرامكة وآخر يناوئهم.

وتضاربت فيهم الأقوال فأنصارهم ينسبون إليهم كل حسنة ويعزون إليهم الأعمال الخيرية كبناء المساجد وغيرها، وأعدائهم يصمونهم بألوان من الرذائل ويرمونهم بالزندقة

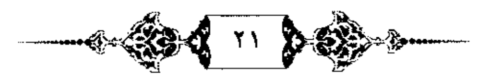
---

(١) كركاني، تاريخ البرامكة (ص ر ب ر د، ر٥).

(٢) اليعقوبي، (النجف: مطبعة الغري ١٣٥٨) ج٣ ص١٥٢.

(٣) الطبري تاريخ الأمم والملوك (مصر: المطبعة الحسينية الطبعة الأولى). ج١ ص٨٦.

(٤) ابن خلكان، ج١ ص١٠٨، الدميري، كمال الدين – كتاب الحيوان (مطبعة محمد شاهين) ج ٢ ص ١٧٤.



والشرك، ويذكر الجهشياري أن الفضل بن يحيى لما صار الى خراسان، أزال بسيرته الجور وبنى الحياض والمساجد والرباطات، وأنه أمر بهدم معبد النوبهار فلم يقدر على هدمه.. فهدم منه قطعة وشيد عليها مسجداً[1].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان أعدائهم ينسبون إليهم الكفر والزندقة وأنهم لم يكونوا يقيمون ببناء المساجد الا رياء وتزلفاً ولعل في هذه الأبيات التي يرويها لنا الجاحظ ما يؤيد هذه النظرية.

أن الفراغ دعاني ... إلى أبتناء المساجد

وأن رأيي فيها ... كرأي يحيى بن خالد

وقول أبي نواس عن جعفر:

وأعظم زهواً من ذباب على خرا ... وأبخل من كلب عقور على عرق

أرى جعفراً يزداد بخلاً ودقة ... إذ أزاده الرحمن في سعة الرزق[2]

وأبو نواس نفسه يقول عن جعفر الذي وصفه بالبخل قبل قليل:

ذهبت مكارم جعفر وفعاله ... في الناس مثل مذاهب الشمس[3]

ولم يقتصر التعصب للبرامكة أو عليهم على القدماء بل تعداه الى المحدثين أيضاً ونظرة واحدة فيما كتبه نيكلسون وغيره تساعد القارئ، على فهم هذه الفكرة إذ يقول ان حنكة البرامكة الإدارية وسخاءهم وحبهم للأدب أضافت زهاء ورونقاً على عصر الرشيد، ولم يكتف بذلك بل انه يصف الرشيد بالظلم والغدر[4].

---

(١) الجهشياري – الوزراء والكتاب (مصر: مطبعة البابي الحلبي (الطبعة الأولى ١٩٣٨) ص١٩٠-٩١.

(٢) الجاحظ – البيان والتبيين (مصر المطبعة الرحمانية ١٩٣٢) ج٣ ص٢٠٩.

(٣) انطون اليسوعي، الرشيد والبرامكة، ص٤٩.

(٤) راينولد، نيكلسون – تاريخ الادب العربي (كمبرج - مطبعة الجامعة الطبعة الثانية ١٩٣٠) ص٢٦١.

وفيما كتبه السيد أمير علي لا يقل في غلوه عن سابقه حين يقول في كتابه مختصر تأريخ العرب «يعزي معظم شهرة الرشيد في الإدارة الى كفاية الوزراء ومقدرة الموظفين الذين وثق بهم..» وحين يقول أيضاً في مكان أخر « ولكن تدهورها - أسرة البرامكة - السريع وانهيار دعائم مجدها يفسر لنا ناحية من نواحي المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك في ذلك العهد حول أصحاب الشؤون وتكشف لنا عما تؤدي إليه الوشايات في الحكومة المستبدة»[1] أقول أن نظرة واحدة فيما كتبه هؤلاء لتدلك دلالة واضحة على ان التعصب التاريخي لم ينفرد به القدامى من المؤرخين وحسب.

أما الأستاذ براون فيغالي كثيراً في الدور الذي لعبه البرامكة في الدولة إذ يقول: «أن عائلة البرامكة الفارسية النبيلة العظيمة حكمت الدولة العباسية لمدة خمسين سنة، وأحفاد برمك بثقافتهم العالية وكرمهم العظيم وإدارتهم الحكيمة خلعوا صفاء ورونقاً على حكم الخلفاء الخمسة الأول من آل العباس، حتى أن حسد الرشيد الفضيع قاده الى قتل جعفر بن يحيى والقضاء على أخيه الفضل»[2].

ولا تقل آراء الأستاذ عبد العظيم تطرفاً على آراء براون، وهاك ما يقول أن الرشيد كان حاقداً على البرامكة منذ سنوات عديدة وكان متبرماً من اتساع نفوذهم، ولكنه كان يتردد في تطبيق ما يتردد في تطبيق ما يدور بخلده لأنه كان يخشى أختلال أمور دولته[3] حينما يقدم على قتلهم.

وسنعرض لمناقشة هذه الآراء عند الكلام على نكسة البرامكة وأثرها في سياسة

(١) أمير علي، مختصر تاريخ العرب، مصر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٣٨) ص ٢٠٥ - ٦، ٢٠٩.

(٢) **Edward.G. Browne, a Literary History of Persia, (London and Leipsic T. Fisherunwin, 2 nd ed., 1909) P.257**

(٣) كركاني عبد العظيم - تاريخ البرامكة، ص قفا.



الدولة.

والآن لابد لي أن أقول كلمة عن الكتب التي أنفردت في معالجة هذا الموضوع، وقد وقفت على ستة كتب في هذا الموضوع وهي:

١. كتاب أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس للاتليدي.
٢. العباسة أخت الرشيد لجرجي زيدان.
٣. الرشيد والبرامكة للأب أنطون اليسوعي.
٤. براءة العباسة للأستاذ طنطاوي جوهري.
٥. البرامكة في بلاط الرشيد لعبد الحليم العباس.
٦. تأريخ برامكة (فارسي) لميرزا عبد العظيم خان كركاني.

وقد تصفحت المصادر الثلاثة الأولى فلم أجد فيها ما يمكن أن يسميه الباحث حقائق موضوعية.

فكتاب إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس يتكون من مجموعة من القصص التي تنقصها الدقة وتسودها الإشاعات. أما من الناحية التاريخية فتعوزه الدقة فضلا عما يشتمل عليه من أخطاء كثيرة من ذلك ما يذكره من أن الرشيد قال حينما توفي يحيى «مات والله يحي ومات الجود والكرم... والله لو كان حياً لفرجت عنه، ثم أمر بإطلاق الفضل أبنه وأستوزره مكان جعفر»[1] وهذا خطأ واضح فليس بخاف ان الرشيد لم يستوزر الفضل بن يحي مرة أخرى، وإنما مات في السجن سنة (١٩٣) هـ[2] أما روايتا زيدان وأنطون اليسوعي فالعنصر الذاتي فيهما واضح الأمر الذي يخرجهما من حضيرة

(١) الأتليدي، اعلام الناس، ص١٢٣.

(٢) الطبري، ج١٠ ص١٠٩، وأبن الأثير – الكامل (مصر: المطبعة الأزهرية، الطبعة الأولى ١٣٠١) ج٦ ص٨٤، وأبن خلكان – وفيات، ج١ ص٤١٢.

علم التأريخ الى حضيرة الفن، ويظهر أنهما كتبتا بروح أدبية خالية من التحقيق التاريخي، وكل منهما يدور حول قصة العباسة المزعومة. وإليك ما يقوله الأستاذ طنطاوي جوهري عن رواية الأستاذ زيدان « وهل الروايات حقائق؟ فأي عقل يستطيع ان يتنزل الى تلك الخرافة الغرامية المزعومة، ونحن نرى الروايات تنتشر بين ظهر انينا شرقية وغربية، وكلها من أوضاع المؤلفين بل كثير من الشبان عندنا يؤلفون روايات وهي مخترعات وهمية أخترعها القوم ليسدلوا على الأخبار السياسية، ولتظهر الرواية في شكل... تألفه النفوس وترتاح له الأفئدة[1]. وتمتاز رواية الأب أنطون عن رواية زيدان بأنها تشير الى المصادر في كثير من المواضع وتذكر وجهات النظر المختلفة في أسباب نكبة البرامكة ولكنها تنفرد برأي جديد لم أعثر عليه في غيرها من المصادر، ذلك هو من أسباب نكبة البرامكة ميلهم الى الدين النصراني ويعتبر زندقتهم ميلاً الى الدين النصراني أن لم نقل إيماناً وتديناً به[2] وبعد ان يعرض أسباب نكبتهم يبين أن هناك سبباً خفياً وهو ميلهم للديانة المسيحية[3] ويقولون أن الرشيد بعد نكبتهم أساء معاملة المسيحيين وفي هذا الرأي خطأ واضح لأن الرشيد لم يشدد على النصارى إلا بعد أن نقض الروم الصلح المعقود بينه وبينهم[4].

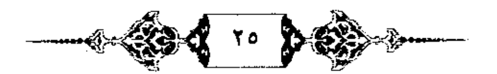
أما الكتابان الآخران وهما براءة العباسة للأستاذ طنطاوي جوهري والبرامكة في بلاط الرشيد لعبد الحليم العباس فلا يخلوان من حقائق تاريخية ولكن العنصر الذاتي يكاد يطبع الكتابين ويحتل الصدارة منهما، ولم يهتم المؤلفان بذكر المصادر التي استندا عليها إلا نادراً، وقد جنح الأستاذ العباس في كتابه الى تفسير الحوادث التاريخية بروح شعرية وقد أشار الى ذلك في مقدمة كتابه بقوله « وكنت ما زلت يستهويني الحادث

(١) طنطاوي جوهري – برأة العباسة (مصر مطبعة مصطفى البابي ١٩٣٦) ص٥٧ – ٥٨.

(٢) اليسوعي، انطون – الرشيد والبرامكة، ص٦.

(٣) اليسوعي، انطون – الرشيد والبرامكة، ص٧٩.

(٤) الطبري، ج١٠، ص١٠٠.



في التأريخ بقدر ما فيه من شعر » وقد طبق الأستاذ هذه الروح إثناء بحثه فتراه يفسر الحادثة التي حصلت لجعفر البرمكي مع عبد الملك بن صالح العباسي والتي يعتبرها جمهرة المؤرخين دالة لا تحتمل من جعفر على الرشيد، بأنها قضية مدروسة وأن رضى الخليفة فيها محسوب حسابه عن طريق الحدس التي برع بها البرامكة[1].

وبالرغم من تقريره هذا فأنه يناقض نفسه ويوافق جمهرة المؤرخين في رأيهم عن الحادثة نفسها إذ يقول «حتى كان جعفر – خاصة – يدخل نفسه، ثقة بمنزلته عند الرشيد فيما لا يجوز له أن يدخل نفسه فيه. وقد ذكر المؤرخون هذه الحادثة التي فيها كل الكفاية للدلالة على هذه المكانة..» ثم يروي الحادثة عينها[2].

وقد عرضنا لمناقشة آراء مؤلفي هذه الكتب إثناء البحث. وبالإضافة الى المصادر السابقة وقفت على عدة مقالات كتبت عن هذا الموضوع في مجالات مختلفة[3] ثم مقالات متسلسلة في جريدة المنتفك بعنوان البرامكة للدكتور وجيه علي نجا[4] أما المصادر الرئيسية التي تناولت هذا الموضوع فسنذكرها في صدد البحث.

---

(١) العباس، عبد الحليم – البرامكة في بلاط الرشيد (مصر مطبعة الجريدة التجارية) ص٥٠.

(٢) عبد الحليم، البرامكة، ص٤٨.

(٣) الكرملي، أنستاس. «معنى اسم برمكي، المشرق (١٨٩٨) ج١ ص٢٨٤ – ٢٨٥. ولويس شيخو «جواب المشرق في معنى البرمكي «ص٢٨٦. وانستاس، «السن او اثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة» المشرق (١٩٠٧) ج١٠ ص٣٠٠-٣٠٤. «وكتب عن البرامكة» المشرق، (١٨٩٨) ج١ ص٤٧٨، وشيخو لويس، «مأثرة برمكية»، المشرق، ج٢ ص٥٤٤-٤٧. ومصطفى جواد، «نكبة البرامكة»، الرسالة (١٩٣٤) ج٢ ص١٧ وصباح فالح روسان، «تحقيق في نكبة البرامكة» العرفان (آذار ١٩٣٣) ج٢٣ ص٥٢٩ وما يليها. والخشاب، يحيى، «سياست نامه، نظام الملك والبرامكة» الثقافة (مايس ١٩٤٥) ص٧. ويزيد بن مزيد الشيباني لواء الإسلام، ج٣ (سبتمبر ١٩٤٧) ص٦٥-٦٧.

S. D. G. Goitein, " origen of the Vizerate and its true character ", Islamic Cultrue (july 1942) vol. 16 p. 256.

(٤) نجا، وجيه علي، «البرامكة» جريدة المنتفك، العدد ٣٨، ٣٩، ٤٠ (تموز ١٩٤٠) والعدد ٤٣ و٤٥ (ايلول وكانون الثاني ١٩٤٠)، والعدد (٥٦) كانون الثاني ١٩٤١ والعدد ٦٠ (٢٣ شباط ١٩٤١).

وبعد فأرى قبل أن اختم هذه المقدمة لزاماً علي أم أقدم جزيل شكري لأستاذي الدكتور عبد العزيز الدوري أستاذ التأريخ الإسلامي بدار المعلمين العالية ببغداد الذي لبى رغبتي فأشرف على تأليف هذه الرسالة. وقد قدمتها لنيل الليسانس في الأجتماعيات في المعهد المذكور، ومن دواعي سروري أن الرسالة منحت درجة «جيد». وكان لإرشادات الأستاذ المشرف أثرها الفعال في اخراج هذه الرسالة بهذا الطابع الذي توخيت فيه الدقة العلمية قدر المستطاع.

كما إني أقدم شكري لجميع الأساتذة الأفاضل الذين مدوا لي يد المساعدة سواء بتزويدي ببعض المعلومات . وتيسير بعض المراجع كالأستاذ يعقوب سركيس والعلامة الشيخ محمد السماوي والأستاذ محمد حسن العضاض الذي لاحظ الكتاب من الناحية اللغوية والأستاذ عبد الحميد الدجيلي الذي ترجم لي بعض الفصول من كتاب « تأريخ برامكة لعبد العظيم خان كركاني، من الفارسية الى العربية.

وفي الختام أرجوا ان يسد هذا الكتاب فراغاً في هذا الموضوع ويميط اللثام عن تأريخ هذه الأسرة، ذلك التأريخ الذي اكتنفته الشكوك وسيطر عليه الاضطراب وأرجو أن أكون قد وفقت لحل بعض مشاكل هذا الموضوع وان يكون في هذا الكتاب ما يبعث همم الباحثين الأفاضل ويحفزهم على دراسة هذا الموضوع دراسة وافية والله ولي التوفيق.

عبد الله الفياض

بغداد

١٦ / ١٢ / ١٩٤٧



الفصل الأول:

العباسيون والفرس

إن ألقاء نظرة سريعة على حالة الموالي في العهد الأموي، يساعدنا على فهم الأسباب التي حملت هؤلاء الموالي على تأييد الدعوة العباسية والسعي لنقل الحكم من الأمويين الى العباسيين.

فقد أتبع الأمويون سياسة تنطوي على كثير من القسوة والغلظة تجاه الموالي، حيث كانوا ينظرون إليهم نظرة ازدراء واحتقار وكانوا يرون أن الإساءة إليه غير منقصة، وما هم إلا عبيد لهم[1]. وحتى الخليفة عمر بن الخطاب أطلق عليهم كلمة « علوج » أحتقاراً لهم ومنع أمراء جيوشه من إرسالهم الى المدينة[2].

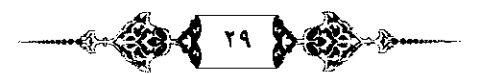
أما مركز الموالي الاجتماعي فقد كان دون مركز أسيادهم من العرب الذين منعوهم من التزوج بالعربيات، فالأصفهاني مثلاً يذكر ان رجلاً من الموالي تزوج امرأة من سليم فوصل الخبر الى والي المدينة ففرق بين المولى وزوجته وضربه مئتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه[3].

وقد بلغت ببعضهم العصبية حداً انه أنف من نكاح العجم للعربيات في الجنة، فيروي المبرد أن أعرابياً سأل صاحبه: «أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة فقال أرى ذلك،

(١) انظر: O'leary, Arabic thought and its Place in History (New York: EP.Dutton and Co.,1936),P.89

(٢) ابن ابي الحديد - شرح نهج البلاغة، ج٣ ص١٤٥.

(٣) الأصفهاني، ابو الفرج - الاغاني [مصر: مطبعة التقدم] ج٤ ص١٥٠.



فقال توطأ والله رقابنا قبل ذلك»[1].

وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة حمار أو كلب أو مولى، ولم يكوموا يكنونهم بالكنى بل كانوا يسمونهم بأسمائهم، ولا يمشون معهم في صف واحد ولا يقدمونهم في المواكب[2] وحتى بعض العلويين لم يتحرج من احتقار الموالي، فنجد محمداً ذا النفس الزكية يفتخر بأنه لم تعرق به الإماء ولا حضنته أمهات الأولاد[3].

هذه أمثلة قليلة أن دلت على شيء فإنما تدل على انحطاط مركز الموالي الأجتماعي في العهد الأموي وللمثال الأخير أهمية خاصة لأنه صدر من احد العلويين الذين اشتهروا بالتقوى والتحرر من أخلاق الجاهلية فما ظنك بغير العلويين من العرب؟

ولم تكن حالة الموالي الاقتصادية بأحسن من حالتهم الاجتماعية إذ لم يكن يعتبرهم العرب إلا كمورد مالي لهم يتصرفون به كيفما يشاءون، وقد قال سعيد بن العاص والي الكوفة في عهد عثمان ان السواد بستان قريش[4]. ولم يساو الأمويين بين الموالي والعرب بدفع الضرائب ولم يعفهم دخولهم الإسلام من احتمال الضرائب، وحينما هربوا من القرى للمدن والتحقوا بالجيش تخلصاً من الضرائب أضطرهم الحجاج على الرجوع الى قراهم ووضع عليهم ضريبتي الجزية والخراج اللتين كانوا يدفعونهما قبل انتمائهم الى الإسلام[5].

وبالإضافة الى هذا كله فأنهم حرموا من الأعطيات – الرواتب السنوية التي يتقاضاها الجند حسب نظام عمر بن الخطاب، وقد كان المختار بن عبيد الثقفي أول من حاول

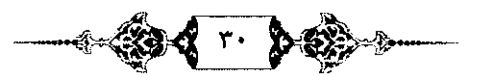
(١) المبرد – الكامل في الأدب واللغة (مصر: مطبعة الهلال ١٩٢٢ الطبعة الثالثة) ج٤ ص٦١.

(٢) زيدان، جرجي – تاريخ التمدن الإسلامي (مصر – مطبعة الهلال ١٩٢٢ الطبعة الثالثة) ج٤، ص٦١.

(٣) الطبري، ج٩ ص٢١١، وأبن الأثير – الكامل،(مصر – المطبعة الأزهرية، ج٥، ص١٩٧.

(٤) زيدان، التمدن،ج٤ ص٥٨.

(٥) أنظر: فليب حتي – تاريخ العرب ص٢١٨ – ١٩.



مساواة الموالي بالعرب في الأعطيات، الأمر الذي أدى الى تذمر العرب فشكوا أمرهم للمختار ومما قالوه: «عمدت الى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر، فلم ترض بذلك حتى جعلتهم شركائنا في فيئنا»(١).

وفضلاً عن كل ما تقدم كان الموالي يلقون عنتاً شديداً من الموظفين وجباة الخراج فيذكر فان فلوتن ان جباة الخراج في بلاد فارس اعتادوا تقويم المحاصيل قبل زمن الحصاد وإرغام المزارعين على النزول لهم عنها بثمن أقل من الثمن الذي يتبايع به الناس(٢).

أما حالة الموالي السياسية فلم تكن بأحسن من حالتهم الاقتصادية والاجتماعية، فلقد حرمهم الأمويين من الوظائف العالية في الدولة كوظائف الجيش والقضاء، وقد أستنكر الناس تولية سعيد بن جبير القضاء بالكوفة وقالوا لا يصلح للقضاء إلا عربي(٣).

وقد امتد احتقارهم الى أولاد الاماء من أبناء العرب وكانوا يسمون أبن الامة بالهجين، والعربي وأن شرف نسبه من جهة الأب لا يصلح للخلافة إذا كانت أمه امة يدلك على ذلك موقف الخليفة هشام حينما أحتج على زيد بن علي عليه السلام عند طلبه الخلافة بقوله «بلغني أنك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة»(٤) وإذا علمنا ان أم علي والد زيد هي بنت كسرى يظهر لنا مقدار تعصب العرب واحتقارهم للموالي. وقد ادى هذا الوضع الى تذمر الموالي وسخطهم على الأمويين.

ولم يعتمد الأمويون على الموالي في الحرب وفي الحالات التي يستخدمونهم فيها

---

(١) الدوري، عبد العزيز – العصر العباسي الأول (بغداد مطبعة التفيض ١٩٤٥) ص٧.

(٢)- فان فلوتن– السيادة العربية (القاهرة – مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٩٣٤) ص ٢٨، الدوري، العصر العباسي الأول، ص٩، ١٠.

(٣) المبرد – الكامل ج٢ ص٤٣٩، وزيدان – التمدن، ج٤ ص٦٣.

(٤) زيدان، التمدن، ج٤ ص٦٣، اليعقوبي، ج٣ ص٦٥، الدوري – العصر العباسي ص٨.



يجعلونهم من المشاة والى ذلك أشار المختار بقوله الى قائده «أن عامة جندك هؤلاء الحمراء - يعني الموالي - وأن الحرب ان ضرستهم هربوا، فأحمل العرب على متون الخيل وأرجل الحمراء أمامهم»[1].

ونود ان نشير الى أن هذا الوصف الذي عرضناه لحالة الموالي ينطبق على طبقة العوام بصورة خاصة، لذلك كانت هذه الطبقة أكثر الطبقات سخطاً على الوضع السائد وقد أشار ابن قتيبة الى ذلك بقوله « ولم أرى في الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد نصباً للعرب من السفلة والحشوة واوباش النبط وأبناء أكرة القرى»[2].

أما الطبقة الأرستقراطية أمثال الدهاقين فكانت تتمتع بامتيازات اقتصادية واجتماعية جعلتها تلتزم جانب العرب وتؤيد سلطتهم[3]. وكان المبدأ السائد «الشريف نسيب الشريف في كل قوم»[4].

هذه صورة مجملة لحالة الموالي في أواخر العصر الأموي، وهي كما رأيت حالة مزرية خلقتها العصبية العنصرية التي لم يستطع الدين الإسلامي – وفيه يقف الناس جميعاً على قدم المساواة على اختلاف اجناسهم– أن يستأصل شأفتها.

وسوء حالة الموالي هذه حملهم على السعي الحثيث لغرض التخلص من سلطة العرب بصورة عامة والأمويين بصورة خاصة، فأيدوا أعداء الأمويين في ثوراتهم كالعلويين والخوارج[5] ثم انخرطوا في سلك الدعوات السرية المناوئة للأمويين كالدعوة العباسية

---

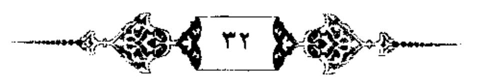
(١) المبرد، الكامل – ج٢ ص٤٠٥-٦، وأحمد امين – ضحى الإسلام، (مصر – مطبعة لجنة الترجمة والنشر والتأليف) ج١ ص٢٤.

(٢) الدوري – العصر العباسي، ص١٢.

(٣) أنظر: بارتولد – الحضارة الإسلامية (مصر: مطبعة المعارف) ص٦٥.

(٤) ابن مسكوية – تجارب الأمم (لندن لوزاك ١٩٠٩)ج١ ص٤٤٠.

(٥) زيدان – التمدن، ج٤ ص٦٣.



والحركة الشعوبية، ولم يترددوا عن حمل السلاح في وجه اعدائهم العرب عندما سنحت لهم الفرصة المواتية وذلك أبان الدعوة العباسية.

الفرس والدعوة العباسية

بلغت موجة التذمر من السياسة الأموية أشدها، فعم الاستياء الطبقات العامة في بادئ الأمر ولكنه ما لبث أن تسرب بين صفوف الطبقة الأرستقراطية خصوصاً بعد تنظيمات نصر بن سيار المالية تلك التنظيمات التي جردت الدهاقين من كثير من امتيازاتهم الاقتصادية[١].

وفي هذا الجو المفعم بالاستياء والتذمر بدأت الدعوة العباسية تمد جذورها في أكثر أجزاء الإمبراطورية استياء وهي خراسان.

ولعل في تصريحات نصر بن سيار – والي الأمويين على خراسان عند ظهور الدعوة العباسية – ما يوضح لنا تصرف الفرس، وسر كرههم الشديد للعرب بصورة عامة والأمويين بصورة خاصة، ومما لا شك فيه أن لأقوال نصر أهمية خاصة بالنظر الى وقوفه على تصرفاتهم بنفسه، قال نصر يخاطب النزارية واليمانية ويحذرهم من الموالي:

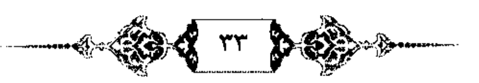
أبلغ ربيعة في مرو وأخوتهم ... فليغضبوا قبل إلا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبوا ... حرباً يحرق في حافاتها الحطب

الى ان يقول:

قوم يدينون ديناً ما سمعت به ... عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلاً عن أصل دينهمو ... فأن دينهمو أن تقتل العرب[٢]

(١) أنظر: . Wellhausen – Arabkingdom and its Fall (Calcutta University Press, 1927) P. 283
والدوري، العصر العباسي، ص١٥.

(٢) الدينوري – الأخبار الطوال.



فمن هذا نستنتج أن الموالي كانوا يحاربون محاربة الموتور أو محاربة المظلوم الذي سنحت له الفرصة للتخلص من ظالمه.

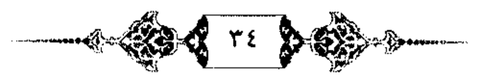
وقد أدرك العباسيون كره الموالي للأمويين فاستغلوه لمصلحتهم واعتبروا خراسان أخصب بقعة للدعوة العباسية[1].

وخطبة محمد بن علي الذي أستعرض فيها مختلف أجزاء الإمبراطورية تظهر لنا بوضوح صحة هذا الرأي، فيذكر أبن أبي الحديد عن محمد بن علي «فبث – محمد – الدعاة حينئذ في طلب الأمر.. فقال محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف وقبيل عبد الله المقتول يدينون بجميع الفرق ولا يعينون أحداً على أحد، وأما الجزيرة فحرورية مارقة. والخارجية فيهم فاشية.. وأما الشام فلا يعرفون إلا أبا سفيان وطاعة بني مروان، عداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر وليس يتحرك معنا في أمرنا هذا منهم أحداً... ولكن عليكم بخراسان فأن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدوراً سلمية وقلوباً مجتمعة، لم تتقسمها الأهواء... وليس فيهم هم العرب ولا فيهم تحارب كتحارب الأتباع مع السادات ولا تحالف كتحالف القبائل... وما زالوا ينالون ويمتهنون فيكظمون وينتظرون الفرج ويؤملون دولة»[2].

وقد حقق الفرس أمنية زعيم العباسيين فأيدوا الدعوة وناصروها بكل وسيلة استطاعوا إليها سبيلاً، فيذكر الطبري أن إبراهيم الإمام أمر أبا مسلم بالذهاب الى شيعته في خراسان، وأمرهم بإظهار الدعوة والتسويد فقدم أبو مسلم الى مرو يحمل كتاباً الى سليمان بن كثير الخزاعي «فنصبوا أبا مسلم وقالوا رجل من أهل البيت فوافاه في يوم

(١) ابن الطقطقي – الفخري، ص١٢٨، أحمد أمين – ضحى الإسلام (مصر مطبعة الاعتماد ١٩٣٤) ج١ ص٣٢.

(٢) ابن ابي الحديد – شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٤٨٩.



واحد أهل ستين قرية»[1].

وكان زعماء الحركة العباسية لا يترددون في إثارة الحمية الفارسية فحينما قابل قحطبة – قائد الجيش العباسي لفتح العراق – بناتة بن حنظلة عامل يزيد بن هبيرة على جرجان، ذعر جيشه لكثرة أهل الشام وحسن عدتهم وأخذ الخراسانيون يتكلمون بذلك، فخطب فيهم: يا أهل خراسان هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم... حتى بدلوا وظلموا فسخط الله عز وجل عليهم فأنتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم واستنكحوا نساءهم وأسترقوا أولادهم... وقد عهد إلي الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل[2]. ولم يترددوا في خلق الأحاديث النبوية فنسبوا الى الرسول ﷺ أنه تنبأ بعودة الحكم للعباسيين على يد أهل خراسان فيذكر ابن الفقيه ان النبي ﷺ قال: أن أهل بيتي يلقون بلاء وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود يسألون الحق فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملؤها جوراً[3].

وكان الخراسانيون يقولون «نحن أهل هذه الدولة، وأصحاب هذه الدعوة.. والأنصار أنصاران: الأوس والخزرج نصروا النبي في أول الزمان وأهل خراسان نصروا ورثته في آخر الزمان» .

وعندما بويع السفاح بالكوفة قام داود بن علي خطيباً وقال: «يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا من أهل خراسان فأحيا بهم

(١) الطبري – ج٩ ص٨٣.

(٢) الطبري ج٩ ص١٠٦ .

(٣) ابن الفقيه – مختصر كتاب البلدان (ليدن ١٣٠٢) ص٣١٨.

حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا[١].

نستخلص من هذا كله أن العباسيين اعتمدوا في تحقيق غرضهم على الفرس الى درجة كبيرة الى حد جعل كثيراً من المؤرخين يعتقدون أن العباسيين مدينون بقيام دولتهم للفرس[٢] وقد سند الفرس العباسيين لاتفاق مصالح الطرفين أتفاقاً وقتياً، ولكنهم كانوا يطمحون لإعادة الإمبراطورية الفارسية والدين الفارسي القديم، والى هذا أشار الدكتور عبد العزيز الدوري بقوله «ووجدت في خراسان بوادر روح قومية فارسية تضيق بحكم العرب وتعتبره نوعاً من عجائب القدر وتسعى للخلاص منه بكل وسيلة»[٣] ولما ظهر للفرس ان انتصار العباسيين معناه بقاء الخلافة العربية والدين الإسلامي قاموا بحركات ثورية تلبست بلباس ديني على الأغلب ضد العباسيين كما اشتركوا في الحركات السلمية كالشعوبية.

الشعوبية

الحركة الشعوبية حركة سياسية ودينية وعنصرية ترمي الى أحياء مجد الأمم الأعجمية وعلى رأسها الأمة الفارسية، وتدعوا هذه الحركة الى مقاومة النفوذ العربي.

ويعرف الأستاذ مكدونالد هذه الطائفة بأنها «الطائفة التي تفضل الأجناس الأخرى على العرب»[٤].

أما براون فيقول: «أنها الطائفة التي اقتنعت أول المر بتسوية العرب مع غيرهم من

(١) الطبري، ج٩ ص١٢٧، ابن الأثير – الكامل (مصر: المطبعة الأزهرية) ج٥ ص١٩٧ – ٩٨.

(٢) حتي – تاريخ العرب، ص٢٩٠، براون، تاريخ فارس الادبي، ج١ ص٢٥٢، احمد أمين، ضحى الإسلام، ج١ ص٣٤.

(٣) الدوري – العصر العباسي ص١٦.

(٤) مكدونالد – الشعوبية، الموسوعة الإسلامية ج٤ ص٣٩٥.



المسلمين، وانتهت الى ان العرب دون غيرهم من الشعوب الأخر[1].

ويروي أوليري: «أنها فرقة لم تقتصر على طلب المساواة بين جميع المسلمين بل وصمت العرب بالتوحش والانحطاط وانهم لا يقارنون مع الشعب الفارسي العريق أو السرياني أو النبطي»[2] هذه هي أهم التعاريف التي أوردتها جماعة من الكتاب للشعوبية وهناك تعاريف[3] لم يتسع المجال لذكرها.

والحقيقة ان هذه الحركة كانت في بداية أمرها تدعو الى المساواة إذ ليس من المعقول ان يجهروا بأفضليتهم على العرب منذ اللحظة الأولى ولكن المعقول أنهم قالوا بالتسوية أولاً لينقضوا دعوى العرب بالسيادة، ثم انتقلوا منها الى التفضيل والاحتقار، وكان لابد من مراعاة هذا التدرج في دعوتهم لأسباب منها:

١. قوة العرب في مبدأ حكمهم.
٢. ضعف الدعوة للقوميات الأعجمية لقرب عهد الموالي بالفتح، وسنورد بعض الأدلة التي تؤيد ما ذهبنا إليه، ومنها ما جاء في ضحى الإسلام[4] «الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم» وفي العقد الفريد الشعوبية هم أهل التسوية. وتعريف براون السالف الذكر يؤيد هذا الرأي.

مبدأ ظهور هذه النزعة

لا نستطيع ان نحدد الزمن التي ظهرت فيه هذه النزعة بالضبط ولكن زيدان يرى

---

(١) براون، ج١ ص٢٦٦.

(٢) أنظر: . olleary. o. c. p. 101

(٣) كرد علي – القديم والحديث (مصر: المطبعة الرحمانية) ص٦ وما يليها وأبن منظور – لسان العرب (مصر: بولاق الطبعة الأولى ١٣٠٠هـ) ج١ ص٣ – ٤٨٢ و .Nicholson, o.c.p.280

(٤) أحمد امين – ضحى الإسلام ج٢ ص٥٦.



ان الموالي في صدر الإسلام سلموا بفضل العرب وعندما بالغ الأمويين في احتقارهم وذهبت دهشة النبوة وزادت سورة تذمرهم ونصروا أعداء الأمويين وهان عليهم تفنيد مزاعم العرب وأنكروا أنهم أفضل الشعوب، ونشأ من ذلك طائفة يعرفون بالشعوبية لا يعترفون بفضل العرب على سواهم[1]. والذي أراه ان الموالي لم يسلموا بأفضلية العرب على اعتقاد ولكنهم تظاهروا بذلك خوفاً من العرب الذين كانوا يتعصبون لجنسهم بصورة قوية، هذا الى ان حالة الموالي الاقتصادية والاجتماعية لم تكن في أوائل العصر الأموي أحسن منها في أواخره فالمعروف أن معاوية مؤسس الدولة الأموية كان يخشى خطر تكاثر الموالي على دولة العرب الأمر الذي حمله على ان يأخذ للامر عدته ويهم بقتل قسم منهم ولكن الأحنف بن قيس أشار عليه إلا يفعل[2]. وقد أشرنا الى الاجراءات الصارمة التي أتخذها للحيلولة دون تكاثرهم واشتداد خطرهم وقد كان الشاعر الشعوبي إسماعيل بن يسار النسائي المتوفى ١١٠هـ[3]. من أوائل المجاهرين بالنزعة الشعوبية من أبناء فارس وهو الذي انشد في حضرة هشام بن عبد الملك قوله:

(١) زيدان – التمدن ج٤ ص٣، ٦٤.

(٢) زيدان – التمدن، ج٤ ص٦٢.

(٣) جاء في الأغاني – ج٤ ص١٢٤ ان ابن يسار كان متهماً بالعصبية للعجم فكان لا يزال محروماً مطروداً.

أني وجدك ما عودي بذي خور   عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
من مثل كسرى وسابور الجنود معاً   والهر مزان لفخر أو لتعظيم

فغضب هشام... وقال اعلي تفخر وأياي تنشد قصيدة تمدح بها أعلاج قومك؟! ونفاه الى الحجاز [١].

وقد بقيت هذه الحركة سرية طوال العصر الأموي، ولما جاء العباسيون أتبعوا سياسة التسوية بين العرب وغيرهم، فتغير الوضع وانفسح المجال للشعوب الأخرى لإظهار نواياها الحقيقية، ونتيجة لسياستهم الإسلامية[٢] ولاعتمادهم على الفرس، أفسحوا لهؤلاء المجال في العصر العباسي الأول للاشتراك معهم في الحكم. وقد استنكر العباسيون بعض الأعمال التي تدل على تعصب العرب وغطرستهم، فيروي الأصفهاني أنه «كانت العرب الى أن عادت الدولة العباسية أذا اقبل العربي من السوق ومعه شيء فرأى مولى دفعه إليه ليحمله عنه فلا يمتنع ولا السلطان يغير عليه، وكان ذا لقيه راكباً وأراد ان ينزل فعل»[٣].

ولم يقف العباسيون عند حد المساواة بين العرب والفرس بل انهم كانوا يقدمون الفرس على العرب أحيانا فيذكر احمد أمين أن المنصور أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رآسة العرب وقيادتها[٤] وذكر براون أنه منذ أيام المنصور أخذ العرب ينتظرون في باب الخليفة على حين كان الخراسانيون يدخلون دون رقيب[٥].

---

(١) أحمد امين – ضحى الإسلام، ص٢٩ و. **Browne, o.c. p. 266**

(٢) محاضرات الدوري، و . **Browne, o.c. p. 251**

(٣) أحمد امين – ضحى الإسلام ج١ ص٢٦.

(٤) أحمد امين – المصدر السابق، ص٤٠.

(٥) **Browne, o. c. p. 265** .



وتصرفات العباسيين هذه جعلت بعض المؤرخين يبالغون في تأثير الفرس في الدولة العباسية فيصف الجاحظ دولة بني العباس بأنها أعجمية خراسانية، ويقول على دولة بني مروان أنها أموية عربية[1] ويرى بيكر «أن انتصار العباسيين معناه انتصار الفرس على العرب»[2]. وقد انتصر الإيرانيون على العرب تحت ستار الأممية الإسلامية[3] ومما لا شك فيه أن سياسة العباسيين سهلت مجال العمل للفرس فاندفعوا لا يقفون عند حد في «تفريس» الخلافة - أن صح هذا التعبير - والاعتزاز بالمجد الفارسي فليس غريباً أن نسمع بشار بن برد مثلاً يقول:

من خراسان وبيتي في الذرى ولدى المسعاة فرعي قد بسق

ويقول أبو نؤاس:

وما شرفتني كنية عربية ولا أكسبتني لا ثناء ولا فخرا

ولم تقف فعاليات الشعوبيين عند الفخر والاعتزاز بالمجد الفارسي ولكنهم اندفعوا في ذكر مثالب العرب كأبي عبيد[4] الذي ألف كتاباً تناول فيه العرب وتعرض الى ذكر مثالبهم، وأبن غرسية وله رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب ثم غيلان الشعوبي الوراق وكان زنديقاً عمل لطاهر بن الحسين كتاباً جارحاً بدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأمهاتهم ثم انتقل الى بطون قريش فسائر القبائل والبطون العربية الأخرى ونسب إليهم كل كذب وزور، فوصله على ذلك طاهر بثلاثين الف درهم.

ومنهم الجيهاني الذي ذكر أبو حيان التوحيدي أنه ألف كتاباً سب فيه العرب وتناول

---

(١)(٥) الجاحظ - البيان والتبيين.

(٢)(٦) الدوري - العصر العباسي، ص٤١.

(٣)(٧) فلها وزن - المملكة العربية، ص٥٥٨.

(٤) قال ابو عبد البكري في شرح امالي القالي: ان اصل كتاب مثالب العرب لزياد ابن ابيه، ثم جدد ذلك ابو عبيدة معمر بن المثنى وزاد فيه، وأصل ابي عبيدة يهودي اسلم وانتمى الى تيم احد بطون قريش.

أعراضها وحط من قدرها[1] وقد أدت حركة الشعوبية الى سجال ديني وأدبي وعنصري بين العرب وغيرهم من الشعوب الأعجمية والى هذا أشار الأستاذ نيكلسون بقوله: أن جدالاً عنيفاً حصل بين الفريقين أشترك فيه كثير من الكتاب فكان أبو عبيدة والبيروني وحمزة الأصفهاني يلزمون جانب الشعوبية[2] ويدافعون عنها أما الجانب العربي فيمثله الجاحظ وأبن دريد وأبن قتيبة[3] والبلاذري والزمخشري.

وقد حاول كل من الفريقين أن يدحض مزاعم خصمه ويقدم حججاً تؤيد وجهة نظره فكان العرب يفخرون بأن النبي محمدﷺ منهم وأنهم أفضل الأمم على حد قول القرآن الكريم «كنتم خير أمة أخرجت للناس» ثم استخدموا السنة في تأييد حججهم وتثبيت دعواهم فذكروا حديثاً رووه عن الرسولﷺ «حب العرب إيمان وبغضهم نفاق».

وقد انبرى الشعوبية الى الرد على هذه النقاط فقالوا لئن كان الفخر بالنبوة فأن منا الأنبياء والمرسلين قاطبة ما عدا أربعة وهم هود وصالح وإسماعيل ومحمدعليهم السلام[4].

ولم يكتف الشعوبيون بذلك بل انهم طعنوا بأنساب العرب وقالوا كيف يفخر العرب بأنسابهم وبعضهم ينكح نساء بعض في غاراتهم بلا عقد ولا أستبراء من طمث، فلا يدري أحدهم من أبوه.

---

(١) ذكر شارح كتاب الإمتاع والموآنسة لأبي حيان التوحيدي (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩) ج١ ص٧٨-٧٩، ان هذا اللقب يطلق على شخصين مشهورين، ويرى ان المقصود هنا هو أحد رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ويصنفون في نصرة الوثنية.

(٢) أنظر **Nicholson, o. c. p. 280**.

(٣) ذكر البيروني – الآثار الباقية عن القرون الخالية (ليبزك ١٩٢٣) ص٢٣٨. أن ابن قتيبة الف كتاباً في تفضيل العرب على العجم، وان بينه وبين الفرس أحن وترات، إذا لم يرض بتفضيل العرب عليهم بل جعلهم أرذل الأمم واخسها.

(٤) زيدان – التمدن، ج٤ ص١٤٥.



وأنتقد الشعوبيون العرب بأنهم لا ملك لهم وقالوا أن لنا ملوك الأرض من الفراعنة والنمارِدة والعمالقة والقياصرة والأكاسرة[١].

وقد انبرى الجاحظ للرد عليهم وتفنيد مزاعمهم في كتابه البيان والتبيين وهاجمهم بقوله «أعلم أنك لم ترَ قوماً قط، أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نصباً ولا أقل اعتماداً من هذه النحلة»[٢].

وذكر ابن أبي الحديد أن الجاحظ ذكر في كتاب مفاخرات قريش أنا لا نجد كتاب مثالب قط إلا لدعي وشعوبي[٣]. وكذلك رد عليهم ابن قتيبة وأبو حيان التوحيدي[٤] ويذهب براون الى ان أشهر من دافع عن الفرس أسحق بن حسان ألخرمي وأبو عثمان زيد بن بختكان وأبو زيد الرستمي والبيروني والذين التزموا جانب العرب هم ابن قتيبة والبلاذري وناصر خسرو[٥].

وقد ألف أبن بختكان كتاباً في تفضيل العجم على العرب.

وقد كان لهذا النزاع أثر كبير في القومية العربية والأدب العربي وكان من أهم العوامل التي أدت الى تكتل العرب كيما يستطيعوا أن يتقوا ضربات الخصوم وطعن الطاعنين.

ونرى من المناسب أن نشير هنا الى التغيرات التي صحبت انتقال الحكم من الأمويين الى العباسيين وسنجمل أهم الاتجاهات التي تميز العصر العباسي عن العصر الأموي:

---

(١) زيدان – المصدر السابق ، ص١٤٥، وأبن عبد ربة – العقد ج٣ ص٥-٣٥٤.

(٢) الجاحظ – المصدر السابق، ص٢٢.

(٣) ابن ابي الحديد – شرح نهج البلاغة، ج٣ ص٢٣.

(٤) التوحيدي – ابن حيان – الإمتاع والموآنسة (القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٩) ج١ ص٧٨ وما بعدها.

(٥) Browne, O. C. P. 268



الأتجاهات العامة للسياسة العباسية

أولاً: أتبع العباسيون سياسة إسلامية وعدلوا عن سياسة التعصب للعرب التي سار عليها الأمويون، وبذلك أفسحوا المجال لغير العرب لأن يشتركوا في الحكم فقربوا الفرس في العصر العباسي الأول والترك في العصر الثاني[١].

ويرى براون أن تأثير الفرس أدى الى تلطيف خشونة العرب وفتح دوراً مليئاً بالثقافة والتساهل والبحث العلمي[٢]. ثم يقول (نقلًا عن دوزي) انه لما كان العباسيون مدينين بخلافتهم للفرس، رأوا أن يحترسوا من تقريب العرب ويضعوا ثقتهم بالأجناس الخرى خاصة أهل خراسان. ومعظم شخصيات البلاط كانت فارسية وأشهر هؤلاء العائلة البرمكية[٣].

ويؤيد زيدان دوزي وبراون فيما ذهبا إليه فيقول: أن المهدي عندما يستثير خاصته يقدم الموالي، وان بطانة الخليفة ورجال دولته وخاصة حكومته من الموالي الفرس[٤].

أما فلهاوزن «أن التمييز بين العرب وغيرهم من المسلمين قد زال في هذا الدور»[٥] ويصف حتي الإمبراطورية العباسية بأنها إمبراطورية إسلامية كان العرب يؤلفون أحد عناصرها المختلفة[٦].

وقد غالى الأستاذان دوزي وزيدان في قولهما ان العباسيين فقدوا الثقة بالعرب واعتمدوا على الفرس وحسب في تدبير شؤون الدولة. نحن لا ننكر أن العباسيين اعتمدوا على

(١) راجع محاضرات الدوري عن العصر العباسي الأول، و . Browne,.O. C. P. 251

(٢) Ibid., P. 252.

(٣) Ibid., P. 252

(٤) زيدان – المصدر السابق، ص١٢٨-٩.

(٥) فلها وزن – ص٥٥٧.

(٦) Hitti, O. C. P. 289.



الفرس لدرجة كبيرة ولكنهم في الوقت ذاته لم يهملوا العرب بل بقي لهم نفوذ كبير في الدولة كما بقيت اللغة العربية هي اللغة الرسمية والدين إسلامياً هذا والعباسيون عرب هاشميون وكانوا يعتزون بنسبهم ويعتبرونه أكبر مناقبهم[١]. وقد تكون في عصر الرشيد حزب عربي يناوئ الفرس في البلاط نفسه ولم يتردد الخلفاء في نكبه الوزراء إذا ما احسوا فيهم ميولاً فارسية خطرة كما في حالة نكبة الرشيد لوزرائه البرامكة ونكبة بني سهل[٢] وفضلاً عن هذا كله فان العباسيين لم يعتمدوا على الفرس فقط في بث دعوتهم، فإبراهيم الإمام يوصي أبا مسلم: «يا عبد الرحمن... فأحتفظ بوصيتي وأنظر هذا الحي من اليمن فاكرمهم، وحل بين أظهرهم فأن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم»[٣].

وأعتمد العباسيون على الفريقين في الوظائف الهامة فيقول اليعقوبي «وكان عماله من العرب - يعني المنصور - يزيد بن حاتم المهلبي، ومحمد... الخزاعي وزياد الحارثي ومعنى... الشيباني وخازم... التميمي وعقبة الهنائي... فكان ينقل هؤلاء لثقته بهم واعتماده عليهم»[٤].

ثم ان كثيراً من قواد الجيش العباسي كانوا عرباً كعبد الله بن علي العباسي وقحطبة بن شبيب الطائي والحسن بن قحطبة وحميد بن قحطبة[٥]. وكان سليمان بن كثير الخزاعي أحد زعماء اليمانية، وقحطبة بن شبيب الطائي ومالك بن الهيثم رؤساء الدعاة في خراسان وذلك بموجب وصية إبراهيم الإمام لأبي مسلم[٦] وكان الفخر بالنسب العربي لا يزال

(١) الدوري – العصر العباسي، ص٤٢.

(٢) الدوري، ص٤٢، و أحمد أمين، المصدر السابق، ص٣٥ – وما يليها.

(٣) الطبري – ج٩ ص٧٦.

(٤) اليعقوبي – ج٣ ص١١٨، و أحمد أمين – ضحى الإسلام ج١ ص٣٦

(٥) ذكر الطبري (ج٩ ص١٠٤) ان السفاح بعد ان دخل الكوفة وجه الحسين بن قحطبة لقتال ابن هبيرة بواسط، ووجه حميد بن قحطبة الى المدائن.

(٦) اليعقوبي – ج٣ ص٧٢، ومحاضرات الدوري عن العصر العباسي الأول.

له اثر كبير فنجد أبا مسلم ينتحل له نسباً هاشمياً، كما أن والية بن الحباب انتحل له نسباً عربياً فأنكر ذلك عليه أبو العتاهية وهجاه:

أوالـــــب أنـــت في الــعـــرب كـمـثـل الـشـيـص في الـرطـب

وحتى في القرن الرابع للهجرة لم تكن تقل عناية العرب بأنسابهم فنجد الشريف الرضي يفخر بأنه عربي أصيل ولم تدنس عروبته بالعجمية:

فـتـى لم تـوركـه الإمـــاء ولم تكن أعـاريـبـه مـدخـولـة بـالأعـاجـم[1]

ثانياً: أهتم العباسيون بالمظاهر الدينية الى حد كبير فقالوا أنهم جاءوا لإحياء السنة وإعادة حكم العدل وانهم سينشئون خلافة دينية لا ملكاً دنيوياً كما فعل الأمويين[2] وخطب داود بن علي بالكوفة « لكم ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس ان نحكم فيكم بما أنزل الله وان نعمل بكتاب الله ونسير فيكم بسنة رسوله »[3] ويذكر فلهاوزن أن العباسيين عنوا بإحياء سنة الرسول وشجعوا رجال الدين واستعانوا بآرائهم حتى في الأمور السياسية[4].

ونتيجة لتطبيق هذه الخطة كان العباسيين يهتمون بالمراسيم والحفلات الدينية فكانوا يلبسون بردة الرسول في صلاة الجمعة والعيدين ويحيطون أنفسهم بالفقهاء[5] كما انهم بثوا فكرة دوام السلطة بأيديهم، فيذكر ان الأثير، ان داود بن علي رقى منبر الكوفة وقال: «وأعلموا ان هذا الأمر فينا ولويس بخارج عنا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم»[6].

(١) الشريف الرضي - حقائق التأويل (النجف مطبعة الغري ١٩٣٦) ج٥ ص٢٥.

(٢) أنظر: الدوري العصر العباسي، ص٤٣ و Hitti, o. c. p. 288

(٣) ابن الأثير، الكامل ج٥ ص١٩٧، والأربلي، قنيتو - خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك (مطبعة القديس جاور جيوس ١٨٨٥) ص٤٠.

(٤) فلهاوزن - المملكة العربية، ص٥٦٢.

(٥) الدوري - ص٤٣ و Hitti، O. C. P. ٢٨٨

(٦) ابن الأثير - الكامل ج٥ ص١٨٩ والأربلي - خلاصة، ص٤٠، وحتي ٢٨٩.



ثالثاً: جاء العباسيون للحكم معتمدين في حقهم بالخلافة على قرابتهم من الرسول وأكدوا على هذه القرابة، فيذكر الطبري أن السفاح خطب يوم البيعة في الكوفة: «وخصنا برحم رسول الله وقرابته... وقال تعالى قل لا أسألكم عليه آجراً إلا المودة في القربى»[1].

رابعاً: ازدياد قدسية الخليفة الى حد انه دعي خليفة الله، فيذكر الأتليدي عن خالد بن صفوان «انه دخل يوماً على السفاح... فقال يا أمير المؤمنين أني والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته...»[2] وذكر المسعودي ان عبد الله بن عمرو عزى المهدي في المنصور فقال «آجر الله أمير المؤمنين... ولا مصيبة أعظم من إمام والد، ولا عقبى اجل من خلافة الله على أولياء الله»[3] وذكر الجهشياري أبن بشار بن يرد هجا يعقوب بن داود وزير المهدي:

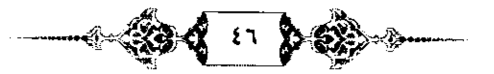
بني أمية هبوا طال نومكم ... أن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزق والعود[3]

وقد مدح السيد الحميري السفاح فقال:

خلافة الله وسلطانه ... وعنصراً كان لكم دارساً[4]

وذكر اليعقوبي ان أسحق بن عيسى قال عند وفاة الرشيد «وافضت خلافة الله وميراث نبيه»[6] وقال عبد الصمد عند بيعة الأمين «أيها الناس لا يغرنكم صغر السن فأنها الشجرة المباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء»[7] وقالوا أن العالم سيتلف إذا فقد

(١) الطبري، ج٩ ص١٢٥، وأبن الأثير ج٥ ص١٩٦، والأربلي خلاصة، ص٤٠.
(٢) الأتليدي – اعلام الناس، ص٤٨.
(٣) المسعودي – مروج الذهب (مصر: مطبعة دار الرجاء) ج٣ ص٢٣٩.
(٤) الجهشياري – الوزراء والكتاب (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٣٨) ص١٥٩.
(٥) الأربلي، خلاصة، ص٤١.
(٦) اليعقوبي، ج٣ ص١٦٣.
(٧) اليعقوبي، ج٣ ص١٤٠.



الخلفاء العباسيون[1].

خامساً: تنظيم ولاية العهد – ولى السفاح أخاه المنصور بعده، فذكر اليعقوبي انهم «كتبوا الى صالح بن علي يعرفونه الحادثة في أبي العباس وما كان عهد به أبو العباس لأبي جعفر ومبايعتهم له واجتماعهم عليه»[2].

وولى أبو العباس موسى بن عيسى بعد المنصور، وهذه الطريقة استمرار لخطة الأمويين في تولية العهد لأعضاء العائلة البارزين[3]. ثم عدل المنصور عن هذه القاعدة بأن قدم ابنه المهدي على عيسى بن موسى[4] فيذكر اليعقوبي أن المنصور جعل ولاية العهد لعيسى بعد المهدي[5]. وأراد المهدي ان يؤكد خطة سلفه في حصر ولاية العهد في أبناء الخليفة أو الوراثة المباشرة فنحى موسى عن ولاية العهد وبايع لأبنه موسى الهادي بالخلافة من بعده[6].

سادساً: كان العباسيون يؤثرون استعمال القوة والفتك على سياسة الترضية التي كان الأمويين يتبعونها أحياناً، واشتهروا بالفتك بأتباعهم حالما تظهر منها بوادر القوة، وحوادث أبي سلمه الخلال وأبي مسلم الخراساني والبرامكة وبني سهل أدلة على ذلك، ولعل كتاب الأمين الى طاهر بن الحسين يوضح لنا هذه القضية أحسن توضيح، وإليك شيئاً مما جاء في هذا الكتاب «أعلم انه ما قام لنا منذ قمنا قائم بحقنا وكل جزاؤه إلا

---

(١) الفخري، ص١٢٨، و Hitti O. C. P. 289 .

(٢) اليعقوبي، ج٣ ص١١٠.

(٣) محاضرات الدوري.

(٤) ابن الأثير – الكامل ج٥ ص٢٧٣. و اليعقوبي ج٣ ص١١٤.

(٥) اليعقوبي – ج٣ ص١١٥، وابن الأثير ج٥، ص٢٧٥.

(٦) اليعقوبي – ج٣ ص١٢٨.



السيف، فأنظر لنفسك أو دع»[1] . ويصف أبن الطقطقي الدولة العباسية بأنها كانت ذات دهاء وغدر... إلا أنها كثيرة المحاسن، أسواق العلم فيها نافقة والحرمات مرعية، وشعائر الدين فيها معظمة[2].

ويمكننا القول بان الدولة العباسية كانت دولة إسلامية ومع ان العنصر العربي كان احد عناصرها الهامة إلا انه ليس العنصر الحاكم كما كان الحال في العهد الأموي. والشكل الذي اتخذته الدولة العباسية هو الشكل الذي يمكن أن تتخذه دولة تضم قوميات مختلفة، لأن تأكيد العنصر الحاكم على قوميته فقط يدفع بالقوميات الأخرى لأن تسعى لإثبات كيانها وتكون بمثابة تيار معاكس يعمل على تحطيم الدولة وتفكك أجزائها كما حصل للدولة الأموية من قبل وللدولة العثمانية أخيراً...

الحركات الثورية الفارسية

كان الفرس يهدفون من وراء مساندتهم للعباسيين أحياء المجد الفارسي الذي أندثر ولكن آمالهم لم تتحقق مما بعث على التذمر من جديد وأوقد سورة الاستياء التي أخذت تظهر بين أوساط المناصرين للدعوة العباسية لأن العباسيين لم يحققوا وعودهم في تطبيق المساواة وظل العدل بنظر هؤلاء وهماً من الأوهام فأستمر العسف والجور، واستمرت الثورات فيذكر الطبري أن شيخ بن شريك المهري خرج على أبي مسلم في خراسان في سنة (١٣٣) هـ وقال «ما على هذا اتبعنا آل محمد، على ان نسفك الدماء ونعمل بغير الحق وتبعه على رأيه أكثر من (٣٠) ألفاً»[3].

وبدأت شقة الخلاف تتسع بين المتحالفين وازداد تذمر أهل خراسان خصوصاً بعد

---

(١) زيدان – التمدن، ج٤ ص١٢٥.

(٢) الفخري – ص١٣٣.

(٣) الطبري، ج٩ ص١٤٨.



قتل أبي مسلم الذي كان موضع احترام القوم وتقديسهم الى حد انهم اتخذوه مرشداً دينياً[1]. ذكر الدنيوري ان السفاح قال لأبي جعفر حينما أسره ما كان يضمره لأبي مسلم من شر» وكيف يمكن ذلك ومعه أهل خراسان وقد اشرب قلوبهم حبه وإتباع أمره وإيثار طاعته[2].

وكان لإقدام أبي جعفر على قتل أبي مسلم الخراساني اثر كبير في قيام الاضطرابات في شرقي إيران وفي غربها. ففي سنة مائة وسبع وثلاثين للهجرة ثار سنباذ احتجاجاً على قتل أبي مسلم والى هذا أشار اليعقوبي بقوله «خرج قوم من أصحاب أبي مسلم الى خراسان فصاروا الى سنباذ وسنباذ بنيسابور، فلما بلغه قتل أبي مسلم أظهر المعصية وخرج يطلب بدمه حتى اضطربت خراسان، فوجه أبو جعفر جهور بن مرار فلقي سنباذ فواقعه فقتله وفرق جمعه» [3].

وذكر الطبري عن سنباذ هذا أنه كان مجوسياً، وانه كان قد خرج غضباً لقتل أبي مسلم فيما قيل وطلباً بثأره[4] أما المسعودي فيوضح العلاقة بين مقتل أبي مسلم ثورة سنباذ بقوله «ولما نمي قتل أبي مسلم الى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية وهي الطائفة التي تدعى بالمسلمية الذين يقولون بأبي مسلم وإمامته... فاجتمعت الخرمية حين علمت بقتل أبي مسلم فسارت في عسكر عظيم من بلاد خراسان الى الري... وقبض على ما كان في الري من خزائن أبي مسلم، فكبر جمع سنباذ بمن حوله»[5] ودعا سنباذ الخرمية والغلاة من الشيعة وإتباع مزدك، وكان يبشر أصحابه بنهاية الحكم العربي

(١) الدوري، عبد العزيز - العصر العباسي الأول، ص٨٤.

(٢) الدنيوري - الأخبار الطوال ص٣١٨.

(٣) اليعقوبي، ج٣ ص١٠٤.

(٤) الطبري، ج٩ ص١٦٩.

(٥) مروج الذهب، ج٢ ص٢٢٠.

وأعلن انه يريد الذهاب الى الحجاز وهدم الكعبة[1]. وانضمام الخراسانيين الى ثورة سنباذ دليل على تذمرهم من الحكم العربي. واستمرت هذه الثورة سبعين يوماً وقد قتل من أصحابه ستون ألفاً[2].

والمتأمل في ثورة سنباذ يستطيع ان يستخلص النتائج الآتية:

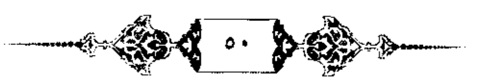
١. ان هذه الثورة كانت موجهة ضد الحكم العربي.
٢. أظهرت هذه الثورة بوضوح الخراسانيين لأبي مسلم وشدة تعلقهم به. ونختم كلامنا على ثورة سنباذ برأي لبراون يوضح فيه « ان سنباذ هذا كان مجوسياً ينتمي الى طائفة المسلمية التي تسوق الامامة الى أبي مسلم ومثلها الخرمية وإتباع اسحق الترك[3].

وقد ثار أسحق الترك (نسب الى الترك لا لأنه تركي بل لأنه دخل أرض الترك ودعاهم للاعتقاد بأمامة أبي مسلم، وقال ان أبا مسلم نبي أرسله زرادشت وهو حي لم يمت وانه سيخرج يوماً ما ويعيد الدين القويم[4]. كما ان ثائراً أخر كان قد شق عصا الطاعة وأدعى النبوة واتبعه خلق كثير ذلك هو أستاذ سيز الذي أرسل إليه المهدي خازم فقضى على جموعه[5]. وسلم بعد ذلك مع ثلاثين ألفاً من إتباعه وأرسل الى بغداد حيث قتل[6].

حركة المقنع

كان المقنع من أهالي مرو وضواحيها وقد ظهر في خراسان. وإنما غلب عليه لقب

(١) الدوري، العصر العباسي، ص٨٦.
(٢) مروج الذهب، ج٢ ص٢٢١.
(٣) انظر: Browne, O. C. P. 313.
(٤) نفس المصدر ص٣١٣.
(٥) اليعقوبي، ج٣ ص١١٥.
(٦) الدوري – العصر العباسي ص٩١.



المقنع لأنه كان يقنع وجهه بغشاء من حرير أخضر على بعض الروايات[1]. ويذكر أبن الطقطقي انه ظهر في أيام المهدي فيقول «وفي أيامه ظهر المقنع في بخراسان.. وكان.. من أهل مرو.. وأدعى الإلهية، وكان يقول ان الله خلق آدم فتحول في صورته. وهكذا هلم جراً الى أبي مسلم.. وكان يقول بالتناسخ وبايعه خلق من ضلال الناس»[2] وكانت مبادئ المقنع في أساسها خرمية فارسية وصبغتها قومية لأن الرزامية التي ينتمي اليها المقنع كانت تنقل الإمامة من العباسيين الى الزعيم الفارسي أبي مسلم. ومع ان ثورة المقنع هذه قد باءت بالفشل وقضي عليها إلا ان خلقاً كثيراً بقوا متمسكين بالمبادئ التي كان بشر بها [3] ويذيعها على إتباعه.

الراوندية

كان لخيبة أمل الفرس بالعباسيين أثر بعيد في انضمامهم الى الحركات المناوأة للدولة وقد كانت هذه الحركات القومية العنيفة متلبسة بلباس ديني بمظهره. ومن أشهر هذه الحركات حركة الراوندية التي ظهرت في خراسان ويوضح لنا الطبري عقيدتهم بقوله «والراوندية قوم.. من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم. يقولون فيها زعم بتناسخ الأرواح ويزعمون ان روح آدم حلت في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور»[4].

ويبين الدنيوري صلة الراوندية بأبي مسلم بقوله «أن الراوندية تداعوا وخرجوا يطلبون بثأر أبي مسلم»[5] ومن هذا يتضح للقارئ العلاقة بين ثورة الراوندية ومقتل أبي

(١) الدوري ص١١٥.

(٢) الفخري – ص١٦١ – ١٦٢، وأبن الأثير، الكامل ج٦، ص١٦.

(٣) أنظر تفصيل ثورة المقنع في العصر العباسي الأول للدوري ص١١٥ – ١١٩.

(٤) الطبري ج٩ ص١٧٣، وابن الأثير – الكامل ج٥ ص٢٣٨.

(٥) الدنيوري – الأخبار ص٣٢٤.

مسلم الخراساني. ويرى الدكتور عبد العزيز الدوري أن فرقة الراوندية هذه يمكن ان تقسم الى قسمين أساسيين:

١. جماعة اعتقدت بانتقال الإمامة من أبي هاشم الى محمد بن علي بالوصاية وربما كان هؤلاء ممن سبقوا للانضواء تحت راية الدعوة العباسية وانقسموا بعد وفاة أبي العباس الى:

أ. فرقة اعتقدت بإمامة أبي جعفر وبعده المهدي.

ب. فرقة عبد الله الراوندي التي كانت تعتقد بأن أبا جعفر رب وأن أبا مسلم نبيه.

ج. فرقة نقلت الإمامة من أبي العباس الى أبي مسلم.

٢. جماعة تعرف بالعباسية وكانت تعتقد بان الرسول أوصى بالإمامة لعمه العباس.

والملاحظ ان الفرقة الثانية من المجموعة الأولى (فرقة عبد الله الراوندي) هي التي ثارت على المنصور[١].

الزندقة

تعريفها: جاء في محيط المحيط «والزنديق من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان»[٢] وقد ورد نفس التعريف في شرح ديباجة القاموس والصحاح للجوهري. هذه أهم التعاريف ومن أراد الاستزادة فليرجع إليها في مضانها[٣].

ويميل الدكتور الدوري الى ان الزنادقة من المانوية [٤]. ويوضح لنا الطبري نظرة

(١) الدوري، عبد العزيز – العصر العباسي ص٨٨، ٨٩.

(٢) البستاني، بطرس – محيط المحيط، ج١ ص٨٨٩ .

(٣) Hitti, O. C. P. 402 و. Browne, O. C. P. 159.

(٤) الدوري، ص١١٠.



المهدي الى الزنادقة، فيذكر أنه اوصى الهادي بقوله «يا بني أن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة يعني أصحاب ماني فأنها فرقة تدعو الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها الى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجاً وتحوباً ثم تخرجها من هذه الى عبادة أثنين: أحدهما النور والظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلالة الظلمة الى هداية النور»[1].

وقد انتشرت حركة الزنادقة في عهد المهدي مما حمله على أن ينشط لمكافحتها نشاطاً بالغاً فيذكر الجهشياري أن المهدي جد في طلب الزنادقة وقلد أمرهم لعمر الكلوذاني[2] وقد كان المهدي شديدا على أهل الإلحاد والزندقة[3]وقد أقتفى موسى الهادي أثر أبيه في هذه الناحية فذكر الأربلي عند كلامه عن موسى الهادي وأشتد طلب موسى للزندقة فقتل منهم جماعة[4].

والذي تهمنا معرفته هنا هو ان هذه الحركات حركات فارسية وجل القائمين بها من الفرس أما ماني فهو أحد أنبياء الفرس المهمين وهو من أهم المذاهب التي انتشرت واستمرت طويلاً ويقول ويقو أحمد أمين أن مذهبه عاش الى القرن السابع الهجري وكان له أتباع كثيرون في آسيا و أوربا[5].

ويرى بارتولد ان المانوية ظهرت في إيران في القرن الثالث وأن أبن ديصان «**BarDesan**»

(١) الطبري ج ١ ص ٤٢، وابن الاثير – الكامل ج ٦ ص ٤٣

(٢) الجهشياري – الوزراء ص ١٥٦ و الاربلي – التبر المسبوك ص ٧٢ – ٧٣ و اليعقوبي، ج ٣ ص ١٣٣.

(٣) الفخري، ص ١٦١.

(٤) الاربلي. ص ٧٧.

(٥) أحمد أمين – فجر الإسلام (مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة الطبعة الثالثة) ج١، ص١٢٩.

ولد وثنياً ثم تنصر ثم أرتد الى الوثنية ثانية[1]. وكان هؤلاء الفرس يرمون من حركاتهم هذه الى إعادة الملك الفارسي القديم والديانة المجوسية، فيذكر البيروني أن أبا عبد الله العدي المتعصب للمجوسية صنف كتاباً في الأدوار والقرانات ذكر فيه ان القران الثامن عشر من مولد محمدﷺ يوافق الألف العاشر وهو المشتري، فحكم على ان يخرج إنسان يعيد دولة المجوس ويستولي على الأرض كلها ويزيل ملك العرب وغيرهم[2]. وقد أقتبس فريق من المجوس بعض الأفكار الإسلامية وانضموا الى بعض الطوائف الإسلامية واتخذوا منها ستاراً لإخفاء غرضهم الذي ينطوي على إعادة المجوسية، ويشير أبن الجوزي الى هذه الفكرة بقوله «أن جماعة الثنوية والمجوس والملحدين ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين أجمعوا على الانضمام لفرقة الإسماعيلية حتى يستعينوا بها على أبطال الدين الإسلامي وإعادة الدين المجوسي ويعدد لنا من هذه الفرق الإسماعيلية والباطنية والقرامطة والخرمية والبابكية والقرامطة والمحمرة والسبعية والتعليمية»[3].

العلويون والعباسيون

بعد ان فاز معاوية بالحكم وبعد ان تمخضت الأحداث عن وفاة الحسن ومقتل أخيه الحسينعليه السلام هدأت حركة العلويين زمناً، ولكنها ما لبثت أن نشطت عندما ظهر المختار في الكوفة.

وكان المختار يميل الى استخدام الموالي ومساواتهم بالعرب مما جعل العرب ينفرون منه ويتفرقون منه كما انه كان على اتصال شكلي بمحمد بن الحنفية بالمدينة[4]. بعد وفاة

---

(١) بارتولد – الحضارة ص١١، ١٢.

(٢) البيروني – الآثار ص٢١٣.

(٣) ابن الجوزي – المنتظم (حيدر آباد دكن مطبعة دائرة المعارف العثمانية: الطبعة الأولى ١٣٥٧) ج٥ ص١١٠-١١١.

(٤) انظر: **Browne, O. C. P. 229**

محمد قام ابنه أبو هاشم بالأمر بعده ويقال أن الخليفة سليمان بن عبد الملك بعث من دس إليه السم فلما حضرته الوفاة قال لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس: «إليك الأمر والطلب بالخلافة بعدي، فولاه وأشهد له من الشيعة رجالاً»[١].

وقد أستغل العباسيون هذه التوصية المزعومة للتبشير بدعوتهم للخلافة وتستروا بالدعوة لآل البيت، دون ان يحددوا ما ان كانت الدعوة للعلويين أو العباسيين، وقد استفادوا من انصار العلويين وجلبوا عطف الناس لا سيما أهل خراسان الذين سندوا الدعوة وأيدوها بصورة قوية وهكذا استفادت دعوة بني العباس من الدعوة العلوية استفادة كبرى[٢].

ويرى الأستاذ براون ان الشيعة الأمامية لم يقوموا بدور يذكر في إثناء الدعوة العباسية[٣] ويخالفه الدكتور الدوري في هذا الرأي إذ يقول «أن بعض أتباع العلويين ساهموا لأنهم ظنوا ان الدعوة كانت لإرجاع حقوق آل علي المهضومة»[٤].

ونظراً لوجود العدو المشترك - الأمويين - آنذاك لم يظهر النزاع بين أبناء العم ولكن ما كاد يختفي هذا العدو حتى ظهرت بوادر الخلاف بين الفريقين منذ اللحظة الأولى، فيقال أن أبا سلمة الخلال ما طل في مبايعة السفاح في الكوفة وكاتب زعماء العلويين في المدينة ولكن ألحاح القواد ومضايقتهم أياه أضطراه لمبايعة السفاح قبل ان يصل رأي العلويين[٥]. وفي خلافة السفاح بدأت بوادر تذمر العلويين تظهر شيئاً فشيئاً إذا أخذ

---

(١) أبن قتيبة - الإمامة والسياسة (مصر - مطبعة مصطفى محمد) ج٢ ص١١٨ -١٩.

(٢) محاضرات الدوري.

(٣) **Browne, O. C. P. 239**

(٤) الدوري - العصر العباسي، ص٤٠.

(٥) المسعودي - مروج، ج٣ ص١٩٩. والطبري ج٩ ص١٢٥، واليعقوبي ج٣ ص٨٦، والجهشياري، ص٥٧.

امر محمد بن عبد الله يقوى ويشتد فذكر السفاح ذلك لعبد الله فأجابه ان محمداً لا يقوم بما تكرهه[1] وقد تحقق ظن السفاح إذ خرج محمد ذو النفس الزكية في (١٤٥)هـ في المدينة وقد كان يخيل إليه ان دعوته استطاعت ان تجد سبيلها في الآفاق، فذكر الطبري انه قال: «ايها الناس.. والله ما جئت هذه وفي مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذ لي فيه البيعة»[2]. وكانت الكوفة موالية للعلويين فعند ظهور محمد أستشار المنصور عبد الله بن علي فقال: «أرتحل الساعة حتى تأتي الكوفة فأجثم على اكبادهم فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم»[3].

وقد أستطاع أبو جعفر بعد مدة وجيزة من قمع حركة محمد وحركة أخيه في البصرة[4]. وفي زمن المهدي خفت وطأة مطاردة العلويين[5]. ولكن الهادي عدل عن سياسة الترضية وشدد الخناق على العلويين وطلبهم فيه كل مكان فيذكر البعقوبي: «أن موسى ألح في طلب الطالبين وأخافهم... وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطيات، وكتب إلى الآفاق في حملهم وطلبهم فلما أشتد خوفهم... عزم الشيعة وغيرهم الى الحسين بن علي...فبايعه خلق كثير»[6]. وقد حدثت واقعة فخ بين العباسيين والعلويين وأنهت بفشل العلويين. وعلى أثر هذه المعركة هرب إدريس بن عبد الله الى المغرب[7] وهناك أشارات تدل على تأييد بعض الخراسانيين للعلويين، فيذكر اليعقوبي

(١) اليعقوبي، ج٣ ص٩٦.

(٢) الطبري، ج٩ ص٢٠٥.

(٣) الطبري ج٩ ص٢٠٩.

(٤) اليعقوبي – ج٣ ص١١٣، الطبري –ج٩ ص٢٠١، وأبن الأثير الكامل ج٥ ص٢٥٠.

(٥) اليعقوبي ج٣ ص١٢٧.

(٦) اليعقوبي، ج٣ ص١٣٧.

(٧) اليعقوبي، ج٣ ص١٣٧، وصبيح عبد القادر – هارون الرشيد (القاهرة: مطبعة البيت الأخضر) ص٣٥.

في كلامه عن الهادي «وولى الغطريف بن عطاء على خراسان وأعمالها.. فظهرت منه أمور قبيحة.. فاضطربت البلاد وتحرك جماعة من الطالبيين وصاروا الى ملوك النواحي ووعدوهم بالنصر والمعونة»[1]. وذكر أبن الأثير ان أبا جعفر قال لأحد جلسائه عن العلويين «ان بني عمنا هؤلاء قد أبو إلا كيداً لملكنا... ولهم شيعة بخراسان يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات اموالهم[2] وخرج يحيى بن عبد الله في عهد الرشيد وكانت أرض الديلم مركز حركاته، وسنعرض لتفصيل حركته عند كلامنا عن ولاية الفضل البرمكي على خراسان.

فمن هذا يظهر ان العلويين والعباسيين كانوا في نزاع دائم على السلطة وكثيراً ما قام العلويون بثورات قوية أزعجت العباسيين وزعزعت كيانهم، وحتى الشعار العباسي – السواد – كانوا يكافحونه ويلبسون البياض خلافاً للعباسيين، فيذكر الطبري أن إبراهيم بن عبد الله العلوي دخل البصرة سنة ١٤٥هـ «فغلب عليها وبيض بها وبيض أهل البصرة معه»[3]. وقد سلك العباسيون سبيل القسوة مع العلويين ومزقوهم في البلاد واختالوا كثيراً من زعمائهم.

***

(١) اليعقوبي ج٣ ص١٣٦.

(٢) ابن الأثير – الكامل ج٥ ص٢٤٤.

(٣) الطبري، ج٩ ص٢٥٠ – ٥١.

الفصل الثاني:

إسلام البرامكة واتصالهم بالعباسيين

البرامكة قبل الإسلام

كان البرامكة ينتسبون الى أهالي بلخ[1]، وفي ذلك يقول ياقوت: وكانت البرامكة أهل شرف ببلخ قبل ملوك الطوائف[2].

أما ابن خلكان فيذهب الى ان «جدهم برمك من مجوس بلخ... وكان برمك عظيم

(١) ان لمدينة بلخ شهرة واسعة في التأريخ واختلف المؤرخون فيمن بناها فيقول ابن مسكوية – تجارب الأمم (لندن، لوزاك ١٩٠٩) ان لهراسف بنى مدينة بلخ وسماها الحسناء. اما ابن الفقيه – مختصر تاريخ البلدان (ليدن ١٣٠٢) ص٣٢٢. فيرى ان ذا القرنين هو الذي بناها. ولكن القزويني (آثار البلاد واخبار العباد طبعة كونتجن ١٨٤٨) ص٢٢١ يقول ان منو جهر ابن ايرج هو الذي بناها. ويقول انها مدينة عظيمة من امهات مدن خراسان. ويقول المسعودي – التنبيه والأشراف (مصر مطبعة دار الصاوي ١٩٣٨) ص٩٢ ان بلخ كانت عاصمة الفرس ثم انتقلوا منها الى المدائن. وذكر البلاذري – فتوح البلدان (المطبعة المصرية ١٩٣٢) ص٣٩٩ – ٤٠٠، ٤١٧ أن احد ولاة معاوية خرب معبد النوبهار فيها وان احد ولاة هشام قدم عليها وامر ببناء مدينتها ونقل الدواوين إليها. اما الاستاذ ملكون تاريخ فارس (لندن – وليم كلاوز) ج١ ص٤٨ فيقول انها كانت عاصمة للإمبراطورية الإيرانية في عهد الملك اسفندار. وجاء في كشف الظنون ج١ ص٢٨٩ ان محمد بن عقيل البلخي الف كتاب تاريخ بلخ. اما الأستاذ بارتولد – تاريخ الحضارة الإسلامية (مصر مطبعة المعارف) ص٦٣. فيرى انه «لم يكن لأقليم من اقاليم الساسانيين القديمة تأثير في رقى المسلمين ديناً واقتصادا وعلماً كتأثير بلخ التي ظلت مرتبطة بالديانة البوذية حتى قدوم العرب، فمن بلخ نشأ البرامكة وزراء خلفاء بغداد». ومن كل ما سبق يظهر ان لبلخ مكانة عظمى في التاريخ الإيراني قبل الإسلام وبعده.

(٢) الحموي، ياقوت، معجم البلدان (مصر – مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٩٠٦) ج٨ ص٣٢١ – ٢٢.



القدر عندهم ولم اعلم هل أسلم أم لا»[1] ويرى الفخر الرازي أنهم كانوا قديمًا على دين المجوس ثم أسلم من أسلم منهم وحسن اسلامهم[2]. وينتمي البرامكة الى أصل فارسي[3] ولكن الأستاذ كويتن يرى انهم من أصل غير إيراني أنهم كانوا يدينون بالبوذية ولم تكن لهم صلة بالتنظيمات الساسانية الزردشتية[4] غير أننا نرى أن كويتن لم يوفق الى الصواب فيما ذهب إليه فان معظم المصادر تؤيد انهم ينتهون الى الأصل الفارسي هذا الى ان في اتجاه البرامكة وتعصبهم للفرس لدليلاً أخر يؤيد ما ذهبنا إليه[5].

وكان البرامكة سدنة بيت النوبهار ببلخ[6].

ويذهب بعض المؤرخين الى ان بيت النوبهار هذا من بيوت النار وتأمل ما يقوله المسعودي عن بيت النوبهار عند كلامه على هذه البيوت «والبيت الرابع هو النوبهار الذي بناه متوشهر بمدينة بلخ من خراسان... وكان من يلي سدانته تعظمه الملوك في

(١) ابن خلكان – وفيات ج٢ ص٢٤٣.

(٢) الرازي – تاريخ الدول (باريس، دار الطباعة الجمهورية ١٣١٤هـ) ص١١.

(٣) ابن بدرون – شرح قصيدة ابن عبدون (مصر – مطبعة السعادة ١٣٤٠) ص٢٢٢-٢٣ وبراون، تاريخ فارس الأدبي. ج١ ص٢٥٧، وبارتولد الموسوعة الإسلامية – مادة برامكة ج١ ص٦٦٣ وكرد علي – الإسلام والحضارة العربية، (مطبعة دار الكتب العربية، القاهرة ١٩٣٤). ج٢ ص٢١٣.

(٤) كوتين «اصل الوزارة» الثقافة الإسلامية (١٩٤٢) ج١٦ ص٢٥٦.

(٥) أنظر: قول ابي جعفر المنصور لخالد البرمكي عندما نهاه عن هدم إيوان كسرى وقول الرشيد ليحيى في هذه الحادثة نفسها (الطبري ج٩ص٢٦١. والفخري ص١٤١).

(٦) يفسر ياقوت (معجم البلدان ج٨ ص٣٢١ – ٢٢) النوبهار بالبهار الجديد، ويقول كانت سنتهم إذا بنو بناءاً حسناً... كللوه بالريحان... فلما بنو ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار (فصل الربيع) فسمي بالنوبهار. ويؤيد باربييه دي مينارد (المجمع الجغرافي التأريخي والأدبي لفارس والبلاد المجاورة، باريس ١٨٦١ (بالفرنسية) ياقوت في تفسيره ويرى ان كلمة النوبهار تعني الربيع الجديد. اما بارتولد (الموسوعة الإسلامية ج١ ص٦٦٣) فيرى ان اصل الكلمة سنسكريتي «**Nava Vihara**» وتقابل بالإنكليزية «**New Monastery**» اي الدير الجديد، وهذا التفسير اقرب للمعقول ويؤيد بارتولد في تفسيره هذا الاستاذ عبد العظيم خان (تاريخ برامكة ص ح) النوبهار كلمة سنسكريتية مركبة من (نو) و (بهار) والكلمة الأولى تعني جديد والثانية صومعة او دير.

ذلك الصقع»[1].

ويؤيد ابن خلكان المسعودي في أن النوبهار من بيوت النار إذ يقول «وكان - برمك يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران»[2] ويورد ياقوت شعراً للسيد الحميري يظهر منه ان النوبهار من بيوت النار: وبيت شرك وكفر به تعظم نار.

وأبن عماد يؤيد المسعودي بأن النوبهار من بيوت النار[3] إلا أن ثمة من يرى أن النوبهار لم يكن من بيوت النار وإنما كان معبداً وثنياً فيقول القزويني « كان بها النوبهار - بلخ - وهو أعظم بيت من بيوت الأصنام» والحموي على رواية يؤيد القزويني بقوله ونصبوا حوله - النوبهار - الأصنام[4] ويرى الأستاذ باربييه دي مينارد أن عبادة الأوثان معروفة في هذه المنطقة. ولعل انتشار عبادة الأصنام في بلاد إيران في عهد الملك طهامرس[5] يجعلنا نرجح وجود معابد للأوثان ومنها النوبهار في تلك الأصقاع خصوصاً إذا علمنا أن عبادة الأوثان انتشرت قبل عبادة النار بزمن يسير وكان انتشار عبادة النار في عهد الملك كشتاسب الذي كان معاصراً لزرادشت والذي أقام معابد كثيرة في أنحاء مملكته لعبادة النار. وكان قد أرغم السكان على اعتناق الدين الجديد الامر الذي اثار حفيظة ملك التتار واوعده بالحرب ان لم ينبذ الدين الجديد ويعود الى دين اجداده[6]. أما بارتولد

---

(١) المسعودي - مروج، ج٢ ص١٣٦- ٣٧.

(٢) ابن خلكان - وفيات - ج٢، ص٢٤٣، وبراون - تاريخ فارس الأدبي، ج١ ص٢٥٧. ونكلسون تاريخ العرب الأدبي، ص٢٥٩.

(٣) ابن عماد - شذرات الذهب (القاهرة - نشريات مكتبة القدس ١٣٥٠) ج١ ص٣٣٢، وياقوت معجم ج٨ ص٣٢٣.

(٤) القزويني - آثار البلاد، ص٢٢١، والحموي - معجم ج٨ ص٣٢١.

(٥) جون ملكون - تاريخ فارس ج١ ص٩.

(٦) جون ملكون، ص٤٥.



فأنه يبني من كونه معبداً للأوثان أنه معبد بوذي ويستدل على ذلك من وصف أحد الصينيين لذلك البيت في أحدى رحلاته[1] ويذكر القزويني أن الناس كانوا يحجون الى النوبهار من الأقطار المجاورة «وملوك الهند والصين يأتون إليه فإذا وافوا سجدوا للصنم وقبلوا يد برمك، وكذلك الفرس والترك تحج إليه»[2] ولعل في هذه الرواية ما يؤيد كونه معبداً بوذياً لأن البوذية تنتشر أكثر ما تنتشر في الصين والتركستان.

ويذكر المؤرخون أسباباً أسطورية لبناء النوبهار فيزعمون أن ملوك ذلك الزمان لما سمعوا بشرف الكعبة واحترام العرب لها بنوا هذا البيت ليضاهوا الكعبة ويباروها هذا وليس من المعقول أن يقلد الفرس والصينيون العرب في ابنيتهم البسيطة. وكانت الأرض التي حول النوبهار ملكاً لسدنته ولهم(٣٦٠) مقصورة معدة لسكناهم[3]. وللنوبهار قبة تعرف بالاست – **E-oust**– ويظن باربييه أن كلمة الأست هذه مأخوذة من كلمة «**ustun**» التركية. أما ياقوت فيقول أنهم يطلقون على القبة أسم «الأستن» وتنصب على أعلاها الأعلام، وقد يكون هذا مؤيداً لاحتمال باربييه من ان الأسم مأخوذ من أستن التركية[4].

على ان هذه الروايات المتضاربة عما إذا كان النوبهار معبداً وثنياً أو معبداً من معابد النار تجعل من الصعب على الباحث أن يخرج برأي قاطع في الموضوع. ولكني أميل الى ان النوبهار معبد بوذي اعتمادا على ما يراه القزويني نظراً لسعة اطلاعه على احوال إيران وتأريخها من ناحية ولشيوع البوذية في آسيا الوسطى وفي بعض بلاد ما وراء النهر وبلخ من ناحية أخرى كما ان قدوم ملوك الصين والهند لزيارة هذا المعبد تسند هذا الرأي

---

(١) بارتولد الموسوعة الإسلامية ج١ ص٦٦٤. وحتى تاريخ العرب ص٢٩٤-٩٥، والرفاعي – عصر المأمون ج١ ص١٣٦.

(٢) القزويني – آثار، ص٢٢٣ و **E. Barthold, Turkwstan (oxford: university press, 1928.P.**؛ وباربييه ما ينرد – المجمع التأريخي – ص٧٠. وباربييه ما ينرد – المجمع التأريخي – ص٧٠.

(٣) القزويني: آثار: ص٢٢١؛ والحموي: معجم ج٨. ص٣٢١.

(٤) الحموي: معجم: ص٣٢١.



وتقوم دليلاً على صحته. ولو لم يكن هناك سبب ديني يصل ملوك الصين في إيران لما كان هناك مبرر يستثير غضب ملك التتار على كشتاسب الذي بدأ يقسر الناس على اعتناق عبادة النار والانصراف عن عبادة الأوثان[1].

معنى كلمة برمك:

أختلف المؤرخون في معرفة كلمة برمك ألقب هي أم أسم لشخص والذي يظهر من قول المسعودي أن برمكا لقب لسدنة النوبهار إذ يقول ((وكان الموكل لسدانته يدعى البرموك وهو سمة عامة لكل سادن ومن أجل ذلك سميت البرامكة لأن خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت))[2] وياقوت الحموي يؤيد المسعودي بقوله ((وكانوا يسمون السادن الأكبر برمكا لتشبيههم البيت بمكة، ويسمون سادنه أبن مكة فكان كل من ولي منهم السدانة برمكاً... فلم يزل يليه برمك بعد برمك الى ان فتحت خراسان في أيام عثمان... وانتهت السدانة الى برمك أبي خالد بن برمك))[3]. وفسرت كلمة برمك بتفاسير عديدة فيفسرها ابن القيه بباب أو والي، إذ يقول وسموا سادنها الأكبر برمكاً أي أنه باب مكة ووالي مكة[4]. ويظهر من رواية ياقوت أن السادن يسمى أبن مكة، ويرى بارتولدان برمك لم يكن أسم شخص من الأشخاص ولكنه يرمز الى منصب وراثي لرئيس ((سدنة النوبهار في بلخ))[5]. أما لويس شيخو اليسوعي فيرجح ان برمك علم من الأعلام الفارسية غير أن المصادر لا تؤيد هذا الرأي[6].

(١) جون ملكون: تأريخ الفرس: ص٤٥.

(٢) المسعودي – مروج: ج٢. ص١٣٦ – ٣٧.

(٣) ياقوت – المعجم ج٨ ص٣٢٢؛ والقزويني: آثار، ص٢٢٣ و Browne, O. C. P 258.

(٤) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان – ص٣٢٢ ٢٣٠.

(٥) بارتولد: الموسوعة الإسلامية ج١، ٦٦٣، والبستاني، بطرس – دائرة المعارف (بيروت: مطبعة المعارف ١٨٨١) ج٥ ص٢٦٧.

(٦) شيخو. لويس: (معنى اسم برمكي) المشرق (١٨٩٨) ج١ ص٢٨٤ وما بعدها.

أما عبد العظيم كركاني فيرى أن برمك أسم عام مثل الجاثليق رئيس النصارى وجالوت رئيس اليهود[1]. ويورد الأب انستاس الكرملي تفسيراً لكلمة برمك. قد لا يخلوا من خرافة، فيذكر ان أحد البرامكة دخل على الخليفة سليمان فأمر الخليفة بأخراجه من المجلس ولما سئل قال ان في كتفي خرزتين تتحركان عند وجود شخص معه سم، فسأل البرمكي فقال أن تحت فص خاتمي سماً أمصه وقت الشدة، ((وبرمكم)) تقابل بالفارسية كلمة أمص بالعربية فلقب البرامكة من ذلك الحين بهذا اللقب[2] ويكفي ان نقول ان هذا التفسير مردود من الوجهة العلمية، ويروي الدكتور يحيى الخشاب قصة مشابهة للقصة التي أوردها انستاس الكرملي ولكنها تشبهها من حيث ضعفها وما فيها من خرافة ولكنه ينقل رأياً عن فرهنك انجمن آراي ناصري فيما يتعلق بكلمة برمك خلاصة أن برمك على وزن نرمك لقب جعفر البرمكي، وأن نسب البرامكة يتصل بملوك الساسانيين. وكان (جعفر) سادن بيت النوبهار ببلخ ثم يروي القصة المتعلقة بالسم... ويرجع الكاتب كلمة برمكي الى المصدر مكيدن أو برمكيدن[3].

وينفرد السمعاني بتفسير لا تجد ما يشابه في التفاسير التي عرضناها سابقاً فهو يرى ان برمكاً اسم وضع قال: ((كانوا - البرامكة - يسكنون قديماً ببغداد في محلة تعرف بالبرامكة وقيل بل كان يسكنون قرية تسمى البرامكة فنسبوا إليها))[4]. ورأي السمعاني هذا واضح الخطأ من ناحيتين الناحية الأولى ان البرامكة لقبوا بهاذ اللقب قبل بناء بغداد والناحية الثانية أن المصادر تكاد تجمع على ان برمك لقب لسدنة النوبهار.

والذي نراه ان برمكاً لقب عام لسدنة النوبهار ولا بد لي أن اعتمد على هذا الرأي

(١) كركاني عيد العظيم. ص ك.

(٢) الكرملي: أنستاس: ((معنى اسم برمكي)) المشرق (١٨٩٨) ج١، ص٨٤.

(٣) الخشاب، يحيى «نظام الملك والبرامكة» الثقافة (١٩٤٥) مايس ج٨،٩، ص ٣٣٢.

(٤) السمعاني - الأنساب (ليدن ١٩١٢) ص٧٦.

الذي تكاد تجمع على تأييده أغلب المصادر التي سبق أن ذكرناها. ويذكر المؤرخون أن برمكا هذا كان يحكم الأرض التي تخص هذا المعبد فيقول ياقوت ان ملوك تلك المنطقة جعلوا للبرمك ما حول النوبهار من الأراضيين(١). ويقول بارتولد أن الأرض التي تخص هذا المعبد كانت تحت تصرف هذه العائلة وأن مساحتها تبلغ (٧٤٠ ميلاً) بعرض (٤ فراسخ) وطول (٨ فراسخ). وبقي جزء من هذه العقارات بيد البرامكة حتى عهد الرشيد، فيذكر ياقوت أن قرية كبيرة وغنية في روان شرق بلخ كانت بيد يحيى بن خالد البرمكي(٢). ويختلف باربييه دي مينارد مع بارتولد في تقدير مساحة الأرض التي حول النوبهار فيقدها ٧ فراسخ مربعة وان سكان القرى المجاورة كانوا مماليك لبرمك وانه كان ذا سلطة واسعة في هذه الأقطاعية. وبالإضافة الى ما تقدم فقد كان لهذا المعبد أوقاف خطيرة ومهمة(٣). وللدكتور يحيى الخشاب رأي بشأن قوامة البرامكة على النوبهار يقول فيه ((وهم – البرامكة – يتوارثون منذ الفتح العربي لبلادهم القوامة على بيت النوبهار...)) والمعروف ان البرامكة كانوا سدنة لبيت النوبهار منذ عهد قديم يسبق الفتح العربي بمدة طويلة كما جاء في ياقوت والقزويني(٤).

وقد جرت على معبد النوبهار احداث مهمة فتعرض لنكبات قاسية فيذكر البلاذري وأن والي خراسان في عهد معاوية خرب النوبهار(٥) كما ان الفضل بن يحيى امر بهدم بيت النوبهار(٦).

وعندما نكب البرامكة انشد أحد الشعراء الأبيات التالية:

---

(١) ياقوت – معجم ج٨ ص٣٢١ وما يليها.

(٢) بارتولد – الموسوعة ج١ ص٦٦٣ – وما بعدها

(٣) باربيه – المجمع التاريخي، ص٧٠.

(٤) ياقوت – معجم ج٨ ص٣٢١؛ القزويني – آثار ص٢٢٣.

(٥) البلاذري – فتوح – ص٢٩٩ – ٣٠٠.

(٦) الجهشياري – الوزراء ص١٩١.

أوحش النوبهار من بعد جعفر ولقد كان بالرامك يعمر
قل ليحيى أين الكهانة والسحر وأين النجوم من قتل جعفر
أنسيت المقدار أم زاغت الشمس عن الوقت حين قمت تقدر[١]

اسلام البرامكة:

لا توجد لدينا نصوص واضحة عن إسلام البرامكة ويسود التناقض كثيراً من الروايات التي تناولت إسلامهم. فيذكر ياقوت ان السدانة أنتهت الى برمك أبي خالد البرمكي فسار الى عثمان مع رهائن ثم أنه رغب الإسلام فأسلم[٢]. وعند رجوعه الى وطنه أنكر عليه قومه أسلامه وأمر ملك تلك المنطقة بقتله هو وولده.ثم يقول وفرت أم برمك أبي خالد وهو صغير الى بلاد الكشمير ونشأ هناك على دين أيائه ثم رجع وتزوج وولد له خالد[٣].

والتناقض في هذه القصة واضح فمرة يقول أن برمك أبا خالد أسلم في زمن عثمان، ثم يقول ان أم برمك أبي خالد فرت به وهو صغير ثم تزوج برمك هذا ثم أنجب خالد. وهذا التناقض يجعلني أشك في صحة إسلام برمك أبي خالد في عهد عثمان وربما أسلم في زمن متأخر، فيبين الطبري أن برمك قدم الى دمشق وعالج مسلمة بن عبد الملك[٤]. ويذكر الدكتور يحيى الخشاب[٥] أن جعفراً جد البرامكة أستقدم من بلخ بناء على طلب الخليفة سليمان، ويرى في موضع أخر من المقال أنه قدم على عبد الملك والتسمية خطأ في

(١) عبد العظيم، ص ب.

(٢) ياقوت – معجم ج٨ ص٣٢(١)٢٢ وابن الفقيه – البلدان؛ القزويني: آثار. ص٢٢٣.

(٣) أنظر مفصل القصة في ياقوت – معجم ج٨. ص٣٢٢.

(٤) الطبري: (القاهرة: مطبعة الإستقامة ١٩٣٩) ج٥ ص٢١٦.

(٥) الخشاب يحيى ((نظام الملك والبرامكة)) الثقافة مايس (١٩٤٥) ج٣٣٢. ص٨,٩.

كلا الحالتين لأن الذي قدم هو برمك لا جعفر كما جاء في قول الطبري المشار إليه. ولعل برمك هذا هو أول من أسلم من البرامكة إذا يستبعد أن يسمى أبنه أو حفيده برمك بعد إسلامه.

وهناك عدد من المؤرخين يشك في إسلام برمك فذكر أبن خلكان أن برمك من مجوس بلخ ((ولم أعلم هل أسلم أم لا))[1]. ويرجع بارتولد أن برمك الذي قدم على دمشق عاد الى وطنه[2].

وهناك قصة يرويها الطبري تقول أن قتيبة بن مسلم سبي أمرآة برمك أبي خالد فصارت لأخيه عبد الله فوقع عليها ثم أن أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم في قتيبة. فأمر برد السبي فقالت امرأة برمك لعبد الله أني علقت منك، وعند وفاة عبد الله أوصى ان يلحق به ما في بطنها وهي ردت الى برمك[3]. ثم ذكر ان ولد عبد الله جاؤا أيام المهدي فأرادوا أن يلحقوا خالداً بهم فمنعهم مسلم بذلك.وبرى بارتولد أن هذه القصة موضوعة ولا صحة لها وقد وضعها العرب لا للتشرف بالنسب الفارسي بل لينالوا شرف الحظوة لدى الخلفاء العباسيين[4].

وأنا أؤيد بارتولد وأنتقض هذه القصة عن طريق أخر وهو أن القصة تقول أن سبي امرأة برمك أبي خالد حصل في سنة ٨٦هـ وأن عبد الله واقعها وردت غالى زوجها في اليوم التالي فلا بد ان تكون ولادة خالد في سنة ٨٧هـ بينما المصادر تقول ان خالداً ولد في سنة ٩٠هـ[5].

---

(١) ابن خلكان – وفيات – ج٢ ص٢٤٣. وأبن عماد – شذرات الذهب (مصر مطبعة الصدق ١٣٥٠) ج١ ص٣٢٧ – ٢٨.

(٢) بارتولد – الموسوعة – ج١، ص٦٦٤.

(٣) الطبري – ج٥. ص٢١٥.

(٤) بارتولد – الموسوعة – ج١. ص٦٦٤.

(٥) ابن عساكر – التاريخ الكبير (مطبعة روضة الشام) ج٥، ص٢٨، واليافعي. مرآة الجنان (حيدر آباد الدكن

اتصال البرامكة بالعباسيين

أما متى تسنى للبرامكة الاتصال بالعباسيين فذلك الأمر لا نستطيع تحديده على التحقيق ولاكن يبدو أن أتصالهم بالعباسيين ويرجع الى ما قبل قيام الدولة العباسية، فيذكر أبن عساكر أن خالداً كان متصلاً بمحمد بن علي ثم بإبراهيم الإمام من بعده[١] ثم الأستاذ بطرس البستاني فيرى أن أصل اتصال البرامكة بالعباسيين يعد الى قصة سبى امرأة برمك من قبل قتيبة بن مسلم ويجعل سنة ٨٥هـ بداية هذه الحادثة مع ان ذلك حصل في سنة ٨٦هـ[٢].

وأحسب أن تفنيدنا لهذه القصة من جهة وأشارت المصادر الى اتصال البرامكة بمحمد بن علي من ناحية أخرى كاف لدحظ هذا الرأي[٣].

ولقد كان خالد بن برمك عند ظهور أبي مسلم في خراسان من رجاله البارزين فيذكر الطبري أن أبا مسلم أرسله مع قحطبة لفتح طوس بعد هروب نصر بن سيار من مرو[٤] وأن قحطبة أرسله قتال أسيد.

أما أبن خلدون فيذهب الى خالد بن برمك كان من كبار الشيعة ومن الشخوص البارزة في الدولة وانه كان يلي الولايات العظام[٥]. ويظهر انه كان قديراً في المسائل المالية فيذكر اليعقوبي ان خالداً تولى قسمة الغنائم عندما أنتصر قحطبة بن شبيب على قائد

المطبعة النظامية ١٣٣٧) ج٢ ص٤٠٥ – ٦.

(١) ابن عساكر – التاريخ – ج٥ ص٢٨.

(٢) الطبري ج٥، ص٢١٥.

(٣) البستاني – بطرس – دائرة المعارف (بيروت مطبعة المعارف ١٨٨١) ج٥، ص٢٦٧.

(٤) الطبري: ج٩ – ص١٠٤.

(٥) ابن خلدون – التاريخ – ج٣. ص٢٢٣.



الأمويين بجرجان[1] وكان خالد في عسكر قحطبة يتقلد خراج كل ما أفتتحه قحطبة من الكور وتقلد الغنائم وقسمها بين الجند ولا يوجد أحد من أهل خراسان إلا ولخالد عليه يد ومنة لأنه قسط الخراج وأحسن فيه الى أهله[2] وقد كان خالد بعد مبايعة السفاح في الكوفة،من جملة القواد الذين أرسلوا لمحاربة ابن هبيرة في واسط كما يقول الطبري[3]. إما اليافعي فيقول انه كان من جملة من كان مع قحطبة عندما ذهب لقتال ابن هبيرة وقد حظر خالد بيعة أبي العباس فأعجب به وأقره على ما كان يتقلد من الغنائم وجعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند[4].

ويبين الطبري انه ولي ديوان الخراج لأبي العباس في السنوات التالية:

(١٣٢، ١٣٣، ١٣٥ ،١٣٤هـ)، وعند مقارنة هذه الرواية برواية الطبري السابقة التي تشير الى إرساله الى واسط يظهر انه أرسل مؤقتاً ثم ما لبث أن عاد بعد ذلك أو قد لا يكون لقصة بعثه الى واسط نصيب من الصحة. ويبدو ان خالداً هذا كان خبيراً في الشؤون الإدارية بالإضافة الى حذقه الأمر المالية، فيذكر الجهشياري انه أول من جعل ما يثبت في الدواوين بدفاتر بينما كان ذلك يثبت في الصحف قبل عهده وأستطاع خالد بعد فترة من الزمن ان يحل محل الوزير السفاح بعد مقتل الخلال[5]. ويرى جماعة من المؤرخين ان السافح كان قد أستوزر خالداً فعلاً[6].

(١) اليعقوبي: ج٣. ص٨٠.

(٢) الجهشياري – الوزراء – ص٨٧.

(٣) الطبري – ج٩. ص١٠٤.

(٤) اليافعي: مرآة. ج١. ص٤٢٤.

(٥) الجهشياري: الوزراء – ص٨٩.

(٦) المسعودي: التنبيه والأشراف ص٢٩٩ وأبن عساكر: التاريخ الكبير ج٥ ص٢٨، وابن الطقطقي – الفخري – ص١٣٩ وأبن خلكان ج١، ص١٠٦-٧. واليافعي. مرآة. ج١ ص٤٠٧. وأبن بدرون: شرح قصيدة بن عبدون (مصر: مطبعة دار السعادة: ١٣٤٠) ص٢٢٣.

جاء في الفخري أن خالداً كان يعمل عمل الوزير ولا يسمى وزيراً[1]. والمعروف عن خالد هذا أنه كان مشهوراً بإيصاله الرأي فيذكر الجهشياري أن أبا العباس أستشار خالداً في أمر أبي مسلم واتساع نفوذه فأشار عليه ان يكتب لأبي مسلم بان يسقط من جيشه من لم يكن من أهل خراسان فبدأ أبو مسلم بذلك حتى نبهه أحد الجالسين الى المكيدة فكيف عن تنفيذ هذه الفكرة[2]. ويبين أبن الطقطقي أن خالد كان من رجال الدولة البارزين[3]. ويرى الأستاذ عبد الحليم العباس أن منزلة خالد ظهرت في عهد المنصور بعد ان أبلى فيه نصرة الدعوة العباسية[4]. والمعلوم ان خالداَ كان يتمتع بمنزلة عالية في عهد الخليفة السفاح حتى أنه أقره على ما كان يتقلد من الغنائم وجعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج[5] وديوان الجند[6] وأنه كان بمثابة الوزير لأبي العباس.

وللدكتور وجيه علي نجا رأياً قريب من رأي الأستاذ عبد الحليم ذلك أن خالداً لم يكن من القادة ولا من العظماء وأنما كان من جند قحطبة[7]. ولاكنني أعتقد ان فيما قدمته للقارئ عن منزلة خالد ما يكفي لدحظ هذا الرأي.

(١) الفخري – مطبعة المعارف ١٩٢٣ – ص١٤٠ -٤١.

(٢) الجهشياري ص٩٤.

(٣) الفخري – ص١٣٩.

(٤) العباس – عبد الحليم – البرامكة في بلاط الرشيد، ص٣٥.

(٥) الجهشياري، ص٨٩.

(٦) الفخري: ١٤٠.

(٧) وجيه علي نجا: البرامكة: جريدة المنتفك (١٩٤٠).

البرامكة في عهد المنصور

أستمر في عهد المنصور الذي ولى خالداً ديوان الخراج[1] ثم ارسله الى محاربة الأصبهذ، وقد انتصر خالد وأستولى على كنوز الأكاسرة هناك[2] أما أبن الطقطقي فيقول لما تولى المنصور الخلافة اقر خالداً على وزارته[3]. ثم ولاه بعد ذلك عدة ولايات منها بلاد فارس التي أقام فيها سنتين ولكن عهده في فارس لم يطل إذ وشى به أبو أيوب المرياني فنكبه أبو جعفر وألزمه ٣ ملايين درهم[4] فأسعفته الخيرزان فجوهر قيمته ألف درهم ومئتي ألف درهم لمساعدته. ومن الولايات التي ولاها خالد الري وطبرستان ودنباوند وكان مقامه بطبرستان وخلف أبنه يحيى بالري[5] ويذكر أبن خلدون ان المنصور في سنة ١٤٨هـ ولى خالداً على الموصل لأفساد الأكراد في نواحيها [6] بالرغم من حظوة خالد لدى الخلفاء فأنه يكن التعصب للفرس وللمؤسسات الفارسية فيذكر الطبري أن المنصور أحتاج مواد البناء عندما بنى بغداد فأراد هدم إيوان كسرى في طيسفون (المدائن) فأشار إليه خالد بن برمك إلا يفعل، فقال هيهات أبيت إلا الميل للعجم[7]. ويقول براون أن هذه الحادثة وحادثة النوروز مع يحيى بن خالد في عهد الرشيد حينما حاول تأجيل النوروز لمدة شهرين، تدلان على ان البرامكة كانوا لا يزالون يضمرون المجوسية ويظهرون

---

(١) الجهشياري: ص٩٩.

(٢) ابن الفقيه المصدر السابق – ص٣١٤.

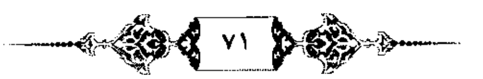
(٣) الفخري – ص١٤١.

(٤) الجهشياري. ص٩٩؛ ابن خلدون. العبر وديوان المبتدا والخبر. ج٣، ص٢١٧.

(٥) الجهشياري ص١٣٦.

(٦) ابن خلدون: ج٣، ص٢٠١ – ٢٠٢.

(٧) الطبري: ج٩، ص٢٦١؛ الفخري: ص١٤١.



الإسلام[١] ونحن لا نؤيد براون في رأيه هذا ولا نرى في هذين الحادثتين ما يحملان المؤرخ على مثل هذا الاستنتاج.

وقد لعب خالد دوراً مهماً في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد فصاحب الفخري يذكر ان المنصور لما أراد خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد أرسل إليه خالد بن برمك مع جماعة فأبى عيسى فرأى خالد ان يشهدوا على عيسى... لإخماد الفتنة[٢].

وكان خالد بن برمك على جانب كبير من الذكاء والفطنة فيقول عنه اليافعي[٣] لم يبلغ مبلغ خالد أحد من أولاده لا يحيى في رأيه ووفور عقله ولا الفضل بن يحيى في جوده ونزاهته ولا جعفر في كتابته وفصاحة لسانه ولا محمد بن يحيى في شرفه وبعد همته ولا موسى في شجاعته وبأسه.

وكان خالد إلى هذا كله مشهور بالكرم، فيذكر أبن الطقطقي ان بعض الشعراء كتب الى خالد بن برمك في يوم نوروز، وقد اهدى الناس الى خالد هدايا فيها جامات من فضة وذهب:

ليت شعري أمالنا منك حظ ... يا هداية الوزير في النوروز
ما على خالد بن برمك في الجود ... نوال ينيله بعزيز
ليت لي جام فضة من هداياه ... سوى ما به من مجيزي[٤]

فأمر له بجميع ما كان لديه منها. وقد كثر الوافدون على بابه ومدحه الشعراء، وكان الوافدون قبل ذلك يسمون سوالا فسماهم الزوار[٥] والى ذلك أشار أحد الشعراء بقوله:

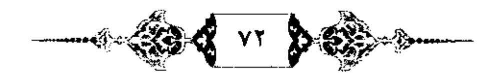
(١) Browne O. C. P.258 – 259.

(٢) الفخري، ص١٥٦.

(٣) اليافعي: مرآة ج١. ص٤٢٤.

(٤) الفخري: ص١٤١.

(٥) الفخري. ص١٤٠.



حذا خالد في جوده حذو برمك	فجود له مستطرف وأثيل
وكانوا بنوا الأحرار يدعون قبله	باسم على الأعدام فيه دليل
يسمون بالسوال في كل موطن	وأن كان فيهم تافه وجليل
فسماهم الزوار ستراً عليهم	فأستاره في المجتدين سدول[1]

المهدي والبرامكة

أحتفظ البرامكة بنفوذ كبير في خلافة المهدي إذ كان الخليفة يعتمد عليهم ببعض مهام الدولة فيذكر الجهشياري أن المهدي لما أغزى هارون الصائفة في ١٦٣هـ أنفذ معه خالد بن برمك وقد كتابته ونفقاته وتدبير أمر عسكره الى يحيى بن خالد ففتح عليهم وحسن أثر يحيى وقام به[2].

وقد عني خالد بتربية أبنه يحيى تربية فائقة فبرز هذا في الشؤون العامة بعد أتصاله بهارون الرشيد ويبين لنا الطبري أن مبدأ الاتصال حصل على عهد المهدي فيقول: ((ولما ندب المهدي هارون الرشيد إما ندبه من الغزو أمر أن يدخل عليه كتاب أبناء الدعوة لينظر إليهم ويختار منهم رجلاً، قال يحيى فأدخلوني عليه معهم... فقال لي أني قد تصفحت أبناء شيعتي وأهل دولتي وأخترت منهم رجلاً لهارون أبني أضمه إليه ليقوم بأمر عسكره ويتولى كتابته فوقعت عليك خيرتي له ورأيتك أولى به إذ كنت مربيه وخاصته وقد وليتك كتابته وآمر عسكره[3] وذكر الجهشياري أن المهدي ولى خالداً مقاطعة فارس فسقط الخراج على أهلها ووضع عنهم خراج الشجر وكانوا يلزمون له خراجاً ثقيلاً وقد أكثر الصلات والجوائز وقد حصل لخالد أن أثار غضب المهدي عليه وذلك أنه أتهم بقتل

(١) كركاني. عبد العظيم. تأريخ البرامكة ص لب.

(٢) الجهشياري، ص١٥٠.

(٣) الطبري ج١٠. ص٣٢٤. وأبن خلكان ج٢ ص٢٤٣. والخطيب - تاريخ بغداد (مصر: مطبعة السعادة: ١٩٣١) ج١٤، ص١٢٨ ٢٩.



أحد القواد فحبسه الخليفة ووضع عليه غرامة ثقيلة فكان يؤدي في كل يوم جمعة مليون درهم، وقد شفعت الخيزران بخالد فعفى عنه ورده الى منزلته[1].

يظهر مما قدمنا أن البرامكة كانوا ذوي نفوذ في الدولة في عهد الخلفاء الثلاث الأول الذين كانوا يستخدمونهم في الحرب والسياسة ولكن نفوذهم هذا لم تكن له خطورته إذا ما قارناه بنفوذهم في عهد الرشيد، وقد رأينا كيف أن المنصور نكب خالداً وألزمه (٣) ملايين درهم وكذلك المهدي.

والذي أستنتجه البرامكة بدأوا بعد المهدي دوراً جديداً من حياتهم ويبدأ هذا الدور من اتصال يحيى بالأمير هارون ومساندته له تلك المساندة التي كان لها أثرها خلال أيام محنته في عهد الهادي الذي صمم على نتيجة أخيه من ولاية العهد. وقد ألف البرامكة بالاتفاق مع الخيزران حزباً لزم جانب الرشيد ضد الهادي، وقد لعبت الخيزران أم الهادي والرشيد دوراً هاماً في سياسة الدولة[2].

بدأت بوادر هذا الدور تظهر في عهد المهدي وأختفت الى حين في أواخر عهد الهادي الذي صمم على أن يضع حداً لتدخل النساء في شؤون الدولة وقد كلفه ذلك غالياً إذ ذهب ضحية لهذه السياسة كما سنفصل ذلك في حينه. وقد بلغ نفوذ الخيزران غايته في عهد الرشيد وكانت على وفاق تام مع البرامكة منذ زمن المهدي ولقد مر بك أنها شفعت بخالد وكانت سبباً في أرجاعه الى منزلته كما أنها اسعفته بالمال حينما غضب عليه المنصور وأعانته بمليون ومئتي ألف درهم[3].

(١) الجهشياري ص١٥١.

(٢) الفخري: ص١٧٣.

(٣) الطبري ١ ص٣٣.

البرامكة في عهد الهادي:

قلنا سابقاً أن يحيى أتصل بالرشيد أول ما أتصل به في عهد المهدي وعندما جاء المهدي أقر يحيى على وظائفه السابقة فيذكر الطبري: ((أن الهادي لما أفضت إليه الخلافة أقر يحيى على ما كان يلي هارون من عمل المغرب))(1) ويقول الجهشياري: ((أن الهادي أمر يحيى أن يقوم بأمر هارون أخيه وأقره على كتابته وتدبير الأعمال التي كانت إليه))(2).

ولكن علاقة الهادي بالرشيد وصديقه الحميم يحيى ما لبثت أن تعكرت حينما عزم الهادي على خلع الرشيد وعقد البيعة لأبنه جعفر وقد تنكر لأبن هارون وعمل على خلعه وتقليد أبنه جعفر بن موسى وهو طفل(3)، وهنا تتجلى حنكة يحيى في مساعدة الرشيد فيلعب دوراً مهما بين الخليفة وأخيه ويسند الرشيد بقوة ويشجعه على عدم الأستخذاء والقبول بالتنازل عن الخلافة فيقول الجهشياري: ((فعزم هارون على أجابته - الهادي - فمنعه يحيى بن خالد فبذل له موسى الهني والمري... فقال هارون ليحيى إذا نزلت على الهني والمري وخلوت بأبنه عمي فما أريد شيئاً فقال يحيى أنها الخلافة... ولم يزل به حتى ثبته))(4).

وقد أستمر يحيى في تشجيع الرشيد على الأمتناع في تلبية رغبة الهادي بالرغم من تشديد الخليفة على كل من يتقرب من الرشيد فذكر الطبري أن الهادي منع الناس من أحترام الرشيد فأجتنبه الناس ولم يجرؤ أحد أن يسلم عليه أو يقترب منه وكان يحيى بن

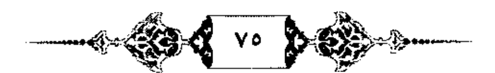
---

(1) الطبري، ج1، ص99.

(2) الجهشياري ص169.

(3) الجهشياري - ص169 - 70.

(4) الطبري: ج10، ص33.



خالد يقوم بأنزال الرشيد ولا يفارقه هو وولده[1] وحتى الخيزران أم الرشيد كانت تلح على يحيى وتطلب منه أن يترك الرشيد ويسمح له بإجابة رغبة أخيه فيذكر الطبري أنها بعثت خادمتها ليحيى فقالت له: ((قالت لك السيدة الله الله في ابني لا تقتله ودعه يجيب أخاه الى ما يسأله ويريده منه فبقاؤه أحب إلي من الدنيا بجميع ما فيها فقال: وما أنت وهذا. أن يكن ما تقولين فأني وولدي وأهلي سنقتل قبله))[2] .

وقد عرف الهادي انه يحيى هو الذي كان يشد أزر هارون ويغريه على العصيان قال الطبري ان الهادي قال ليحيى ((مالي ولك قال أنا عندك... قال فلم تدخل بيني وبين أخي تفسده علي))[3] وكان أعداء يحيى يحرضون الهادي على يحيى حتى حبسه وقد طلب يحيى مقابلة الهادي من السجن فسمح له بذلك فقال يحيى ((أرأيت أن كان الأمر أسأل الله ان إلا يبلغه أتظن أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر وهو لم يبلغ الحلم.. ولكن أرى أن تقر هذا الأمر على حاله فإذا بلغ جعفر أتيته بالرشيد فخلع نفسه وكان أول من بايعه))[4] فهدأت سورة الهادي لمدة قصيرة ولكنه عاد وأخذ يضايق الرشيد ليحمله على التنازل.

بقي الرشيد وكاتبه يحيى في قلق شديد حتى وفاة الهادي الفجائية وقد توفى الهادي ويحيى بالحبس[5]. ويكتنف الغموض وفاة الهادي ولا يعلم بالضبط ما إذا كان قد توفى وفاة طبيعية أم أن الخيزران قتلته، وأنا أميل الى ان الخيزران قتلته بالإتفاق مع يحيى للأسباب الأتية:

١. جردها الهادي من سلطتها السياسية التي كانت تتمتع بها في عهد المهدي فجاء في

(١) الطبري: ج١٠ – ص٣٦.
(٢) الطبري: ج١٠. ص٣٣.
(٣) الطبري: ج١٠. ص٣٦.
(٤) الفخري: ص١٨٠. الطبري ج١٠ ص٣٥.
(٥) الجهشياري: ص١٧٤.



الفخري ((قيل ان الخيزران كانت منبسطة في دولة المهدي تأمر وتنهي وتشفع وتبرم وتنقض والمواكب تروح وتغدو الى بابها - فلما ولي الهادي.. كره ذلك وقال ما هذه المواكب التي بلغني أنها تغدو وتروح الى بابك؟ والله.. لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي وخاصتي لأضربن عنقه))[1] .

٢. خوفها على الرشيد من القتل، وكانت تحبه حباً جماً فذكر الطبري ((وخافت الخيزران على هارون منه دست إليه من جواريها... من قتله بالغم والجلوس علة وجهه))[2].

٣. تصرف الخيزران عند موت الهادي وعدم أهتمامها لموته يحمل على الأعتقاد أنها كانت مسبوقة في هذا الأمر كما ان أبلاغه يحيى نبأ وفاة الهادي يدل على أنها هي التي دبرت قتله. فيذكر الجهشياري أن يحيى كان بالحبس ويخشى القتل في تلك الليلة فيقول يحيى: ((فإذا أنا خادم يقول لي السيدة تريدك فأتيت الخيزران فقالت لي ان هذا الرجل قد مات...))[3] وانه لمن المستبعد أن تسلك أم سلوكا كهذا حين ينعى إليها ولدها أما الطبري فيوضح المؤامرة بين يحيى البرمكي والخيزران فيقول أنها وجهت الى يحيى بين خالد ان الرجل قد توفى فأجدد في أمرك ولا تقصر))[4].

والدكتور يحيى الخشاب يرى أن يحيى نجح في صرف الهادي عن عزل الرشيد فيقول ((وكما نجح يحيى بن خالد بن برمك في صرف الهادي عن توليه أبنه جعفر بدل أخيه هارون، كذلك نجح نظام الملك...))[5] وقد رجعت الى كثير من المصادر لمناقشة رأي الدكتور فرأيت أنها تكاد تجمع على ان يحيى لم ينجح قط في صرف الهادي وأخراج فكرة تولية أبنه بدلاً من أخيه هارون من ذهنه وبقى الهادي مصراً على فكرته حتى وفاته

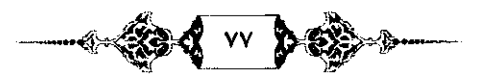
(١) الفخري: ص١٧٣.

(٢) الطبري: ج١٠. ص٣٣. وأبن خلدون ج٣. ص٢١٧ وابو الفداء. ج٢.

(٣) الجهشياري: ص١٧٤.

(٤) الطبري: ج١٠. ص٣٤.

(٥) الخشاب. يحيى - ((نظام الملك والبرامكة)) الثقافة ج٣٣٢ مايس ١٩٤٥ ص ٧-٨.



الفجائية التي نظن أن للخيزران ويحيى أثراً فيها وقد كان يحيي نفسه سجيناً في الليلة التي توفي فيها الهادي بسبب مشايعته لهارون فيذكر الجهشياري أن يحيى كان بالحبس وانه كان يخشى القتل في تلك الليلة وقد قال: ((فإذا أنا بخادم يقول لي السيدة تريدك، فقالت لي ان هذا الرجل قد مات))[1]. أما الطبري فيوضح الأمر توضيحاً لا غبار عليه بقوله ((ولما لم ير الهادي يحيى بن خالد يرجع عما كان عليه لهارون بما بذل له من أكرام.. بعث إليه يهدده بالقتل أن لم يكف عنه.. فلم تزل تلك الحالة من الخوف والخطر... وأن جماعة من القواد تآمروا على حمل الهادي على قتل يحيى في ليلة وفاته ولكنهم عدلوا عن رأيهم)) وقد بعثت الخيزران الى يحيى تعلمه أن الرجل لما به وتأمره بالأستعداد لما ينبغي))[2].

أخرج من هذا كله الى ان الدكتور الخشاب لم يكن مصيباً في ما ذهب إليه. وقد جاء في حاشية مقاله السالف الذكر ((وقد تدرج البرامكة في خدمة الأمويين وبلغوا أعلى الدرجات))[3] وأرى أن رأي الدكتور هذا ينقصه التثبت ويحفه الخطأ ذلك لأن المصادر الموجودة لدينا لم تذكر لنا ان البرامكة خدموا الأمويين كموظفين هامين أو وزراء في الدولة وكل ما هنالك أن أحدهم قدم كطبيب متواضع الى بلاط عبد المطلب بن مروان. والثابت هو أن البرامكة لم يكن لهم شأن يذكر في الدولة العباسية إلا في العهد العباسي وخاصة عندما أتصل خالد البرمكي بالسفاح وبمحمد بن علي وإبراهيم الإمام من قبله[4].

---

(١) الجهشياري – الوزراء والكتاب (مصر: مطبعة البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى ١٩٣٨) ص١٧٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك (القاهرة: مطبعة الإستقامة ١٩٣٩) ج٦، ص٤٢٦ – ٤٢٧.

(٣) الخشاب – يحيى الثقافة ج٣٢٤ ص٧ – ٨ مايس ١٩٤٥.

(٤) ابن عساكر – التاريخ الكبير، ج٥ ص٢٨. واليافعي مرآة ج١ ص٤٢٤.

الفصل الثالث:

البرامكة في عهد الرشيد

ذكرنا في الفصل السابق موت الهادي الفجائي وما أحاط به من الشكوك وبموته قبرت فكرة خلع الرشيد وأسرع القواد ورؤساء الهاشميين الى مبايعته ولم يلق الرشيد مقاومة تذكر من جعفر بن الهادي فقد ذكر ابن الأثير أنه ((لما مات الهادي هجم خزيمة على جعفر وقال له لتخلعنها أو لأضربن عنقك فأجاب الى الخلع))[١]. وقد أقترحت الخيزران على يحيى البرمكي أن يقتل من كان تسرع الى خلع الرشيد فرأى بأن يوجهوا الى الأعداء[٢]. وعندما تقلد الرشيد الخلافة عرف ليحيى حقه وفضله فقلده الوزارة وفوضه تفويضاً مطلقاً وقال له ((يا أبتي أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك فأحكم بما ترى وأستعمل من شئت وأسقط من رأيت، فأني غير ناظر معك في شيء))[٣]، وذكر الجهشياري أن إبراهيم الموصلي أنشد شعراً بمناسبة أستيزار يحيى:

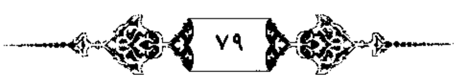
بيمن أمين الله هارون ذي الندى　　　فهارون واليها ويحيى وزيرها[٤]

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤٦.

(٢) الجهشياري، ص١٧٧.

(٣) الجهشياري، ص١٧٧؛ والطبري، ج١٠، ص٥٠؛ وابن خلكان ج٢ ص٤٤٣؛ وأبن الأثير،الكامل،ج٦، ص٤٣.

(٤) الطبري، ج١٠، ص٥٠.



وجاء في الفخري أن الرشيد ((أستوزر يحيى بن خالد وكان كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافة، فنهض يحيى بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض وسد الثغور وتدارك الخلل، وحبي الأموال وعمر الأطراف[١]. وخول الرشيد يحيى سلطات واسعة فقد ذكر الجهشياري أن الدواوين كلها الى يحيى بن خالد سوى ديوان الخاتم))[٢].

ويورد الطبري رواية يبين فيها أن الخاتم كان مع الفضل الطوسي وبعد وفاته دفعه الرشيد الى يحيى بن خالد فأجتمعت له الوزارتان[٣] ونظن ان المقصود بديوان الخاتم هو الديوان الذي أحدثه معاوية بعد حادثة التزوير المشهورة[٤]. وكان يحيى أول من امر من الوزراء... وكانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ بأسم يحيى بن خالد ولم تكن تنفذ إلا عن الخليفة[٥]. ولعل في الأبيات التي أنشدها سلم الخاسر في مدح البرامكة إشارة الى هذا اللقب:

وكيف تخاف من بؤس بدار	تكنفها البرامكة البحور
وقوم فيهم الفضل بن يحيى	تفسير ما يوازنه تفسير
إذا ما البرمكي غدا أبن عشر	فهمته وزير أو أمير[٦]

ويوضح لنا الطبري المدى الذي بلغته سلطة يحيى بقوله: ((أن الرشيد فوض أموره كلها الى يحيى بن خالد))[٧].

---

(١) الفخري: ص١٧٩.

(٢) الجهشياري، ص١٧٧.

(٣) الطبري، ج١٠، ص٥٠.

(٤) أنظر الجهشياري، الوزراء والكتاب، مطبعة عبد الحميد،١٩٣٨،ص١٥.

(٥) الجهشياري، ص١٧٧؛ وكويتن، أصل الوزارة (الثقافة الإسلامية ١٩٤٢) ج١٦، ص٣٨٤؛ والدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ص١٥٩.

(٦) الطبري، ج١٠،ص٦٢-٦٣.

(٧) الطبري: ج١٠، ص٦٢.



يحيى والخيزران

ذكرنا فيما سبق شيئاً عن الخيزران وبينا أنها كانت من أنشط أعضاء حزب الرشيد ويحيى في عهد الهادي وقد كانت تجمع هؤلاء الثلاثة مصالح مشتركة، فالخيزران تحب الرشيد من جهة وتطمح بالتدخل في أمور الدولة من جهة أخرى ويحيى متعلق مستقبله بنجاح الرشيد وتسنمه كرسي الخلافة فلذا تكاتفوا جميعاً من اجل مصالحهم ولما بويع الرشيد بالخلافة لم ينكر فضل زملائه في الحزب ومساعديه في نيل الحكم فأطلق يد يحيى في تسيير دفة الحكم وكان يحيى يدير دفة الأمور بمشاورة الخيزران ولا يعمل شيئاً إلا بمشورتها. ذكر الجهشياري أن يحيى قام بالأمور ((وكان يعرض على الخيزران ويورد ويصدر عن أمرها))[١]. ويرى الأستاذ صباح فالح روسان أن يحيى كان مضطراً في أول الأمور حتى نبذ مشورتها وشدد عليها فكانت سبباً من الأسباب التي دعت الى هلاك البرامكة))[٢] ولكن هذا الرأي مردود من ناحيتين:

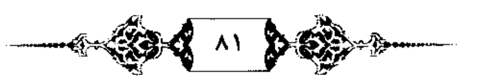
١. أن الخيزران كانت على وفاق تام مع البرامكة[٣] حتى وفاتها وكانت تمنع الرشيد من تقديم غيرهم عليهم، يروي الطبري عن يحيى بن الحسن قال: ((رأيت الرشيد يوم ماتت الخيزران... فلما خرج من المقبرة... دعا الفضل بن الربيع فقال له وحق المهدي... أني لأهم لك في الليل بشيء من التولية وغيرها فتمنعني أمي فأطيع أمرها فخذ الخاتم من جعفر))[٤] ويوضح أبن خلدون علاقة الخيزران بيحى بقوله ((أن

(١) الجهشياري: ص١٧٧، والطبري، ج١٠،ص٥٠؛ وأبن الأثير، الكامل ج٥، ص٤٣.

(٢) روسان،صباح فالح، تحقيق في نكبة البرامكة، مجلة العرفان (آذار ١٩٣٠) ج٢٣،ص٥٢٩ وما يليها.

(٣) الدوري عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ص١٥٨؛ عبد الحليم العباس، البرامكة في بلاط الرشيد،ص٣٨.

(٤) الطبري ج١٠ ص٥٢؛ ابن الأثير ج٦، ص٤٨.



يحيى كان يصدر عن رأي الخيزران أم الرشيد))[1] ويؤيد بارتولد هذا الرأي إذ يقول أن الخيزران كانت شريكة يحيى في الحكم))[2] .

٢. كانت وفاة الخيزران سنة (١٧٣هـ)[3] وذلك عندما كان البرامكة في أعز أيامهم وأوج عظمتهم فلا مجال للقول فضلاً عن الأعتقاد بأن الخيزران كانت من أسباب انقراضهم ونكبتهم خصوصاً إذا علمنا أن نكبتهم حصلت في سنة (١٨٧هـ)[4] .

الفضل بن يحيى والرشيد:

كان الفضل أخا للرشيد من الرضاعة فقد ذكر أبن الطقطقي أن (الفضل من كرام الدنيا... وكان قد أرضعته أم هارون الرشيد وأرضعت أمه الرشيد)[5] والى هذا أشار مروان ابن أبي حفصة مخاطباً الفضل:

كفى لك فخرا أن أكرم حرة   غذتك بثدي و الخليفة واحد

وكان يحيى يعتمد على الفضل كثيراً ويقدمه على جعفر خلافاً لرغبة الرشيد الذي كان يؤثر جعفراً، ذكر الجهشياري يحيى أن يحيى (يميل الى الفضل والرشيد الى جعفر، فكان الرشيد يقول ليحيى كثيراً أنت للفضل وأنا لجعفر))[6] ولعل السبب الذي حدا بالرشيد لأن يفضل جعفر ميله الى منادمة جعفر له، ويبين ابن الطقطقي سبب ذلك الميل فيقول ((كان الرشيد يأنس به (جعفر) أكثر من انسه بأخيه الفضل[7] لسهولة أخلاق جعفر وشراسة أخلاق الفضل الوزير الصغير ولا يسمعون جعفر بذلك؟ فأجابه يحيى

---

(١) ابن خلدون، التاريخ،ج٣، ص٢١٧.

(٢) بارتولد، الموسوعة الإسلامية، مادة برامكة،ج١، ص٦٦٣.

(٣) الطبري ج١٠،ص٥١.

(٤) الطبري ج١٠، ص٥١.

(٥) الفخري، ص١٨٣؛ الطبري، ج١٠، ص٤٨.

(٦) الجهشياري، ص١٨٩.

(٧) ابن الطقطقي، الفخري ص١٨٧.

لأن الفضل يخلفني ولعله قصد من ذلك ان الفضل يقوم بالأعمال نيابة عن، وذكر أبن خلكان ان الرشيد ((قد ولاه – الفضل – الوزارة قبل جعفر وآراد ان ينقلها الى جعفر فقال ليحيى إني أريد جعل الخاتم الذي لأخي الفضل لجعفر))(١) ونعتقد ان المقصود بكلمة وزارة هنا نيابة الوزارة إذ ان يحيى كان كثيراً ما ينيب أبنه الفضل عنه لاعتماده عليه(٢) أما جعفر فكان ينوب عن أبيه أحياناً وذلك لانشغاله بمنادمة الرشيد وأنصرافه عن الأهتمام بشؤون الدولة العامة وقد بين ذلك الأستاذ كوتين بقوله أن هناك ما يشير الى ان جعفراً شارك أباه بالوزارة ولكن ليس معنى هذا أن جعفراً أقتسم السلطة مع أبيه كما هي الحال عند البويهين، بل انه يعني أن جعفراً كان محبوباً لدى الخليفة بالرغم من لا يصلح للأعمال الإدارية، وقد يعني أطلاق كلمة وزير عليه أنه مجرد مساعد وموضع ثقة الحاكم(٣).

ويرى الأستاذ بطرس البستاني يحيى أعتزل العمل ((وجعل الوزارة متداولة بين ولديه الفضل وجعفر ثم أختص بها جعفراً... غيرا أن جعفرا هو الذي كان صاحب الشهرة والسيادة والأمر في أيام الرشيد))(٤) هذا ما يراه الأستاذ، وهو رأي خاطئ وندلل على خطأه بما يأتي:

١. أن يحيى لم يعتزل الوزارة بل سجن بعد مقتل جعفر وبقي يتقلب في السجن حتى توفي فيه(٥).
٢. ان جعفراً لم يكن أكثر سلطة من أخيه الفضل ونعتقد ان ما أوضحناه قبل قليل كاف

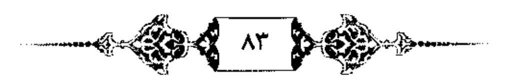
(١) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٤٠٨.

(٢) فلبي، هارون الرشيد (انكلترا – ادنبره مطبعة الجامعة ١٩٣٣) ص ١١٣ .

(٣) كويتن، أصل الوزارة، الثقافة الإسلامية (١٩٤٢) ج١٦، ص٣٨٦.

(٤) البستاني بطرس، دائرة المعارف (بيروت مطبعة المعارف ١٨٨١) ج٥، ص٢٦٧.

(٥) الجهشياري، الوزراء، ص٢٣٥؛ الطبري، ج١٠، ص٨٥.



لتأييد هذا الرأي[1].

وكان الرشيد يرغب في أشتراك جعفر بالحكم فطلب من يحيى مرة أن يخبر الفضل في نقل الخاتم الى جعفر فكتب يحيى الى الفضل ((قد آمرك أمير المؤمنين الى تحول الخاتم من يمينك الى شمالك)) فأجاب الفضل بالرضا وقال لا فرق بينه وبين أخيه[2].

وقد ولي الفضل الولايات الهامة في الدولة وأنتدب لمهمات سياسية عظيمة وكان أخماد حركة يحيى العلوي من اكبر المهمات التي أسندت إليه، وقد ظهر يحيى في شمال بلاد إيران ويقول الطبري انه ((ظهر بالديلم وأشتدت شوكته وقوي أمره ونزع إليه الناس من الأمصار والكور فأغتنم لذلك الرشيد... وندب إليه الفضل بن يحيى))[3] ويبين الجهشياري انه لما أنتشرت حركة يحيى بالديلم وقوي أمره ((شق يذلك الرشيد وأنهض عليه الفضل بن يحيى... وأنهض معه وجوه القواد[4].

وكان خروج يحيى سنة (١٧٦) هـ ولذلك ولى الرشيد الفضل كور الجبال وطبرستان ودنباوند وأرمينية[5]. ويفسر ابن الطقطقي كيفية خروج يحيى العلوي فيقو ان يحيى ((خاف مما جرى على أخويه النفس الزكية وإبراهيم قتيل باخمرى، فمضى الى الديلم فأعتقدوا فيه أستحقاق الإمامة وبايعوه))[6]. وأنا أشك في قول أبن الطقطقي وأميل الى رأي الأصفهاني الذي يرى بأن يحيى هرب بعد وقعة فخ في عهد الهادي إذ يستبعد ان يكون قد هرب في عهد المنصور ثم تأخر الى (١٧٦هـ)[7]. ويؤيد هذا الرأي الأستاذ

(١) الفخري: ص١٨٦. وابن كثير البداية، ١٠ج، ص ٢٠٤؛ وبارتولد، الموسوعة ج١، ص٦٦٣.

(٢) ابن الطقطقي، الفخري، ص١٨٧.

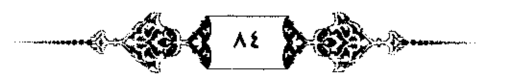
(٣) الطبري، ج١٠، ص٥٤.

(٤) الجهشياري، ص١٨٩.

(٥) الطبري، ج١٠، ص٥٤.

(٦) الفخري، ص١٧٦.

(٧) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين (النجف: المطبعة الحيدرية ١٣٥٣) ص٣١٠؛ ومحاضرات عبد العزيز الدوري.



صبيح عبد القادر بقوله: ((أن أميرين علويين فرا من وقعة فخ أحدهما يحيى بن عبد الله والثاني أخوه إدريس))[1].

وهنا تظهر لنا كياسة الفضل بن يحيى إذ انه فضل استعمال السياسة مع العلوي الثائر ولم يرغب في نكبة العلويين[2] فحاول ان يفرق أصحاب يحيى وقد نجح في ذلك فيذكر الطبري أن الفضل كاتب صاحب الديلم وجعل له مليون درهم على ان يخذل يحيى [3]. هذا من جهة ومن جهة ثانية أن الفضل أخذ يراسل يحيى ويرغبه في الصلح. فيذكر الجهشياري أن الفضل ((واصل كتبه الى يحيى بن عبد الله... بالرفق والأستمالة والتحذير والترغيب والترهيب وبسط الأمل الى؟ان أجاب يحيى الى الصلح[4]، وكان لأنفضاض أصحاب يحيى عنه أثر كبير في ميله الى عقد الصلح فيذكر الأصفهاني أن أصحاب يحيى تفرقوا عنه لذا أضطر الى الصلح[5].

وعندما رأى يحيى نفسه أمام الأمر الواقع طلب من الفضل أماناً بخط الرشيد فأجاب الفضل طابه. ويحدثنا الطبري عن هذا الأمان بقوله ان الرشيد (كتب أماناً ليحيى بن عبد الله وأشهد عليه الفقهاء والقضاة وجلة بني هاشم ومشايخهم))[6] وقد وثق يحيى بهذا الأمان وقدم مع الفضل الى بغداد ولكن الرشيد لم يطمئن الى يحيى فحبسه عند البرامكة، وبقى يحيى يتقلب في حبوس البرامكة حتى أطلقه جعفر البرمكي ويرى كثير من المؤرخين أن أطلاق يحيى العلوي كان سبباً من أسباب نكبة البرامكة وسنعرض

---

(١) صبيح عبد القادر، هارون الرشيد، ص٦٤؛ الرفاعي،عصر المأمون (القاهرة – مطبعة دار الكتب ١٩٢٧) ج١، ص١٢٢.

(٢) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ، ص٣١٣.

(٣) الطبري،ج١٠، ص٥٤؛ ابن الأثير الكامل، ج٦، ص٥٠.

(٤) الجهشياري، ص١٩٠.

(٥) الأصفهاني، مقاتل، ص٣١٢.

(٦) الطبري، ج١٠، ص٥٤؛ والجهشياري،ص١٩٠.

لتفصيل ذلك عند البحث في أسباب النكبة وعندما ألقي القبض على يحيى مرة أخرى أستفتى الرشيد الفقهاء في مشروعيته الأمان المذكور فامتنعوا جميعهم عن الفتوى بنقضه إلا أبا البختري فقد ذكر الطبري ان الرشيد سأل أبا البختري أن ينظر في الأمان فقال أبو البختري هذا منتقض... فقال الرشيد أنت قاضي القضاة[١].

وكان نجاح الفضل في القضاء على حركة يحيى العلوي دليلاً على مهارته السياسية والعسكرية. وقد شكر له الرشيد فعلته وقوى مركزه لديه يذكر الجهشياري أن الرشيد أبو الفضل بن يحيى وشكر فعله[٢].

وفي سنة ١٧٨هـ ولى الرشيد الفضل بن يحيى خراسان فأحسن السير فيها وبني الرباطات والمساجد[٣] ويذكر الجهشياري انه حرق دفاتر البقايا[٤] وزاد الجند والقواد ووصل الزوار والكتاب بعشرة آلاف درهم [٥] ولم تقتصر أعمال الفضل في خراسان على النواحي العمرانية والإدارية حسب بل أنها شملت الأعمال العسكرية أيضاً فقد ذكر الطبري ان الفضل غزا بلاد ما وراء النهر وقاتل خارخراه (لعله يقصد خداه) ملك أشروسنة وأنه أتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسية وأن عدتهم بلغت نصف مليون[٦] وقد يكون الفضل بن يحيى مدفوعاً بتشكيلة هذه الفرقة الخراسانية بدافع التعصب للعجم. ويشك بارتولد في صحة ذلك فيقول ان مدة ولاية الفضل سنة

---

(١) الطبري، ج١٠، ص٥٧.

(٢) الجهشياري،ص١٩٠.

(٣) الطبري، ح١٠، ص٦٢.

(٤) كانت العادة ان الناس إذا عجزوا عن دفع الضرائب بكاملها تبقيها الدولة بشكل دين عليهم وتسجلها بدفاتر تسمى دفاتر (البقايا).

(٥) الجهشياري، ص١٩٠.

(٦) الطبري، ج١٠، ص٦٢ – ٦٣.



واحدة (١٧٨ – ١٧٩) غير كافية للقيام بهذه العمال المهمة[١] وانا اميل الى تأييد بارتولد في شكه فان سنة واحدة غير كافية للقيام بكل هذه الأعمال الخطيرة هذا وبالإضافة الى ذلك أن الفضل كان مشغولاً بالحروب من جهة والأنغماس باللذات في بدء ولايته من جهة أخرى، فقد ذكر اليافعي ان الفضل عندما كان والياً خراسان مال الى اللذات وأهمل أمور الرعية فكتب صاحب البريد بذلك الى الرشيد فقدم الرشيد الكتاب الى يحيى فكتب إليه يحيى كتاب توبيخ فعاد الى صوابه ولما ((ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً الى ان ينصرف عن عمله[٢]. ويذكر الجهشياري ان الفضل عندما كان في خراسان أمر بهدم النوبهار فلم يقدر على هدمه لوثاقته فهدم جزء منه وبني فيه مسجداً[٣] وحفر الفضل قناة ببلخ وهو أول من وضع المصابيح في المساجد في رمضان[٤] وفي سنة ١٧٦هـ ولى الرشيد الفضل بن يحيى المشرق كله من النهروان الى اقصى بلاد الترك[٥] وكان الرشيد يثق بجدارة الفضل فأوكل إليه تربية أبنه الأمين فقد ذكر الجهشياري أن الرشيد جعل محمداً في حجر الفضل وأسكنه معه في قصره المعروف بالخلد[٦] أما الطبري فيذكر أنه ((لما تولى – الفضل – خراسان أجمع على البيعة لمحمد... فلما تناهى الخبر الى ارشيد بذلك وبايع له أهل المشرق بايع لمحمد وكتب الى الآفاق[٧])). ويظهر ان هذه الرواية غير دقيقة إذ أن بيعة الأمين كانت في سنة (١٧٥هـ)[٨] ويستطيع القارئ من هذا العرض الموجز أن يدرك أهمية الدور الذي لعبه الفضل في سياسة الدولة فقد كان قائدا محنكاً

(١) بارتولد، البرامكة، الموسوعة الإسلامية، ج١، ص٦٦٣.

(٢) اليافعي مرآة، ج١ ص٣١ – ٣٢؛ وابن خلكان ج١ ص ٤٠٨.

(٣) الجهشياري، ص١٩١.

(٤) بارتولد، ج١، ص٦٦٣.

(٥) الجهشياري، الوزراء ص١٩٠؛ وحتي،تاريخ العرب، ص ٢٩٤ – ٩٥.

(٦) الجهشياري، ص١٩٣.

(٧) الطبري، ج١٠، ص ٥٣؛ والجهشياري ص١٩٣.

(٨) اليعقوبي، ج٣ ص ١٤٠.



وسياسياً بارعاً وقد ظهرت لنا قدرته الفائقة في قمع حركة يحيى العلوي من دون إراقة الدماء. ولكنه بالرغم من هذا كله لم يلعب دوراً فعالاً في بلاط الرشيد إذ لم يكن متصلاً بالرشيد اتصال أخيه جعفر به فلم يكن الرشيد يأنس بمنادمته كما كان يأنس منادمة جعفر ويوضح لنا ابن كثير سبب ذلك بقوله ان الفضل أكبر رتبة عند الرشيد من جعفر وكان جعفر أحضي عند الرشيد منه وأخص[١] وذلك لأن جعفراً كان شاباً ماجناً خفيف الروح والفضل جدي بطبعه إذ كان قليل الميل الى اللهو ولا يشرب النبيذ ويقول ((لو علمت أن الماء ينقص من مرؤتي لما شربته))[٢] وكان للفضل قصور خاصة به فقد ذكر الجهشياري أن للفضل قصراً خاصاً بجانب قصر والده يحيى المعروف بقصر الطين [٣] ولعل قصر الطين هذا هو الذي يشير إليه الصابي فيما بعد قوله ((وقد اتخذ قصر الطين في الشماسية كأصطبل للأبل))[٤].

وكان الفضل اكرم من أخيه جعفر[٥] يدلنا على ذلك انه لما شخص ابراهيم بن جبريل الى خراسان افاد من كابل سبعة ملايين درهم وحصل في يده من خراجها أربعة ملايين درهم وعندما رجع الفضل الى العراق قدم له ابراهيم المال فلم يأخذ منه شيئاً وقد وهب مرة لمحمد بن إبراهيم الإمام مليون درهم من ماله الخاص وحصل له مليوناً من الرشيد[٦].

وقد تمتع الفضل بنفوذ عظيم في الدولة ولكن الرشيد تغير عليه متأثراً ببعض الحوادث منها ما رواه الأصفهاني عن سجن الإمام موسى الكاظم عليه السلام عن الفضل بن

---

(١) بن كثير، البداية والنهاية في التأريخ (مصر مطبعة السعادة – الطبعة الأولى) ج١٠، ص٢١٠ – ٢١١.

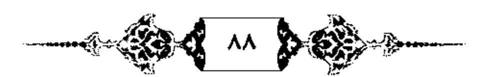
(٢) الطبري، ج١٠ ص٨٢؛ الجهشياري، ص١٩٤.

(٣) الجهشياري،ص١٨٩؛ الطبري، ج١٠، ص٨٢.

(٤) الصابي، تاريخ الوزراء (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٤) ص١٧ – ١٨.

(٥) ابن خلكان، وفيات،ج١، ص٤٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠،ص٢١٠.

(٦) الجهشياري، ص١٩٢ – ١٩٥-١٩٦.



يحيى بعد ان وشي به يحيى بن خالد لدى الرشيد بقوله ((أن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب وان له بيوت أموال)) وقد مال الفضل للترفيه عن الإمام موسى فنال بذلك غضب الرشيد[١] وقد أخذ الرشيد يحدد من سلطة الفضل بالتدرج فقد ذكر الجهشياري أن الرشيد صرف الفضل عن الأعمال التي تقلدها شيئاً فشيئاً وفي ١٨٣هـ سخط عليه فتوسطت أم الفضل مرضعة الرشيد – فرضي عنه ولكنه لم يرد عليه شيئاً مكن إعماله ولعل ذلك يؤيد من قلناه عن غضب الرشيد على الفضل بسبب الإمام موسى الكاظم. وار ى ان هناك ارتباطا بين الحادثتين لأن وفاة موسى الكاظم عليه السلام كانت في سنة ١٨٣هـ أيضاً[٢] وحينما صرف الرشيد الفضل عن خراسان ولى عليها علي بن عيسى بن ماهان ضد رغبة البرامكة[٣] ولهذه التولية أهمية خاصة لأن خراسان كانت تعد من أهم ولايات الدولة العباسية وقد زادت وأرادت الدولة من خراسان في عهد الوالي الجديد فقد ذكر ياقوت ان الرشيد رأى أحمالاً فسأل عنها فقيل له هذه هدايا خراسان بعث بها علي بن عيسى بن ماهان فقال الرشيد ليحيى أين كانت هذه الأحمال في ولاية ابنك؟ فأجابه يحيى أنها كانت في بيوت أصحابها[٤]. وقيل انه قال للرشيد (أحسب ان هذه الهدايا ما اجتمعت له حتى ظلم فيها الأشراف وأخذ أكثرها ظلماً وتعدياً ولو أمرني أمير المؤمنين لأتيته بضعفها الساعة من بعض تجار الكرخ[٥].

وجواب يحيى للرشيد يدل على مدى تأثره من علي بن عيسى وأن علياً هذا قسر الرعية وسلب أموالها ظلماً[٦]. وقد أورد الخضري حديث الرشيد حول هدايا خراسان

---

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٣٣٣ – ٣٣٤.

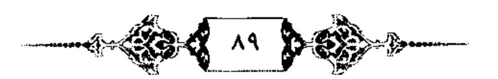
(٢) الطبري، ج١٠، ص٧٠؛ اليعقوبي،ج٣، ص١٤٥.

(٣) بارتولد، البرامكة، الموسوعة الإسلامية ج١ ص٦٦٣.

(٤) ياقوت، معجم الأدباء (مصر مطبعة دار المأمون) ج٢٠، ص٥.

(٥) محمد صبيح، هارون الرشيد، ص٥٣.

(٦) الطبري، ج١٠، ص١٠٦.



مع تغيير بسيط[1]. وكان يحيى إذا أراد ان يصرف الرشيد عن عمل من العمال حسن له تركه[2] فعندما رام أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم حذره يحيى عاقبة هذا العمل وقال له ان المسجد الحرام سيكون عرضة لهجمات الروم[3].

جعفر البرمكي والرشيد

كان جعفر شاباً خفيف الروح[4] فأستطاع لخفة روحه ان يظفر بحب الخليفة وميله ويستهوي مشاعره الى درجة صح منها ان يقول الجهشياري ((وغلب جعفر على الرشيد غلبة شديدة حتى صار لا يقدم عليه أحداً))[5] وتقرب الرشيد الزائد لجعفر فسح المجال للمبالغات التاريخية فقد جاء في شرح قصيدة أبن عبدون ((وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لم يبلغه وزير من خليفة قبله حتى كان يجلس معه في حلة واحدة قد اتخذ لها جيبين))[6] ولأهمية مركز جعفر في الدولة نال لقب سلطان[7]. وقد تقلد أعمالًا نوهت بأسمه وان لم تكن بعيدة الأثر في الدولة فقد ذكر الجهشياري ان الرشيد كان يسمي جعفر أخي ويدخله معه في ثوبه وقلده بريد الآفاق ودور الضرب والطراز[8] في جميع الكور[9]. وقد أدى سماح الرشيد لجعفر بالإشراف على النقود الى زيادة نفوذه كثيراً فذكر المقريزي

---

(١) الخضري، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (مصر مطبعة الإحياء) ص١٢٠.

(٢) العباس، عبد الحليم، البرامكة في بلاط الرشيد، ص٤٦،

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء،(مصر: المطبعة المنيرية ١٣٥١) ص١٨٩.

(٤) الفخري، ص١٨٦.

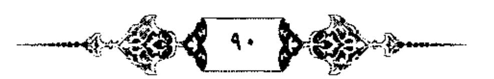
(٥) الجهشياري،الوزراء، ص١٨٩.

(٦) ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون (مصر – مطبعة السعادة – الطبعة الأولى) ص٢٢٢ – ٢٢٣.

(٧) الموسوعة الإسلامية، ج٤، ص٤٥٣.

(٨) يفسر الدكتور الدوري (العصر العباسي الأول ص١٦٢) الطرز، جمع طراز. بقوله وتعني في هذا العصر معامل النسيج الخاصة بالخليفة لحياكة الخلع والملابس والأعلام والستائر والشارات الرسمية.

(٩) الجهشياري، ص٢٠٤.



ان هارون الرشيد أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدراهم والدنانير بأنفسهم وكان هذا مما نوه باسم جعفر بن يحيى البرمكي إذ هوز شيء لم يتشرف أحد به قبله[1] وأن الرشيد امر بكتابة أسم جعفر بن يحيى البرمكي على الدنانير والدراهم بمدينة السلام وبالمحمدية ويرى الأستاذ كويتن ان العملة كانت تحمل أسم جعفر في زرنج والرافقة وبغداد والمحمدية وكرمان وان جعفر أول وزير تمتع بهذه المزية[2].

والذي نستنتجه مما سبق ان نفوذ جعفر لدى الرشيد بلغ درجة عظمى، وان جعفراً كان نديمه يلازمه في مجالسه الخاصة والعامة وكلن كثير المداخلة مع الرشيد لدرجة ان يحيى خشى عاقبة هذه المداخلة[3] ونصح لجعفر ان يقلل مداخلاته واختلاطه بالرشيد وذكر الجهشياري ((ان جعفرا كان يساعد... الرشيد على كل شيء وكان يحيى يعتب على جعفر من دخوله مع الرشيد فيما دخل فيه حتى قال له مرة ((أني أنا اهملتك ليعثر الزمان بك عثرة تعرف بها أمرك وأن كنت أخشى ان تكون التي لا شورى لها))[4] وقد أفضى يحيى للرشيد بمكنون صدره عن هذه المداخلة فيقول الطبري: أن يحيى قال للرشيد ((أنا والله اكره مداخلة جعفر معك ولست آمن ان ترجع العاقبة من ذلك علي منك فلو أعفيته واقتصرت به على ما يتولاه من جسيم اعمالك..))[5] فأجابه الرشيد ليس بك هذا ولكن تريد ان تقدم عليه الفضل.

وللأستاذ بارتولد رأي غريب في تفسير تقريب الرشيد لجعفر إذ انه يعزو ذلك الى

---

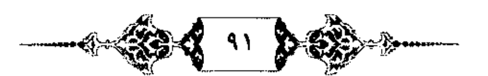
(١) المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود القديمة الإسلامية (النجف المطبعة الحيدري) ص١٢ و ١١.

(٢) **S. D Goitein, the origen of the vizerate Islamic culture 1942 VOl. 16 P.385**

(٣) كركاني، تاريخ برامكة، ص ريب.

(٤) الجهشياري، ص٢٢٤ – ٢٥؛ الطبري، ج١٠، ص٨٣. ولكنه يقول لا شوى لها.

(٥) الطبري،ج١٠ – ص٨٣؛ الجهشياري – ص٢٢٥.



شذوذ جنسي عند الخليفة ويسمى ذلك بالعادة الشرقية القبيحة **Notorious Vice** [1] أن أستنتاج بارتولد هذا بعيد عن الصحة ولا تؤيده المصادر، وإذا كان يرى ان دخول جعفر مع الرشيد في ثوبه ما يؤيد به زعمه، فأن هذه العبارة ليست إلا عبارة أدبية تدل على التقرب والحظوة ليس غير.

وكان من نتيجة الألفة بين الرشيد وجعفر أن أصبحت لجعفر دالة على الرشيد، ولعل حادثة عبد الملك بن صالح تؤيد ما ذهبنا إليه وملخص هذه الحادثة أن جعفراً كان جالساً في بيته يشرب النبيذ فتوهم الخادم وأدخل عليه عبد الملك بن صالح – أحد أشراف العباسيين فلما دخل المجلس شرب النبيذ مجاراة لجعفر ولم يكن قد شربه من قبل ولما سأله جعفر عن حاجته فقال: ((ان في قلب أمير المؤمنين هنة فتسأله الرضا عني)) قال: ((أنها لعندي حاضرة. ولكن أجعلها من مال أمير المؤمنين فأنها أنبل لك أحب إليك)) وقال ((إبراهيم أبني أحب أن أشد ظهره بصهر من أولاد الخلافة)) قال ((قد زوجه الغالية))، قال ((وأحب ان يخفق لواء على رأسه)) قال: ((قد ولاه مصر))[2]. ويرى ألأستاذ عبد الحليم العباس أن ولاية مصر كانت لعبد الملك بن صالح وليست لأبنه والذي نراه ان الولاية كانت للأبن ونعتمد بذلك على أبن الطقطقي والجهشياري وهذا لا يعني نفي تولية عبد الملك بن صالح على مصر فقد كانت ولايته في غير هذا الوقت يؤيد هذا ماء في التحفة البهية لحسن الطولوني من ان عبد الملك بن صالح تولى مصر وعزل في سنة (١٧٩هـ) ثم تولاه إسماعيل بن صالح العباس[3] وعندما عرض جعفر على الرشيد طلبات عبد الملك بن صالح وحوائجه، أمضاها الرشيد كلها[4] وقد علق الجهشياري على هذه الحادثة بقوله عن لسان أحد الحاضرين وقلنا: لعله ان يجاب الى ما

(١) بارتولد، الموسوعة الإسلامية،ج١، ص٦٦٣.

(٢) الجهشياري، ص٢١٣– ١٤؛ الفخري – ٨٧ – ٨٨؛ وابن خلكان ج١، ص١٠٥–١٦.

(٣) العباس، عبد العيم، البرامكة في بلاط الرشيد ص٤٩.

(٤) الطولوني،حسن، التحفة البهية (القسطنطينية – مطبعة الجوائب ١٣٠٢) ص١٣١.

سأل من الحوائج، فكيف بالتزويج[1]. وعلق اليافعي على الحادثة نفسها بقوله: ((فو الله ما ادري أيهم أعجب فعلاً عبد الملك في تعاطيه ما ليس بعادته... أو أقدام جعفر على الرشيد بما أقدم، أو إمضاء الرشيد ما حكم به عليه جعفر)[2] وللأستاذ عبد الحليم العباس تفسير خاص يفسر به هذه الحادثة منتقداً فيه المؤرخين لأنهم يعتبرونها دليلاً على دالة جعفر على الرشيد فيقول (فالقصة لم تجر كما يراها دارس التأريخ مجرد منزلة لجعفر عند الرشيد يعطى فيها ويولي على الولاية ويزوج أبنته وليس له إى المصادقة والقبول[3] ويناقض الأستاذ في هذا الرأي جمهرة المؤرخين من جهة (ولكنه لا يلبث حتى يعود فينا قض نفسه في مكان أخر بقوله (حتى كان جعفر خاصة يدخل نفسه ثقة بمنزلته عند الرشيد فيما لا يجوز له ان يدخل نفسه فيه. ثم يستطرد في القول وقد ذكر المؤرخون هذه الحادثة التي فيها كل الكفاية على هذه المكانة)[4] ولا نعلم كيف جاز للأستاذ ان ينتقد المؤرخين لأعتقادهم بدالة جعفر على الرشيد ويعتبر القضية مدروسة؟ وأن جعفر عرف

---

(١) جاء في كتاب تاريخ البرامكة لعبد العظيم كركاني ص٥٤ – ٥٥ ان الصيغ التي وضعت لتنفيذ الحوائج التي تعهد بها جعفر لعبد الملك العباسي كانت كما يلي:

أ. **الزواج**: الحمد لله رب العالمين والعافية للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين أما بعد فأن أمير المؤمنين أطال الله بقائه زوج أبنته فاطمة لأبن عبد الملك بن صالح على صداق مائة الف دينار ويضمن عنها مهرها.

ب. **وفاء الدين**: أن أمير المؤمنين رفع إليه ان على عبد الملك بن صالح الف الف درهم مالا وجابا ورأى امير المؤمنين ان يتحملها عنه من خالص ماله وان يضعفها ضعفها له تقية على ما يتكفل من مؤنته وأصلاح احواله ياغلام احضر الفي الف درهم

ج. **الولاية**: يا احمد وان امير المؤمنين راى وبالله التوفيق ان وليك الرقة والجزيرة بها رجا عندك من الكفاية وتأدية الأمانة فبارك الله لك.

ولا شك ان القارئ لاحظ الأختلاف في تسمية البلاد التي وليت لولد عبد الملك بن صالح فهي على رواية الجهشياري وابن خلكان (مصر).

(٢) الجهشياري، ص٢٠٣.

(٣) اليافعي، مرأة ج١، ص٤٠٥-٠٦.

(٤) عبد الحليم، ص٤٠ – ٤٩.

رضى الخليفة عن طريق الحدس. ونعتقد ان التأريخ لا يقيم وزناً للحدس.

وقد أزداد نفوذ جعفر كثيراً عندما سمح له الرشيد بالنظر في المظالم(١) ويعلق الأستاذ كويتن على هذا الأمتياز بقوله أن يحيى وولديه شاركا الخليفة في القضاء - لعله يعني بذلك النظر في المظالم ولم يسبق لخليفة ان سمح لأحد أن يشاركه بأكثر حقوقه قدسية وهو النظر في المظالم(٢) ويرى الأستاذ بارتولد أن جعفراً كان ذا تأثير قليل على الرشيد والذي نراه ان تاثير جعفر على الرشيد لم يكن قليل الأهمية كم يعتقد بارتولد ولكننا مع ذلك لا نفر كثيراً من مبالغات بعض المؤرخين التي تتصف بالطابع الأدبي(٣).

وكان جعفر بن يحيى مثقفاً ويصفه أحد المؤرخين بأنه (كان قريع دهره بلاغة في المكاتبة وجودة لسان في المخاطبة)(٤) وكانت توقيعاته مشهورة فقد ذكر أبن خلكان أنه وقع في ليلة بحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع ولم يخرج في شيء منها على الفقه(٥) أما الجهشياري فيقول أنه أول من سن الكتاب طريقة في التوقيعات وذلك أنه لم يقيدهم بالفاظ التوقيع حرفياً(٦).

ويظهر ان جعفراً كان شاباً مولعاً بالأبهة وكل مظاهر العظمة حتى في صلاته فقد كانت له دنانير خاصة يقلد بها الخلفاء ولم تكن دنانيره هذه من نوع السكة المتداولة بل من نوع دنانير الصلات فيذكر الخطيب انه وجد في خزانة جعفر بن يحيى في جرة ألف دينار في كل دينار ١٠١ دينار وقد كتب على احد جانبي كل دينار:

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الجهشياري، ص٢٠٤.

(٣) كويتن، اصل الوزارات، الثقافة الإسلامية، ١٩٤٢،ج١٤ ص٣٨٥.

(٤) ابن بدرون، شرح قصيدة ابن عبدون ص٢٢٢؛ الجهشياري، ص٢٠٤.

(٥) الطولوني،حسن التحفة البهية ص٢١٨.

(٦) ابن خلكان،وفيات،ج١، ص١٠٥؛ اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٠٥.

وأصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مئة واحداً متى تعطه معسراً يوسر

كما انه امر ان تضرب له دنانير في كل دينار (٣٠٠) دينار[١] ويبين الجهشياري أنه وجد في بركة دار جعفر (٤٠٠) دينار وزن كل دينار منها مئة دينار ودينار[٢] وللأستاذ عبد الحليم العباس رأي يبني فيه ان هذه النقود من نوع النقود المتداولة[٣] ولم يذكر الأستاذ المصادر التي أستقى منها هذا الرأي والذي نراه انه لم تكن هناك عملة متداولة من هذا النوع وان هذه الدنانير كانت للصلات فقط[٤]. هذه النقود وغيرها تدل دلالة واضحة على جاه البرامكة وتسلطهم على أموال الدولة.

دور جعفر السياسي

يظهر ان جعفر لم يلعب دوراً أساسياً مهماً في الدولة وكانت ملازمته للرشيد في البلاط تشغله عن التدخل الفعلي في سياسة الدولة العامة وكان عندما يوليه الرشيد أحدى الولايات يرسل عنه نائباً في الغالب ويبقى في بغداد فقد ذكر السيوطي أن الرشيد ولى جعفر بنت يحيى البرمكي مصر فأستناب عليها عمران بن مهران[٥] ويقدر الأستاذ الطولوني المدة التي أقامها عمران بمصر بشهر واحد فقط[٦]. وعندما ولاه الرشيد المغرب

---

(١) الجهشياري، ص٢١٠.

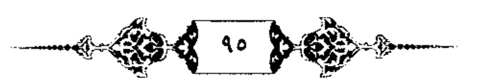
(٢) الخطيب، تاريخ بغداد، مصر مطبعة السعادة، ١٩٣١ –ج٧ ص١٥٦؛ وابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٠، ص١٩٣.

(٣) الجهشياري،ص٢٤١.

(٤) الدوري،عبد العزيز، العصر العباسي الأول ص١٧١.

(٥) السيوطي،حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (مصر مطبعة الموسوعات ١٣٢١) ج٢ ص٨ – ٩؛ الخضري، محاضرات، ص١٣٠.

(٦) الطولوني، حسن التحفة البهية، ص١٣١.



كله من أنبار الى أفر يقية في سنة ١٧٦ هـ أقام بحضرة الرشيد[١] أما الطبري فيذكر أن الرشيد ولى جعفر بن يحيى خراسان وسجستان في ١٨٠ هـ فأستعمل جعفر عليها محمد بن الحسن بن قحطبة[٢] ثم يقول أنه عزله بعد عشرين يوماً، ولكن الأصفهاني يبين ان الرشيد ولى جعفراً خراسان ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير فعزله[٣].

ويطلق المدور العنان لخياله الأدبي فيقول ان الرشيد عزل جعفراً عن خراسان خوفاً من الأستقلال والمناداة بخلافة أهل البيت[٤] وسنرى عند البحث في علاقة البرامكة بالعلويين بأن البرامكة لم يكونوا على اتفاق مع العلويين وما كانوا يميلون إليهم. ولكن لدينا إشارة الى ان جعفر تولى مهمة سياسية وذهب الى الشام لأطفاء الثورة فيها، فيذكر الطبري أن عصبية (فتنة قبلية) حدثت في الشام فقال الرشيد لجعفر إما أن تخرج أنت أو إنا، فعقد لجعفر بن يحيى على الشام (فآتهاهم وأصلح بينهم وقتل زواقيلهم)[٥] ونجاح جعفر في هذه المهمة زاد من نفوذه عند الرشيد ومدحه الشعراء فقال منصور النميري:

فأن أمير المؤمنين بنفسه أتاكم وإلا نفسه فخيارها
وزير أمير المؤمنين وسيفه وصعدته والحرب تدمى شفارها[٦]

وكان جعفر مربي المأمون كما كان أخوه الفضل مربي الأمين فقد ذكر الجهشياري أن المأمون كان في حجر محمد بن خالد فحوله الرشيد الى حجر جعفر فأشار على الرشيد بتوليته العهد بعد محمد[٧] وكانت زبيدة زوج الرشيد تكره جعفراً ويبين المسعودي أن

(١) الجهشياري، ص١٩٠.
(٢) الطبري، ج١٠، ص٦٨؛ وابن الأثير، الكامل، ج٦،ص٦١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني،ج١٧، ص٣٧.
(٤) المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام (القاهرة: المطبعة الأميرية) ص٢٧٩.
(٥) الطبري،ج١٠، ص٦٢، ابن الأثير، ج٦، ص٦١.
(٦) الطبري، ج١٠، ص٦٦؛ اليعقوبي، ج٣، ص١٤٢.
(٧) الجهشياري، ص٢١١؛ وابن عماد، شذرات، ج١، ص٣٣١.

سبب هذا الكره أن الأمين لما أراد الخروج من الكعبة بعد ان اقسم إلا يغدر بأخيه رده جعفر بن يحيى وقال له ((فأن غدرت بأخيك خذلك الله، حتى فعل ذلك ثلاثاً)) ويرى ان أم جعفر زبيدة حقدت بسبب ذلك على جعفر ولعل هذا أحد الأسباب التي كدرت العلاقات بين زبيدة والبرامكة وسنعرض لتفصيل ذلك عند البحث في نكبة البرامكة.

وكان جعفر بن يحيى مشهوراً بالتألق بلباسه وطراز معيشته وسكناه، يقول الجاحظ أنه أول من أدخل لبس الأطواق لطول رقبته[١] ويذكر الجهشياري أن لوالدة جعفر (١٠٠) وصيفة لبوس كل واحدة منهن وحليها خلاف لبوس الأخرى وحليها[٢].

وكانت له قصور فخمة في بغداد فكان له قصر بجانب قصر أبيه المعروف بقصر الطين[٣] ويذكر ابن كثير أنه بنى داراً غرم عليها عشرين ألف ألف درهم[٤]. وكانت له دار فخمة ببغداد قرب الدور[٥] ويرى المرحوم الأب أنستانس الكرملي أن قصور البرامكة كانت مقابل السن الموجود ببغداد اليوم[٦]. هذه نظرية عامة عن حالة البرامكة في عهد الرشيد ومنها يستطيع القارئ أن يدرك مدى نفوذهم الفعلي والأسمي في شؤون الدولة وخصوصاً في الدور الأول من حياتهم أي قبل وفاة الخيزران التي كانت أعظم عون لهم ولكن هذه السلطة الواسعة لم تبق على حالها بل أنها تقلصت شيئاً فشيئاً حتى زالت عنهم والذي تقرره هنا هو ان الرشيد حينما جاء للحكم بمساعدة البرامكة وصديقتهم

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣ ص٢١٢.

(٢) الجهشياري ،ص٢٤١.

(٣) الجهشياري، ص ١٨٩.

(٤) ابن كثير، البداية ج١٠ ص١٨٩ ؛ ابن الساعي – مختصر اخبار الخلفاء (مصر: مطبعة بولاق ١٣٠٩) ص٢٩ –٣٠.

(٥) الدنيوري، ابن قتيبة، عيون الأخبار (مصر: دار الكتب ١٩٢٥) ج١ ص١٣.

(٦) الكرملي: انستاس، السن أو اثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة (المشرق ١٩٠٧) ج١٠، ص٣٠٠ وما بعداها.



الخيزران أندفع اندفاعا شديداً نحو البرامكة والقي إليها مقاليد الأمور ولكنه بعد ان أستقر حكمه آفاق من غفلته وشعر بخطرهم على الدولة فسلك الطريق التدريجي لكبح جماحهم وأخذ يسترد السلطة منهم تدريجياً وقرب من كان ينافسهم كالفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان هذا من ناحية ومن ناحية أخرى انه فكر بنكبتهم قبل وقوعها بمدة طويلة وأخذ يعد العدة لها وسنعرض لتفصيل ذلك عند البحث في أسباب النكبة.

وللأستاذ بارتولد[١] رأي يقرر فيه ان البرامكة ذو تأثير قليل في الدولة وان يحيى لم يكن بارعاً في الحكم وانه كان يستشير الخيزران في حياتها، ويتجاهل الأستاذ الدور الذي لعبه جعفر، ونرى ان في هذا القول بعض التطرف، فقد أتضح لنا مما تقدم ان دورهم كان مهماً وان لم يكن غير محدد.

* * *

(١))) بارتولد، البرامكة، الموسوعة الإسلامية ج١، ص٦٦٣.

الفصل الرابع

أن من يتأمل في الأسباب التي أدت الى نكبة البرامكة يجد نفسه حيال مشاكل معقدة نظراً لما يحيطها من غموض وارتباك وبسبب ما يحوم حولها من شكوك وتستطيع ان تتبين مدى تعقد هذه المسألة وغموضها إذا علمت أن مؤرخينا القدماء قد تناولوا هذا الموضوع بشيء كثير من التناقض والاختلاف والى ذلك أشار اليعقوبي بقوله: ((وأكثر الناس في أسباب السخط عليهم مختلفون))[1] والطبري بقوله: ((أما سبب غضبه عليه - جعفر - الذي قتله عنده فأنه مختلف فيه))[2] أما المسعودي فيقول: ((كان إيقاع الرشيد بالبرامكة في سبع وثمانين ومائة وأختلف في سبب ذلك))[3] وجاء في الفخري: ((أختلف أصحاب السير والتواريخ في سبب ذلك))[4] ويقول أبو الفداء ((وقد أختلف في سبب ذلك اختلافاً كثيرا))[5] ويذكر الدميري أن ((أهل التواريخ حكوا في سبب قتل جعفر حكايات مختلفة))[6] ويقول القرماني: ((وأختلف الناس في سبب مقتل جعفر))[7] وجاء في تأريخ الدول للفخري الرازي ((ان أصحاب السير والتواريخ اختلفوا في سبب النكبة))[8] أما أبن العبري فيقول ((وقد اختلف العلماء بسبب نكبة

(١) اليعقوبي، ج٣، ص١٥٢.

(٢) الطبري،ج١٠، ص٧٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص٢٨٤.

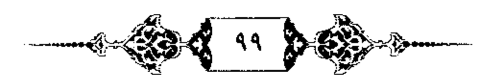
(٤) الفخري، ص١٩٠.

(٥) تاريخ ابي الفداء، مصر المطبعة الحسينية، ج٢، ص١٦.

(٦) الدميري، كمال الدين، كتاب الحيوان (مطبعة محمد شاهين، ١٢٧٨) ج٢، ص١٧٢.

(٧) القرماني، اخبار الدول،ص١٥٠ – ١٥١.

(٨) الفخري،الرازي تاريخ الدول (باريس، دار الطباعة ١٣١٤ هـ) ص٤٤.



الرشيد للبرامكة))[1].

وقد يكون لتكتم الرشيد ذلك التكتم الذي فصلناه في مقدمة هذا الكتاب أثر هذا الغموض وقد لا يخلوا من ان يكون سبباً فتح للمؤرخين وغيرهم أبواباً للتأويل والاستنتاج[2].

ويرى كثير من المؤرخين ان سبب نكبتهم هي قصة العباسة، وقد أهتم المؤرخون بهذه القصة وأسهبوا في وصفها وقد انتشرت هذه القصة بين العامة قديماً وحديثاً لما يغلب عليها من مسحة عاطفية[3] ومن أهم الكتب التي عنيت بها بصورة خاصة هي:

١. أعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بني العباس - للأتليدي.
٢. العباسة أخت الرشيد - لزيدان.
٣. الرشيد والبرامكة - للأب أنطون اليسوعي.

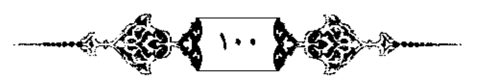
والكتابان الأخيران روايتان أدبيتان لا تنطويان على أهمية كبيرة من الناحية التاريخية لأن العنصر الذاتي هو الطابع الغالب على الروايتين. أما كتاب الأتليدي فتعوزه الدقة التاريخية فضلاً عما فيه من أغلاط كثيرة ذكرنا بعضها في مقدمة هذه الرسالة والذي تقرره هنا ان قصة العباسة موضوعة ولا صحة لها للأسباب الآتية:

أولاً: ان اغلب المصادر التي عاصرت ذلك التأريخ والموثوق بها على الأخص لم نذكرها كاليعقوبي والدينوري وأبن قتيبة كما ان الجهشياري وهو من مشاهير مؤرخي العراق يفندها على لسان مسرور الكبير، والجهشياري الذي يعتبر كتابه من أوثق المصادر التاريخية يقول في تفنيدها ان شخصاً سأل مسروراً عن سبب إيقاع الرشيد بالبرامكة

(١) ابن العبري، مختصر تاريخ الدول (المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٨٩٠) ص٢٢٤.

(٢) راج اجوبة الرشيد عندما سأل عن اسباب نكبة البرامكة (الطبري، ج١٠ ص٨٦؛ اليعقوبي ، ج٣، ص١٥٢؛ ابن خلكان، ج١ ص١٠٨؛ الدميري، ج٢ ص١٧٤.

(٣) الدوري،عبد العزيز، العصر العباسي ص١٦٥.



فقال: ((كأنك تريد ما تقوله العامة فيما أدعوه من أمر المرأة... لا والله ما لشيء من هذا أصل))[١] وأبن كثير يميل هو الأخر لنفيها فيقول ((وقيل إنما قتلهم بسبب العباسة ومن العلماء من أمكر ذلك))[٢] أما أبن خلدون فينفيها نفياً باتاً ويرى أنها من الأساطير والإشاعات التاريخية ويقدم حججاً معقولة لذلك فيقول ان مركز العباسة الديني والاجتماعي لا يسمح لها بأرتكاب جريمة كهذه لا سيما مع مولى من مواليها[٣] وقد يقدر القارئ هذا الرأي إذا اطلع على نظرة الخلفاء لأنفسهم في ذلك العهد حيث كانوا يرون انهم من سلالة الرسول وأنهم من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس هذا الى ان رأيهم في أشراف الموالي لم يكن ليرفع من قيمتهم كثيراً، فمن الجرائم العظمى التي أسندها أبو جعفر لأبي مسلم هي أنه خطب إليه أمينة بنت علي[٤]. أن القارئ ولا شك سيجد في هذه الرواية ما يساعده على فهم نظرة العباسيين للموالي. ويضيف ابن خلدون الى ما تقدم ان العباسة كانت قريبة العهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين البعيدة عن مرتع الفواحش.

وللأستاذ عبد العظيم خان رأي ينتقد فيه أبن خلدون لأنه يعتبر البرامكة من موالي الرشيد وانه يستنكف من مصاهرتهم ويقول: ((أن خالداً كان من زعماء جيش أبي مسلم وقد انتقلت الخلافة الى بني العباس بفضلهم، فكيف يستنكف الخليفة من مصاهرة مؤسسي الخلافة))[٥] ولنا ملاحظات على رأي الأستاذ عبد العظيم:

١ . أن اعتبار ابن خلدون للبرامكة من الموالي لا يدعو للأستغراب لأن كلمة موالي تطلق

---

(١) الجهشياري، ص٢٥٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠ ص١٨٩.

(٣) ابن خلدون، المقدمة (مصر: المطبعة الأزهرية ١٩٣٠) ص١٢.

(٤) الطبري، ج٩ ص١٦٦.

(٥) كركاني، عبد العظيم خان، تاريخ برامكة (فارسي) ص ٥.



على جميع المسلمين غير العرب[1] من جهة ومن جهة أخرى فأن البرامكة أنفسهم يعترفون بأنهم من موالي العباسيين ولعل قول خالد بن برمك لأبي العباس ((أنا عبدك وخادمك يؤيد ما ذهبنا إليه))[2].

٢. أما ما ذهب إليه الأستاذ من اعتبار البرامكة مؤسسي الخلافة ففيه نظر، وقد ناقشنا هذا الرأي في مكان أخر من هذا الكتاب، على أننا لا ننكر أهمية الدور الذي لعبه الفرس في نقل الخلافة من الأمويين للعباسيين ولكننا لا نرى في ذلك ما يبرر للأستاذ أن يستنتج مثل هذا الرأي.

ومن الكتاب المحدثين الذين نفوا هذه القصة وعرضوا لتفنيدها الأستاذ محمد صبيح والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور وجيه علي نجا[3]. وكذلك الأستاذ طنطاوي جوهري الذي ألف كتاباً تحت عنوان براءة العباسة، وقد حاول الأستاذ ان يبين الأسباب الحقيقية لنكبة البرامكة وأشار الى بعض المصادر التاريخية الموثوق بها وبين ان هذه النكبة لا تمت بصلة الى قصة العباسة المزعومة وان هذه القصة من الخرافات التاريخية وإنها مدسوسة دساً وبعد ان ذكر الأسباب التي حملت الرشيد على نكبتهم قال ((فهل كل ذلك رواية غرامية؟ أم أمور صادقة صحيحة تمت الى الملك والخلافة وانتقال الدولة من قوم الى آخرين؟ فن ذا الذي يظن بعد ما بيناه أنها مسألة غرامية؟ أن ذلك لهراء وجهل بالتأريخ[4].

ومن الكتاب الذين نفوا هذه القصة الأستاذ عبد الحليم العباس في كتابه البرامكة في بلاط الرشيد ويقول عنها: ((أن الحكاية المعروضة في التأريخ، تحمل في طياتها جذور

---

(١) الدوري ،عبد العزيز ، العصر العباسي، ص٦.

(٢) الفخري، ص١٣٩.

(٣) محمد صبيح، هارون الرشيد ص١٦٣؛ ونجا،وجيه علي،البرامكة (المنتفك ١٩٤٠ كانون) ج٥٤؛ الدكتور الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول ص١٦٥، ١٦٦.

(٤) طنطاوي،جوهري، براءة العباسة، ص٤٤ – ٥٤.



بطلانها وفسادها، وهي لهذا لا تصمد للمناقشة طويلاً، تتهافت كبيت من الكتب...))[١].

ثانياً: ومما ينفي احتمال نكبة البرامكة لغرض خلفي (قضية العباسة) هو ان الرشيد كان قد فكر بها قبل وقوعها بست سنوات فذكر ابن عبد ربه على احد الهاشميين أن الرشيد كلمه في أمر البرامكة واستبدادهم بالملك وبأموال الدولة وكان قتلهم بعد ست سنين من ذلك اليوم[٢].

وجاء في تأريخ اليعقوبي ان الرشيد قال لإسماعيل بن صبيح ((إني أريد ان افشي أليك سراً والله لئن سمعته من احد الناس لأضربن عنقك... أني أريد أن أوقع بآل برمك إيقاعاً ما أوقعته بأحد وأجعلهم أحدوثة ونكالاً الى أخر الأبد ثم حال الحول وحال حول ثان ثم حال ثالث ثم كان رأس الحول الرابع قتلهم[٣] ويذكر الجهشياري ان أحدتكم تنبأ بقتل البرامكة قبل ثلاث سنوات من وقوع الحادث[٤] وقد روى الأستاذ عبد العظيم خان قصة يفهم منها ان الرشيد كان قد فكر بنكبة البرامكة قبل وقوعها بعدة سنوات ((فيقول كان الرشيد حاقداً على البرامكة ومتألماً من اتساع نفوذهم منذ سنوات عديدة... وقد أفضى من ذلك الى عيسى بن موسى الكرخي وأوصاه بالكتمان ومما قاله الخليفة لعيسى ((أريد ان انكب البرامكة وأقضي على سيطرتهم وأستأصل شأفتهم وأقلد الوزارة الى الفضل بن الربيع...))[٥].

هذه الروايات التي قدمناها للقارئ تجمع على ان الرشيد فكر بنكبتهم قبل وقوعها بزمن طويل على حين ان المصادر التي تروي هذه القصة تزعم ان علاقة جعفر بالعباسة

---

(١) العباس،عبد الحليم، البرامكة ص١٠٧.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد،مصر، المطبعة الأزهرية الطبعة الثانية،١٩٢٨، ج٣ ص٢٦٣.

(٣) اليعقوبي، ج٣ ص١٥٢.

(٤) الجهشياري، ص٣٣٩.

(٥) كركاني، عبد العظيم خان، تاريخ البرامكة (فارسي) ص قفا قفب .



هي التي أثارت غضبه وحملته على البحث عن أمر أطفالها في مكة وعند رجوعه أمر بنكبة البرامكة[١].

ثالثاً: وإذا عرضنا القصة للنقد بضوء محتوياتها لرأينا أنها حافلة بالاضطراب زاهرة بالتناقض فيختلف المؤرخون في عدد أولاد العباسة وفي الشخص الذي أخبر الرشيد بها وقد بدل هذا التناقض على خلوها من الصحة، فالطبري[٢] مثلًا يقول ان جارية العباسة هي التي أخبرت الرشيد بينما اليافعي[٣] يقول ان زبيدة هي التي أعلمت الرشيد بأمر العباسة ثم يختلفون في عدد الأولاد الذين أنجبتهم العباسة فإذا صح ان نصدق الرواية القائلة بأن الرشيد زوج أخته العباسة زواجاً أسمياً من جعفر لأنه لم يستطيع مفارقتها فكيف يجوز ان يخفى عليه الحمل لمدة تسعة أشهر هذا في حالة وجود صبي واحد، أما في حالة ثلاثة أو أربعة أطفال[٤] كما تقول بعض الروايات فالمسألة فيها نظر ولعل من المفيد ان نذكر قول ابن قتيبة وهو ان هارون زوج العباسة من محمد بن سليمان فمات عنها زوجها فزوجها الرشيد من إبراهيم بن صالح بن علي فتوفى[٥] عنها ثم تزوجها محمد بن علي بن داود وتوفي عنها بعد زمن[٦].

وللأستاذ عبد الحليم العباس رأي يقول فيه ان ليس هناك ما يمنع الرشيد من ان يصهر الى مولى من مواليه، ويدلل على صحة رأيه أن عمر أراد ان يصهر الى بلال والمأمون الى الفضل بن سهل، ونرى ان هذا الرأي غير دقيق ولا ينطبق مع الواقع للأسباب الآتية:

---

(١) الطبري، ج١٠، ص٨٤.

(٢) الطبري، ج١٠، ص٨٤ ؛وأثار الدول، القرماني، ص١٥١؛ والمسعودي، مروج، ج٣،ص٢٩٢.

(٣) اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٠٦ – ٧؛ ابن خلكان، ج١ ص١٠٧.

(٤) الأتليدي، اعلام الناس، ص١١٧.

(٥) ابن قتيبة، المعارف (مصر ،المطبعة الإسلامية، ١٩٣٤).

(٦) عبد الحليم العباس، البرامكة، ص١٠٦.



١. كان خلفاء بني العباس يعتبرون الموالي دونهم منزلة وان الرشيد قريب العهد بالمنصور الذي أعتبر خطبة أبي مسلم لأمينة بنت علي من الجرائم الكبرى التي تستحق العقاب[١].

٢. ان السابقة التي أستدل بها وهي ان عمر بن الخطاب أراد ان يصهر لبلال لا يصح ان تتخذ كمبرر لتزويج العباسة من جعفر هذا الى أنها كانت مجرد رغبة لم تجد سبيلها الى التنفيذ حتى تعتبر سابقة يستند عليها الرشيد كما يعتقد الأستاذ وهناك نقطة أخرى وهي ان ابن الخطاب لا يوازي الرشيد نسباً كما ان عمر نفسه كان قد امتنع عن تزويج سلمان الفارسي وهو اكبر درجة في الإسلام من بلال حيث قال عنه الإمام علي عليه السلام سلمان منا أهل البيت. أما قضية المأمون فقد كانت رغبة طارئة لم يجراً على تطبيقها كما ان هذه الحادثة ان صحت فلا يصح التدليل بها على حادثة حصلت قبلها. والأستاذ يتناقض نفسه لأنه بالرغم من نفيه لهذه القصة نفياً باتاً كما اشرنا الى ذلك قبل قليل يهاجم ابن خلدون لأنه يعتبر قصة العباسة من اقتصص الخرافية[٢].

لعل تحذير مسلم بن قتيبة لأولاد عبد الله بن مسلم من ان يلحقوا خالداً بهم خوفاً من ان يزوجوه يقوم دليلاً واضحاً على نضرة سائر العرب الى الموالي فكيف بالخلفاء؟!فيذكر الطبري ((ان ولد عبد الله بن مسلم جاؤا أيام المهدي حين قدم الري الى خالد فادعوه فقال لهم مسلم بن قتيبة انه لابد لكم ان اسلحقتموه ففعل من ان تزوجوه فتركوه واعرضوا عن دعواهم))[٣] نقول إذا كان أولاد عبد الله يستنكفون من مصاهرة خالد بن برمك،فكيف يستغرب الأستاذ ان عبد العظيم كركاني وعبد الحليم العباس قول ابن خلدون من ان الرشيد يستكف من مصاهرة البرامكة.

هذه خلاصة وجيزة عن قصة العباسة المزروعة التي اعتقد ان أعداء الرشيد وأنصار

(١) الطبري، ج٩، ص١٦٦.

(٢) عبد الحليم العباس، ص١٠٥.

(٣) الطبري، ج٦، ص٢١٦.



البرامكة دسوها دساً في التاريخ كما ينتقمون من الرشيد انتقاماً معنوياً بعد ان عجزوا عن الانتقام منه بسيوفهم. والذي استنتجه هنا ان بعض المؤرخين قد يجوز ان سمعها فنقلها دون تمحيص فتناقلتها عنه بقية المؤرخين. ومما يؤيد هذا الرأي هو ان أكثر الكتب التي نقلتها، تتشابه في وضع الهيكل العام للقصة وحتى في الألفاظ مما يدل على أن مصدر هذه القصة واحداً على الغالب وهو أصدقاء البرامكة وأعداء الرشيد[١] وسنعرض الآن الأسباب الحقيقية التي أدت الى نكبتهم - وهذه النكبة لم تكن وليدة نزق وطيش كما يصفها براون وغيره من المؤرخين[٢] بل هي وليدة تفكير حكيم وتؤده اقتضتها الظروف السياسية لأن الر شيد حينما تولى الحكم كان كالغريق الذي أخرج من البحر، فوجد أمامه جماعة البرامكة الذين كانوا ذوي فضل كبير في إنقاذه فأندفع لا يقف عند حد في مكافئة هؤلاء الذين تبرعوا لإنقاذه في أحرج الساعات.

ولكن البرامكة لم يحسنوا استعمال هذه السلطة فضربوا على يد الرشيد واستبدوا بأمور الدولة ووزعوا وارداتها بين إتباعهم وأعوانهم الى حد ان شهرتهم غلبت على شهرة الرشيد وتضاءل نفوذه بالنسبة الى نفوذهم ويوضح اليعقوبي لنا هذه الناحية أحسن توضيح بقوله: ((ما كان له معهم أمر ولا نهي))[٣] ولعل قول الرشيد لأحد ندمائه بشأن البرامكة يدل دلالة واضحة على سوء تصرفهم فيقول: ((ما عد البرامكة بني هاشم إلا عبيدهم وأنهم هم الدولة وأن لا نعمة لبني العباس إلا والبرامكة أنعموا عليهم بها))[٤].

ولم يقتصر الشعور بسوء تصرف البرامكة على الرشيد بل تعداه الى بعض الفقهاء الذين شعروا بأستفحال خطر البرامكة ورأوا أن الرشيد قد خالف الشرع وانه مسئول

(١) العباس، عبد الحليم،البرامكة ص١٠٣.

(٢) Browne, O. C.P. 257؛ والسيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب ص ٢٠٩؛ والمدور حضارة الاسلام في دار السلام ص ٢٢٨.

(٣) اليعقوبي، ج٣، ص ١٥٩

(٤) الأتليدي، أعلام، ص ١٥١.



أمام الله لإهماله وتركه أمور الناس بيد البرامكة فذكر الطبري ان محمد بن الليث رفع رسالة الى الرشيد يعظه فيها ويخاطب الرشيد بقوله ((أن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً وقد جعلته فيما بينك وبين الله فكيف انت إذا وقفت بين يديه فسألك عما عملت في عباده وبلاده فقلت يا رب اني استكفيت يحيى امور عبادك أتراك تحتج بحجة يرضى بها، مع كلام فيه توبيخ وتقريع))(١). ووصف يحيى بأنه يكيد للإسلام وأهله ويحب الألحاد وأهله.

وعندما شعر الرشيد بتفاقم خطرهم وأزدياد نفوذهم أخذ يسترد السلطة منهم شيئاً فشيئاً. فرأينا كيف انه سلب الفضل سلطته في سنة ١٨٣ هـ ولم يرضى عليه إلا بعد توسط ام الفضل - مرضعة الرشيد - ولكنه لم يرد إليه شيئاً من اعماله(٢). كما انه كان قد أخذ الخاتم منهم قبل ذلك ودفعه للفضل بن الربيع عند وفاة الخيزران، وبلغ به الأستياء الى درجة كبيرة حتى انه منع الخدم إلا يقوموا ليحيى فكان لربما أستقى شربة الماء او غيره فلا يسقونه(٣).

ورأى الرشيد ان يقرب منافسي البرامكة فأخذ يسلب السلطة منهم ويوكلها الى منافسيهم فقد صرف محمد بن خالد بن برمك عن حجابته وقلدها اغلفضل بن الربيع(٤) ثم أخذ الحرس من جعفر وقلده لهرثمة بن اعين(٥). وبدأت مظاهر السخط على البرامكة تبدو في اقوال الرشيد فيروي الجهشياري عن ابن بختيشوع انه دخل على الرشيد فأرتفعت ضجة عظيمة فسأل عنها، فقيل له يحيى بن خالد ينظر في المظالم فقال بارك الله عليه فقد

---

(١) الطبري، ج١٠، ص٨٠.

(٢) الجهشياري، ص ٢٢٧ .

(٣) الطبري، ج١٠،ص٨٠.

(٤) الجهشياري،ص٢٣٣.

(٥) الجهشياري،ص٢٠٧.



جفف عني وحمل الثقل دوني وناب منابي وفعلت مثل ذلك زبيدة ثم ان بختيشوع نفسه دخل على الرشيد بعد مدة فأرتفعت ضجة فقال الرشيد ما هذا؟ فقيل يحيى بن خالد ينظر بالمظالم فقال فعل الله به وفعل استبد بالأمور دوني وأمضاها على غير رأيي وعمل بها احبه دون محبتي[1].

وسنجمل اسباب النكبة فيما يلي:

أولاً: سبب سياسي

يرى كثير من المؤرخين ان الرشيد نكب البرامكة بسبب أطلاقهم ليحيى العلوي فذكر الطبري عن ابي محمد اليزيدي الذي كان من اعلم الناس بأخبار القوم انه قال ((من قال ان الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله فلا تصدقه)). وخلاصة قصة يحيى مسجوناً عند البرامكة بعد ان نجح الفضل في اخماد ثورته فأطلقوه فوشي الفضل بن الربيع بهم، ورفع الأمر الى الرشيد فسأل جعفرا عن قضية اطلاق يحيى وبعد ان أكد عليه أعترف جعفر بإطلاقه من السجن فأظهر الرشيد أستحسانه ثم علق بعد خروجه قائلاً ((قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة أن لم أقتلك))[2].

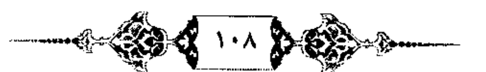
ويذكر الجهشياري ان الرشيد اتهم يحيى بميله الى يحيى العلوي وانه أمده بمئتي الف دينار ابان ثورته في بلاد الديلم[3]. ولعل ميل الفضل بن يحيى للتخفيف عن سجينهم الإمام الكاظم عليه السلام من العوامل التي أغضبت الرشيد على البرامكة ومن التهم التي وجهها الرشيد الى البرامكة هي مما لأتهم لخصومة السياسيين مثل عبد الملك بن صالح. وقد لازمت هذه التهمة البرامكة بعد سجنهم فيذكر الطبري ان الرشيد اتهم عبد الملك

---

(١) الجهشياري، ص٢٢٥ – ٢٦.

(٢) الطبري ج١٠، ص٨٠؛ اليافعي، مرآة ج٢، ص٤١٠.

(٣) الجهشياري، ص٢٤٣.



بن صالح بأنه يطلب الخلافة لنفسه[1]. أما أبن الأثير فيقول ((لم تزل حالهم -البرامكة- سهلة حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح فعمهم بسخطه وجدد لهم التهمة عند الرشيد))[2].

وغلب البرامكة الرشيد على امره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه.. ويقال كان أنه كان بديار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وقلم[3] وقد ظهرت مخاوف الرشيد من تمكن البرامكة من خراسان فقال ((أني خائف ان تمكن هؤلاء من خراسان ان يخرج الأمر من يدي))[4] أما الدميري فيذكر أن البرامكة أرادت أظهار الزندقة وفساد الملك فاوقع بهم فقتلهم[5] ويوضح ابن الأثير شك الرشيد بالبرامكة (نكبهم لأنهم أرادوا ابطال الخلافة))[6] أما علي ظريف فبين ان الرشيد أضطر للفتك بهم خوفاً من تغلبهم على الملك وأخراج الخلافة من يده[7] ويؤيد الأستاذ فليب حتى وجود ميول سياسية قوية عند البرامكة فيقول ((ان البرامكة أقوياء الى حد لم يطقه هارون ذو الإرادة القوية الذي لم يعجبه ان يرى كبشين في قطيع واحد))[8] ولكن الدكتور وجيه علي نجا يرى ان الرشيد طوى بنكبته للبرامكة صفحة من النضال الهائل بين الخلافة العربية والوزارة الأعجمية[9].

---

(١) الطبري ج١٠، ص٨٩؛ ابن الأثير، الكامل ج٦، ص٧٢؛ وابن كثير البداية، ج١٠،ص١٩٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٧١؛ الطبري، ج١٠، ص٩١.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص١٣.

(٤) ابن الأثير الكامل، ج٦، ص٧٠.

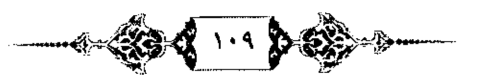
(٥) الدميري، كتاب الحيون، ج٢، ص١٧٢-٧٣.

(٦) ابن كثير البداية ،ج١٠، ص١٨٩.

(٧) الأعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد (مطبعة الفرات ١٣٤٤) ص١٦.

(٨) Hitti, O. C. P. 294 – 5.

(٩) وجيه علي ، البرامكة (المنتفك ج٥٤ ١٩٤٠).



ويعطينا الأستاذ محمد كرد علي صورة واضحة عن ميول البرامكة السياسية بقوله ((ولما رأى – الرشيد – ان ملكه في خطر محقق من نفوذ آل برمك وزرائه وخاصته لأنصراف الوجوه إليهم لكثرة ما احسنوا الى الناس... حتى ساووا الخليفة وأربوا عليه في المكانة أمر بالقبض عليهم ومصادرتهم وقتلهم... وذلك لأنه خافهم على ملكه، وهم فرس لهم قديم يمتون إليه من الإمارة والفرس يحاولون منذ القرن الول أن يعيدوا الملك فيهم فارسياً ويخرجوه عن صبغته العربية))(١).

ونختم الكلام عن هذه الناحية برواية ان صحت فليس هناك ما يدعو الى الشك بميول البرامكة الخطرة ومفادها ان جعفراً البرمكي تحدث عن ابي مسلم وأهمية دوره في نقل الخلافة من الأمويين الى العباسيين فقال ان ابا مسلم نقل الدولة من قوم الى قوم بالقتل وإراقة الدم وأنما الرجل من ينقلها من غير سفك دم، وقد نقل ذلك الى الرشيد فنكب جعفراً وسائر أفراد أسرته لأنهم شركاؤه في تدبير هذه المكيدة السياسية(٢).

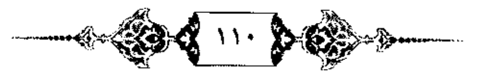
هذه النصوص التي ذكرناها والتي تدل بوضوح على ميول البرامكة السياسية سواء بميولهم الشخصية أو مما لأنهم لخصوم الرشيد السياسيين كيحيى العلوي وعبد الملك بن صالح تساعد الباحث على تقدير الخطر الذي كان يحيط بالدولة من جراء هذه الميول الخطرة. وتكتم الرشيد الزائد وتوكيل هذا الأمر لثقاته وشدة أحتياطه وأحترازه(٣) للأمر كل ذلك يدل دلالة واضحة على ان نكبة البرامكة لم تكن وليدة نزق وطيش.

---

(١) كرد علي، محمد الإسلام والحضارة العربية (القاهرة: مطبعة دار الكتب ١٩٣٤) ج٢ ص٢١٣.

(٢) الطنطاوي، جوهري براءة العباسة،ص٥٣؛ زيدان التمدن الإسلامي، ج٤، ص١٥١.

(٣) الطبري،ج١٠، ص٨٦.



ثانياً : السبب المالي

سيطر البرامكة على اموال الدولة ولم يكونوا يترددون في أستخدامها لغاياتهم الخاصة وقد أسرفوا اسرافاً جعل الناس تنجذب إليهم وتفضل خدمتهم على خدمة الرشيد فيذكر الأصفهاني: ان مروان بن ابي حفصة شكا لأحد أصحابه تغير الرشيد عليه فقال له اتشكوا بعدما اعطاك فأجاب ان آبان اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدة واحدة ما اخذته من الرشيد دهري كله[1]. ويذكر الجهشياري أن البرامكة فقد فارقوا الرشيد عل ى شيء يطلقونه له من المال للحوادث سوى نفقاته وما يحتاج اليه هو وعياله وانه طلب من جعفر ١٠ آلاف فأعتذر إليه[2]. وسف يقدر القارئ أمتناع جعفر عن دفع هذا المبلغ الزهيد الى الرشيد أذا علم ان وارد الدولة في عهد الرشيد كما يذكر الجهشياري كان ((خمسمائة الف الف وثلاثين الف الف وثلاثمائة الف وأثنا عشر الف درهم))[3]. وكان البرامكة ينفقون هذا المال لسد حاجياتهم الخاصة ويمنعونه عن الرشيد، فيذكر الجهشياري ان الرشيد قال ليحيى ((طلب منك الف الف درهم وكان قد ورد من مال فارس ستة ملايين درهم فأعتذرت بأنك لا تستطيع الصرف من هذا المال، فأحتلت أنا بقرض تولاه يونس وأخذت انت منها الف الف وخمسمائة درهم فوزعتها في عمالك))[4] وجاء في الطبري ان جعفراً بنى داراً غرم عليها نحو عشرين مليون درهم[5]. وقد حاز البرامكة كثيراً من الضياع الغنية وكانت هذه من الكثرة بحيث أثارت مخاوف الرشيد

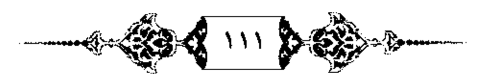
(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٢٠،ص٧٣.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص١٥٠.

(٣) الجهشياري، ص٢٨٨.

(٤) الجهشياري، ص٢٤٣.

(٥) الطبري، ج١٠، ص٨٢؛ ابن الأثير، الكامل،ج٦، ص٦٩؛والخطيب تاريخ بغداد،ج٧،ص ١٥٢ وما بعداها؛ ابن كثير البداية،ج١٠،ص٨٩.



فيذكر الدميري ان الرشيد ((قتل جعفر لأنه قد حاز ضياع الدنيا لنفسه وكان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر))[١] وذكر ابن عبد ربه ان سهل بن هارون أحصى جباء البرامكة فوجده عشرين مليون دينار وان الرشيد قبض من ساءر اموالهم ثلاثين الف الف وستمائة الف وستة وسبعين الف درهم - الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فأنه لا يوصف أقله ولا يعرف ايسره إلا... من عرف منتهى الآجال[٢] ويتفق ابن قتيبة مع ابن عبد ربه بتقدير الجباء ولكنه يخالفه في انه يجعل ما قبض من اموالهم ثلاثين مليزناً وستمائة وستين الف درهم[٣] وهذا يفسر لنا مبلغ استغراب الرشيد ودهشته حينما قال له مسرور الخادم انه لم يجد عند البرامكة مالاً، وعندما بلغ الرشيد هذا الخبر اخذته الدهشة وقال: ((وكيف وقد نهبوا مالي وذهبوا بخزائني))[٤].

وهناك قصة يرويها ابن ابي اصبيعة عن ابي يختيشوع تظهر لنا ان الرشيد بلغت به الحال الى حد لم يستطيع اكرام احد دون مشورة يحيى فيذكر ابن يختشوع انه اشترى ضيعة فطلب من يحيى المعونة فأعطاه (٧٠٠ الف درهم) واعطاه الفضل وجعفر البرمكيان (٣٠٠ الف) لكل واحد منهما، فعندما مثل بين يدي الخليفة اخبره بما جرى له مع يحيى وولديه فاجابه الخليفة فما حالي انا؟ ثم ركب الرشيد دابته وذهب الى دار يحيى فقال الرشيد مخاطباً يحيى ((يا ابتي أخبرني جبريل بما كان فما حالي انا من بين ولدك؟)) فأمر لي يحيى ب٥٠٠الف درهم هدية من الرشيد[٥] وقد يكون من المفيد ان نختم اقوال المؤرخين بقول ابن خلدون الذي يدل دلالة واضحة على تمادي البرامكة ةفي ابتزاز اموال الدولة:

(١) الدميري،الحيوان،ج٢،ص١٧٢ – ٧٣.

(٢) ابن عبد ربه،العقد ج٣،ص٢٦١؛ وابن عماد،شذرات الذهب ج١، ص٣١٣-٣١٤.

(٣) ابن قتيبة، الأمامة والسياسة،ج٢،ص١٧٧.

(٤) الجهشياري، ص٢٤٢.

(٥) ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (للطبعة الوهبية ١٢٩٩) ج١، ص١٣٠.

((وأنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة وأجتحافهم اموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من الأموال فلا يصل إليه))[١] .

وبعد: أن ما عرضنا من أقوال المؤرخين تعطينا صورة واضحة عن سيطرة البرامكة على اموال الدولة وصرفها في اصطناع الأحزاب وأجتذاب الناس في الوقت الذي حرموا فيه اولاد الرشيد وأتباعه فيذكر الجهشياري ان احد أصدقاء يحيى اشار عليه بأن ينقل قسماً من ضياع اصحابه لولد الرشيد فرفض[٢] وكان الرشيد يقول اغنيناهم وأفقرنا أولادنا ولم تكن لأحد من أولادنا ضيعة من ضياع البرامكة[٣].

وكانت هباة البرامكة لصنائعهم تقوم دليلاً واضحاً على ابتزازهم لأموال الدولة فيذكر الجهشياري ان الفضل بن يحيى وهب لصاحب شرطته (٤) ملايين درهم وكان هذا قد حصل عندما كان يعمل في كابل(٧) ملايين درهم[٤] وقد طلب شخص من الفضل (٤) آلاف درهم فوهبه (١٦) الف درهم ويذكر الخطيب ان جعفر اشترى جارية ب٤٠ الف دينار فبكت لفراق صاحبها فوهبها له[٥] وقد بلغت هبات الفضل مقادير كبيرة من المال تقصر عنها هبات الخليفة نفسه فيذكر الطبري ان الفضل كان يصل الرجل بالألف الف وبالخمسمائة الف[٦] ويذكر الجهشياري ان الرشيد كلف منصور بن زياد بعشرة ملايين درهم وعجز عن دفعها فدفعها عنه يحيى بن خالد[٧] وجاء في كتاب الف ليلة ان الرشيد كلف شخصاً بمليون درهم فدفعها عنه يحيى ووهبه بالإضافة الى ذلك جوهرة

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص١٣؛ المسعودي مروج، ج٣، ص٢٨٤.

(٢) الجهشياري، ص٢٢٧.

(٣) الأتليدي، اعلام الناس، ص١١٥؛ ابن عبد ربه، العقد ج٣، ص٢٦٣.

(٤) الجهشياري، ص١٩٢.

(٥) الخطيب، تاريخ بغداد،ج٧،ص١٥٢.

(٦) الطبري، ج١٠، ص٦٤.

(٧) الجهشياري، ص٢٢٢ – ٢٣.



ثمينة كانت لجاريته دنانير[1] وسنعرض للبحث عن كرم البرامكة وصلاتهم لأتباعهم في الفصل القادم.

وللأستاذ عبد الحليم العباس رأي يقول فيه ان المال الذي يطلقه البرامكة للرشيد كان كثيراً جداً ولا نعلم علام اعتمد الأستاذ في حكمه هذا مع اعلم ان المصادر التي ذكرناها تشير الى ان الرشيد طلب مرة ١٠ آلاف درهم فأمتنع البرامكة عن تسليمه. ويتمادى الأستاذ العباس في استنتاجاته وينتقد بعض المؤرخين الذين يظنون ان يد الرشيد مغلولة عن المال لأن البرامكة حازوه دونه[2] ونعتقد ان الأمثلة التي ذكرناها للأستدلال على استبداد البرامكة في اموال الدولة كافية لدحظ هذا الزعم.

ثالثاً: الأسباب العنصرية

لقد علمت ان البرامكة ينتمون الى الأرومة الفارسية وانهم كانوا يتعصبون للفارسية وقد تجلت ميولهم واضحة نحو ابناء جلدتهم في مناسبات كثيرة منها ما ذكره الجهشياري من ان يحيى كان يساعد سهلاً والد الفضل وزير المأمون بعد علي عاصم بن صبيح وانه اعاد إليه ضيعته وقد كان له أبلغ الأثر في تقريب الفضل بن سهل من المأمون وقد قال له مرة: ((في كل اربعين سنة يحدث رجل يجدد الله به دولة وانت عندي منهم))[3] ويرى الأستاذ عبد الحليم العباس ان يحيى قرب الفضل لأنه رأى فيه مخائل نجابة وانه نصح إليه بالإسلام ليسلك به المحجة الواضحة))[4]. وأحسب ان النص الذي أوردناه عن الجهشياري يدل دلالة واضحة على ان يحيى كان يعمل على تقريب الفضل ومساعدة ابيه سهل المجوسي بدافع التعصب للفارسية قبل كل شيء.

(١) الف ليلة وليلة، مطبعة بولاق الأميرية، ١٢٧٩، ج٢، ص١٥٩.

(٢) العباس، عبد الحليم، البرامكة، ص٤١ – ٤٢.

(٣) الجهشياري، الوزراء، ص٢٣٢.

(٤) العباس، عبد الحليم، البرامكة، ٢٥.



وكان البرامكة يناوئون الأشخاص الذين يبدون كرههم للعجم فيذكر ابن النديم ان البرامكة كانت تكره محمد بن الليث لأن فيه ميلاً على العجم[1]. وقد كانوا الى ذلك كله يتعصبون للمؤسسات الفارسية فيبين الجهشياري ان الرشيد اراد ان يهدم ايوان كسرى فآشار عليه يحيى إلا يفعل فرده قائلاً هذا من ميلك الى المجوسية[2] ولئن كان الطبري قد نسب هذه الحادثة الى خالد بن برمك فاني لا أجد ثمة ما يمنع من صحة الحادثتين فأن في كل منهما ما يدل على ميل البرامكة للفرس ويعلق الأستاذ براون على ذلك بقوله ان حادثة إيوان كسرى ومحاولة يحيى تأجيل النوروز لمدة شهرين ليدلان على ان البرامكة كانوا لا يزالون يضمرون المجوسية[3].

لم يقف البرامكة عند هذا كله ولكنهم خطوة جريئة أخرى حين أسسوا شبه حزب فارسي في الدولة فقابلهم العرب بمثل ذلك واسسوا هم بدورهم حزباً عربياً ليحول دون أستبداد البرامكة ويخفف من قوة العنصر الفارسي وقد ترأسته زبيدة زوج الرشيد[4]. وكانت زبيدة هذه تكره البرامكة كرهاً شديداً وكثيراً مال شكتهم للرشيد، وكان يحيى البرمكي يضايق زبيدة ويقيد تصرفاتها فذكر اليافعي ان زبيدة شكت يحيى للرشيد فعاتبه الرشيد فقال له يحيى أمتهم انا في حرمك فقال لا قال لا تقبل قولها علي واستمر في تشديده عليها[5]. ويرجع المسعودي اسباب العداء بيم ام جعفر - زبيدة - وبين البرامكة الى تشديد جعفر البرمكي على الأمين حين أراد أبوه منه ان يؤدي يمين الأخلاص لأخيه المأمون فيقول ان ام جعفر اضطغنت على جعفر البرمكي لأنه أكد على الأمين بأن لا يحاول خلع أخيه ((فكانت ممن حرض الرشيد على أمره وبعثه على

(١) ابن النديم،الفهرست،ص١٧٥.

(٢) الجهشياري، ص٢٢٩.

(٣). Browne O. C. P. 259

(٤) بارتولد، البرامكة، الموسوعة الإسلامية، ج١،ص٦٦٣؛ محمد صبيح، عرون،ص١٣٣.

(٥) اليافعي، مرآة، ج١، ص٤٠٦ – ٤٠٧.



ما نزل به))[1] ومحاولة البرامكة أبعاد القواد العرب عن مناصب الدولة تدل دلالة لا تقبل الريب على ما كانوا يضمرونه للفرس من تعصب فيذكر ابن الأثير ان الرشيد وجه يزيد بن مزيد[2] الشيباني لقتال الوليد بن طريف الخارجي فأستعمل اليزيد المخاتلة معه، وكانت البرامكة منحرفة عنه فأوحوا الى الرشيد ان يزيد انما يتحاشى قتال الوليد لما بينهما من رحم وهونوا امر الوليد فغضب عليه الرشيد[3] وقد كانوا يناصبون عبد الله بن مالك الخزاعي على العداء بالرغم من دفاع الرشيد عنه وقد استمروا على الكيد لمالك حتى غيروا الرشيد عليه[4] ويرى الأستاذ نيكلسون ان البرامكة لم يبدوا تعصباً للفرس ويقول ان ((سقوط البرامكة أثار روح التعصب الجنسي التي حاولوا قمعها وظهر اثر هذا التعصب في نزاع الأمين والمأمون الذي كان في حقيقته نزاعاً بين العرب والفرس وما أنتصار المأمون إلا انتقام للبرامكة))[5].

والذي اقوله ان رأي نيكلسون غير دقيق واعتقد ان الأدلة التي أوردتها والتي تبين بوضوح مدى تعصب البرامكة للفرس كافية لدحظ هذا الرأي. أما قوله ان انتصار المأمون ما هو إلا انتقام للبرامكة فهو من قبيل الاستطرادات الأدبية التي تنقصها الدقة العلمية لأن النزاع بين الأمين والمأمون لم يكن وليد عوامل تتعلق بنكبة البرامكة إذ ان

---

(١) المسعودي، مروج، ج٣، ص٢٧٢.

(٢) جاء في (لواء الإسلام ١٩٤٧) ج٣، ص٦٥ – ٦٦ أن يزيد بن مزيد كان واليا على اليمن ولقد حظى عند الرشيد فأقامه واليا على ارمينية وأذربيجان واشتهر بالبطولة وحصافة الرأي وقد امكنت يزيد الفرصة من الحمل على الوليد الخارجي فانهزم بجيوشه ولحقه يزيد وانصرف يزيد ظافراً فدخل على الرشيد ولما راه ضحك واخذ يصيح مرحباً بالأعرابي ولاقاه باحتفاء وإكرام ثم عاد الى ارمينية وأنال الشعراء بووئذ يمدحونه ويمجدونه ومن احسن ما مدح به قصيدة مسلم بن الموليد التي يقول فيها:

يفتر عند أفترار الحرب مبتسماً   إذا تغير وجه الفارس البطل

(٣) أبن الأثير الكامل،ج٦، ص ٥٧؛ والأغاني،ج١١، ص ٨ – ٩.

(٤) أبن مسكوية، تجارب الامم (مخطوط) تحت حوادث ١٨٧.

(٥) نيكلسون، تاريخ الأدب العربي،ص ٢٦٠ – ٢٦١.



النزاع يرجع الى عوامل كثيرة منها مشكلة العهد واطماع ومطامح الحاشية ووجود الحزبين العربي والفرسي[1]. ثم ان قول الأستاذ ان نزاع الأمين والمأمون هو نزاع بين العرب والفرس فيه نظر إذ ان النزعة الفارسية في حقيقتها لم تكن جزء من سياسة المأمون[2]. ولم يحاول البرامكة قمع التعصب الجنسي كما يزعم الأستاذ انما كان لتقريبهم للفرس اثر كبير في تكوين نواة الحزب الفرسي الذي ازداد قوة في عهد المأمون[3].

رابعاً: السبب النفسي

يميل البعض من المؤرخين الى ان هناك سبباً نفسياً كان له أثره في سبب نكبة البرامكة ويصفه البعض بأنه نوع من الحسد ويرى احد الكتاب المحدثين ان حالة عصبية اعترت الرشيد فحملته على نكبة وزرائه[4] واری ان فيما قدمت من اسباب ما يكفل لنا رد هذا الزعم الذي يرد قضية البرامكة الى حالة عصبية طارئة ويجعل نكبتهم وليدة طيش وأتباعا لهوى النفس، ويؤيد الدكتور نجا علي ما ذهبنا إليه بقوله: ((فلم يكن عمله (الرشيد) نزوة عاطفية))[5] وكذلك الأستاذ الخضري يؤيد هذا الرأي بقوله ((ان نكبت البرامكة ليست حادثة فجائية بل حادثة تقدمها اسباب طويلة))[6] .

وممن اشار الى هذا السبب من المؤرخين القدامى الجهشياري الذي يقول على لسان مسرور بصدد نكبة البرامكة ((وانما هو من ملل موالينا وحسدهم))[7].

---

(١) الدوري، العصر العباسي الأول، ص ١٨٨.

(٢) الدوري،ص ٢٠٧.

(٣) الدوري،ص ١٨٣.

(٤) محاضرات كامل عياد في العصر العباسي الأول.

(٥) نجا، وجيه علي، البرامكة، المنتفك، ١٩٤٠، ج٥٤.

(٦) الخضري، محاضرات ١٣٧.

(٧) الجهشياري، ص ٢٥٤.



ويقول اليافعي: ((ما كان للبرامكة جناية توجب غضب الرشيد ولكن طالت ايامهم وكل طويل مملول))[1].

أما ابن الطقطقي فيبن ان جعفرا والفضل ظهر منهما من الأذلال مالاً تحتمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك[2].

ويعلل ابن عماد نكبتهم بأنها نتيجة لأنحياز الناس إليهم فيقول ((ان الرشيد نكب البرامكة لنه رأى أقبال الناس عليهم وكثرة اتباعهم واشياعهم مع الأدلال العظيم منهم))[3].

ويكاد تعليل اليافعي يشبه أبن عماد حيث يقول ((رأى الرشيد... انى النعمة بهم وكثرة حمد الناس وآمالهم فيهم ونظرهم إليهم دونه))[4]. ويحمل الأستاذ براون على الرشيد فيقول ان حسده الفظيع قاده الى قتلهم[5].

وقد يكون هذا السبب اضعف الأسباب المتقدمة، وقد حاولت فيما سبق ان ابين للقارئ ان نكبة البرامكة لم تكن وليدة طيش وغرور، وكما انها لم تكن فجائية بل لمح إليها الرشيد قبل ست سنوات من وقوعها. وقد سبقت هذه النكبة إجراءات تستهدف اضعاف البرامكة كسلب السلطة منهم بالتدريج، وتولى علي بن عيسى بن ماهان بالرغم من هم وهذه التدابير تحملنا على الأعتقاد بان سقوط البرامكة كان متوقعاً ولا يعزى لعوامل فجائية، ولكن لابد وان الرشيد تأثر نفسياً لتعاظم نفوذ البرامكة، ولعل الغموض الذي أحاط القضية والذي أشرنا إليه سابقاً جعل المؤرخون يتأولون ويذكرون كل الأسباب الممكنة.

(١) اليافعي، مرآة، ج١، ص٤١٠.

(٢) الفخري، ص.

(٣) أبن عماد، شذرات الذهب، ج١، ص٣١١.

(٤) اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص ٤١٠.

(٥) **Browne, O. C. P. 257**



الوشاية

لعبت الوشاية دوراً كبيراً في نكبة البرامكة واخذ اعدائهم يذكرون للرشيد سيأتيهم ويطوون حسناتهم، وكان الرشيد يتقبل هذه الوشايات احياناً دون تمحيص خصوصاً بعد تنكره للبرامكة، فذكر ابن بدرون ان الرشيد لما وجه يقطين بن موسى الى افريقيا طلب منه ان يقص عليه قصة حدثه بها إبراهيم الإمام ومما قاله ((يا امير المؤمنين أن إبراهيم الإمام حدثني أن الخامس من خلفاء بني العباس يغدر به كتابه فأن لم يغدر بهم ويقتلهم قتلوه، فصدق الرشيد وأمر ان تكتب له الحكاية ومات يقطين هذا (١٨٦هـ) وقد اوقع الرشيد بالبرامكة (١٨٧هـ)[١] وكان الفضل بن الربيع من أشد اعدائهم ومنافسيهم وقد ذكر أبن خلكان من ان الفضل سعى بهم وتمكن بالمجالسة من الرشيد فأوغر قلب الخليفة عليهم ومالآه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح[٢] وكان الفضل بن ربيع يبث العيون حول البرامكة فيحمل إليهم أخبارهم ويقيد تصرفاتهم، فيذكر الطبري ان احد الجواسيس الذين كان يرسلهم الفضل بن الربيع، أخبره ان جعفراً أطلق يحيى العلوي فذهب الفضل وابلغ الرشيد بأمر يحيى[٣]. وكان الفضل لا يترك اي فرصة تمر دون ان يستغلها لا يغار صدر الرشيد عليهم فيذكر الجهشياري انه حرض الرشيد على جعفر البرمكي ونسب إليه إهانة الخليفة[٤]. وكان البرامكة يشعرون بانحراف الفضل عنهم فعرقلوا كثيراً من مطالبيه، فذكر ابن خلكان ان الفضل بن الربيع طلب من يحيى توقيع عشر رقع فما طل بذلك فعلق الفضل بقوله ارجعن خائبات خاسئات، وتمثل بما يأتي:

متى وعسى يثني الزمان عنانه	بتصريف حال والزمان عثور
فتقض لبانات وتشفى حسائف	وتحدث من بعد الأمور أمور

---

(١) بارتولد، البرامكة،الموسوعة الإسلامية، ج١، ص ٦٦٣.

(٢) أبن خلكان، وفيات،ج١، ص٤١٢.

(٣) الطبري، ج١٠،ص٨١.

(٤) الجهشياري، ص ٢١٦.



وذكر ابن خلكان [1] أيضاً ان شخصاً مجهولًا أوصل للرشيد القصيدة التالية وكانت هذه القصيدة من أسباب نكبتهم:

قل لأمين الله في أرضه	ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكاً	مثلك ما بينكما حد
أمرك مردود الى أمره	وأمره ليس له رد
وقد بنى الدار التي مابنى الفرس	لها مثلاً ولا الهند
الدر والياقوت حصباؤها	وتربها العنبر والند
ونحن نخشى انه وارث	ملك ان غيبك اللحد
ولن يباهي العبد اربابه	إلا إذا ما بطر العبد

ولا شك ان القارئ قد تطر إليه صاحب هذه القصيدة من محاذير سياسية و اقتصادية وحذر الرشيد من استفحال أمر البرامكة وأنه إذا لم يتخذ للأمر حيطة فقد يؤدي به الأمر الى ما لا تحمد عقباه، وكان اعداء البرامكة يستغلون المناسبات المواتية لحث الرشيد على الفتك بهم فيذكر الطبري [2] أن أبا العود احتال ان يجد من الرشيد وقتاً يحرضه فيه على البرامكة وقد كان شاع في الناس ما كان يهم به الرشيد في أمرهم فأستشهد بما يأتي:

وعدت هند وما كانت تعد	ليت هنداً أنجزتنا ما تعد
وأستبدت مرة واحدة	أنما العاجز من لا يستبد

فقال الرشيد أجل والله انما العاجز من لا يستبد.

هذا موجز لما كان يدور حول البرامكة من الوشايات التي قام بها منافسوا البرامكة، وكان الرشيد يغضي عنها حين كان مندفعاً نحو البرامكة فيروى لنا الطبري أنه حبس

(١) أبن خلكان، وفيات، ج١، ص ١٠٨.

(٢) الطبري، ج٧، ص ٣٢٠ – ٣٢١.



محمد بن الليث دهراً في المطبق حينما قدم الرسالة التي حرضه فيها على البرامكة وأخرجه وأعتذر منه حينما تغير عليهم[1].

مقتل جعفر وحبس البرامكة:

بعد ان استقر رأي الرشيد على قتل جعفر طلب من السندي بن شاهك قبل سنة ان يوكل بأسباب البرامكة ودورهم سراً[2].

فلما دخلت سنة ١٨٧هـ أمر الرشيد مسروراً الخادم بقتل جعفر فدخل عليه وكان يغنيه ابو زكار الأعمى:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي   عليه الموت يطرق او يغادي

فطلب منه ان يجيب الرشيد، فلما قدم على الخليفة طلب جعفر من مسرور ان يؤجل تنفيذ الحكم لعل الرشيد في حال سكر او غيبوبة ـ فعاد مسرور على الرشيد ثلاث مرات ليتأكد الأمر فقال له في المرة الثالثة ((نفيت من المهدي ان انت جئتني ولم تأتني برأسه لأرسلن إليك من يأتيني برأسك أولا ثم برأسه أخراً))[3]. وأصرار الرشيد هذا دليل أخر على ان نكبة البرامكة لم تكن وليدة غرور وطيش. ويقول الطبري انه وجهاً من احاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل ولم يفلت منهم احد، وامر بحبس يحيى والفضل ومصادرة أموالهم وكتب الى اعمال بقبض اموالهم وأخذ وكلائهم[4]. ولم يعف منهم من السجن سوى محمد بن خالد والمصادرة لبراءته مما دخل

---

(١) الطبري، ج١٠، ص٨٠.

(٢) الجهشياري، ص ٢٣٦.

(٣) الطبري، ج١٠، ص٨٥؛ وأبن مسكوية، تجارب الأمم (مخطوط) حوادث ١٨٧هـ.

(٤) الجهشياري، ص ٢٣٥؛ الطبري، ج١٠، ص٨٥؛ وأبن مسكوية، تجارب الأمم (مخطوط) حوادث ١٨٧هـ؛ اليعقوبي، ج٣، ص ١٥٢.



فيه اهله. ويذكر الجهشياري ان يحيى لما بلغ بقتل جعفر قال ((الحمد لله فأني بفضل ربي واثق بالخيرة منه عالم ولا يؤآخذ الله العباد إلا بذنوبهم، وما ربك بظلام للعبيد، وما يغفر الله اكثر ولله الحمد على كل حال[1]. وقد خالف الجهشياري رواية الطبري في أمر حبس الرشيد ليحيى فيقول انه حبس اتباعهم ولم يحبس يحيى، وسأله أن يختار اي مكان شاء للسكنى فاختار مكة أو بعض الثغور على شرط أن يرضى عنه الرشيد. ثم يبين ان الرشيد نقلهم الى الرقة وخير يحيى في السكنى فأختار الحبس مع اولاده.

وكان رأي الرشيد بالبرامكة يتغير تبعاً لوشاية أعدائهم فكان يرفه عنهم أحياناً ولكنه يعود بعد ذلك فيضيق عليهم، فيذكر ابن الأثير انه ضيق عليهم في الحبس لأنه أتهمهم بمهالاة عبد الملك بن صالح العباسي[2].

وكان الرشيد يظن ان خزائن البرامكة أمولاً جسيمة ولكنه لم يجد إلا مقداراً يسيرا فذكر الجهشياري ان وجد يحيى بن خالد خمسة آلاف دينار وللفضل ٤٠ الف درهم ولم يجد لموسى شيئاً ولا لجعفر شيئاً ووجد لمحمد بن يحيى سبعمائة الف درهم[3]. وقد أوكل الى مسرور الخادم امر البحث عن اموال البرامكة فجد هذا في البحث عن اموالهم ولكنه لم يعثر إلا على بعض الجواهر فأثار ذلك استغراب الرشيد وأمره ان يضرب الفضل مئتي سوط فضربه فلم يحصل منه على شيء[4]. بقي البرامكة يتنقلون في سجون الرشيد دون ان يظفروا بعفوه، فذكر اليعقوبي ان يحيى وولده أقاموا في الحبس عدة سنين، وان يحيى قدم ورقة للخليفة يستعطفه فيها ويذكر حرمته فوقع الرشيد على ظهر ورقته انما مثلك يا يحيى كما قال الله عز وجل (وضرب الله مثلاً قرية كانت أمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً

(١) الجهشياري، ص ٢٣٥.

(٢) الجهشياري، ص ٢٤٠، ٢٤٥.

(٣) أبن الأثير، الكامل،ج٦، ص٧١.

(٤) الجهشياري، ص ٢٤١.



من كل مكان فكفرت بنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)[1].

وأصرار الر شيد هذا بعد مرور مدة طويلة على نكبتهم من الأدلة الواضحة التي تظهر لنا بأن نكبة البرامكة لم تكن وليدة نزق وطيش او حالة عصبية كما يرى الأستاذ كامل عياد[2].

ولم يكتف اعداء البرامكة بحبسهم وتجريدهم من سلطتهم فأخذوا يحرضون الرشيد على الفتك بهم وقتلهم، فذكر ابن عبد ربه ان أحدهم رفع قصيدة للرشيد يحرضه فيها على البرامكة:

قل للخليفة بأكتفائه	دون الأنام بحسن رأيه
أما بدأت بجعفر	فاسق البرامك من إنائه
فأرفع ليحي مثله	ما العود إلا من لحائه
وأخضب بصدر مهند	عثنون يحيى من دمائه[3]

وقد توفى يحيى بالحبس سنة ١٩٠هـ والفضل سنة ١٩٣هـ قبيل وفاة الرشيد[4]. ولما تولى الأمين الخلافة أطلق موسى ومحمد ابني يحيى بن خالد من الحبس بالرقة ووصلهم[5].

والأستاذ فيلبي رأي يذهب فيه الى ان يحيى واولاده ظلوا يتنقلون في السجون حتى أنقذهم الموت مرة ورأفة المأمون وعفوه مرة أخرى[6]. والذي تذكره المصادر ان الأمين هو الذي عفى عن البرامكة ووصلهم. كما أنه ستخدم أحدهم في قيادة جيش أاستخدم

(١) اليافعي، مرآة، ج٢، ص ٤٠ – ٤١؛ والجهشياري، ص ٢٤١.

(٢) اليعقوبي،ج٣، ص ١٥٣ – ١٥٤.

(٣) عياد، كامل، محاضرات خطية في العصر العباسي الأول.

(٤) أبن عبد ربه، العقد،ج٣، ص ٢٦٧.

(٥) الطبري، ج١٠، ص ١٦٩.

(٦) فلبي؛ هارون الرشيد، ص١١٧.



أحدهم في قيادة جيش وجهه لمحاربة طاهر بن الحسين قرب المدائن[1]. ومن الغرائب ما رواه ابن مسكويه عن حادثة مقتل جعفر إذ يقول ((في هذا اليوم اخرج الى الأمير الفضل جعفر بن يحيى أدام الله كرامته ما امر أمير المؤمنين بأخراجه من الورق كذا ومن العين كذا ومن الفرش كذا ومن الكسوة كذا حتى بلغ مقدار ثلاثون الف الف درهم، ثم تصفحت الأوراق وأنتهيت الى ورقة فيها وفي هذا اليوم اخرج في ثمن البواري والنفط الذي احرق به جعفر بن يحيى اربعة دراهم وربع))[2] . اما صاحب الفخري فيروي قصة تشبه ما رواه أبن مسكويه فيقول (ان أحدهم نظر في تذاكر النواب فرأى أربعمائة الف دينار ثمن خلعة لجعفر بن يحيى ثم دخل بعد أيام فرأى تحت ذلك عشرة قراريط ثمن نفط وبواري لأحراق جثة جعفر بن يحيى[3]. وبعد ان حلت النكبة في البرامكة تشذب نفوذهم في الدولة ولاكن ما لبث ان بر ز بعضهم في الشؤون العامة فقلد الأمين قيادة الجيش الذي وجهه لمحاربة طاهر لأحد البرامكة.وفي عهد المأمون جماعة من القواد منهم موسى بن يحيى البرمكي وولاه السند بعد وفاته تولى ابنه عمران مكانه [4] وبقي عمران والياً على سند حتى قتل في خلافة الواثق [5] وقد أخطأ بارتولد[6] بقوله اننا لا نعرف شيئاً عن موسى بن يحيى البرمكي مع انه تولى سوريا في عهد الرشيد وتولى السند في عهد المأمون[7].

أما عمران فيرى بارتولد انه دافع عن المدائن أمام جيش المأمون ويستند بروايته هذه

---

(١) الطبري،ج١٠، ص١٦٩؛ وبارتولد، الموسوعة (الطبعة العربية) ج٣، ص٤٩٦.

(٢) ابن مسكوية، تجارب تحت حوادث ١٨٧.

(٣) الفخري، ص١٩٢.

(٤) اليعقوبي، ج٣،ص١٨٥؛ والطبري،ج٧،ص١٩١.

(٥) اليعقوبي،ج٣، ص٢٠٥.

(٦) بارتولد،الموسوعة أسلامية، الطبعة العربية، ج٣، ص٤٩٦.

(٧) اليافعي، مرآة الجنان،ج١، ص٤٢٤؛ الخطيب،ج١٤،ص١٣٠؛ وفلبيي، هارون،ص١١.

على الطبري تحت حوادث سنة ١٩٦هـ. والواقع ان الطبري لم يصرح بأن عمران بن موسى كان من قواد الأمين بل انه ذكر ان جيشاً للأمين يقوده البرمكي قابل طاهراً قرب المدائن[١].

وقد ذكر لنا السمعاني[٢] عن بعض متأخري البرامكة فقال أن هؤلاء برزوا في رواية الحديث والشعر والأدب، ومن الذين ذكرهم عبد الله بن جعفر بن خالد البرمكي وإبراهيم بن عمر بن احمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن مهران البرمكي، ويقول انه كان صدوقاً ثقة وقد روى عنه الخطيب وتوفى سنة خمس واربعين واربعمائة. ومنهم احمد بن إبراهيم البرمكي وعلي بن عمر البرمكي وجحظة البرمكي[٣] ويقول الأستاذ كركاني عبد العظيم ان محمد بن إسماعيل البرمكي من علماء ورواة الأخبار عند الشيعة الإمامية.

ويرى ان القاضي شمس الدين احمد بن محمد المعروف بابن خلكان ينتسب الى

(١) الطبري، ج٧، ص٤٣.

(٢) السمعاني، الأنساب، ص٧٦.

(٣) كان جحضة البرمكي من الشعراء والأدباء المشهورين فيقول عنه السمعاني (أنه كان حسن الأدب كثير الرواية للأخبار متصرفا في فنون جما من العلوم عارفا بصناعة النجوم حافظاً الأطراف من النحو واللغة مليح الشعر مقبول اللألفاظ حاضر النادرة، وأما صنعته في الغناء فلم يلحقه فيها احد توفي سنة اربعة وعشرين وثلاث مئة) وذكر الأستاذ حسن الطولوني (التحفة البهية ص٢٤٦، ٢٥٠) نماذج من شعره فقال في الورد:

إلا فأسقيناها قهوة بابلية	تحاكي شعاع الشمس بل هي افضل
وقد نطق الدراج بعد سكوته	ووافى كتاب الورد اني مقبل

وقال في الخريف:

لا تصغ للوم ام اللوم تضليل	واشرب ففي الشرب للأخوان تحليل
فقد مضى القيض وأجتثت رواحله	وطابت الراح لما آل أيلول
فليس في الأرض نبت يشتكي مرها	إلا وناظره بالطل مبلول

أما ابن النديم (الفهرست ص٢٠٨) فيصفه بأنه شاعر مغني مطبوع في الشعر حاذق بصناعة غناء الطنبور حسن الأدب بارع في معناه..... وأخباره أشهر الطنبورتين كتاب فضائل السكباج، كتاب النديم، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد، كتاب المشاهدات، كتاب مما جمعه فيما جر به المنجمون.

البرامكة وهو من القضاة والمؤرخين المشهورين ومن كتبه وفيات الأعيان، ٦١٨ هـ وتوفي سنة ٦٨١هـ(١).

ويذكر ابن الجوزي أسماء جماعة من البرامكة تحت المختار من الطبقة الرابعة وهم أحمد بن عمر بن احمد ابو العباس البرمكي سمع ابا جعفر بن شاهين وابا القاسم بن جبابة وكان صدوقاً.

أما أخوه إبراهيم بن عمر أبو أسحق البرمكي فقد قيل أن سلفه كانوا يسكنون قرية تسمى البرمكية نسبوا إليها، وقد صحب أبن بطة وسمع عنه وكانت لفه حلقة خاصة به بجامع المنصور(٢).

* * *

(١) كركاني، عبد العظيم، تاريخ برامكة، ص ر ك.

(٢) ابن الجوزي، مناقب احمد بن حنبل (مطبعة السعادة ١٣٤٩ هـ) ص٥٢٠ – لاحظ ان المؤلف ينسب البرامكة الى قرية تسمى البرمكية وبذا يشابه: (تفسير السمعاني، الذي أورده في كتابه، الأنساب ص٧٦).



الفصل الخامس:

حياة البرامكة الاجتماعية

قبل ان اعرض لحياة البرامكة الاجتماعية ارى من المناسب ان قول كلمة عن تأثير نكبتهم في الدولة وموقف المعاصرين منها وقد يسأل القارئ أطرأ على الدولة بعد نكبة البرامكة ما يدل على اضطراب سيرها واختلال امرها ام ان الدولة ظلت محتفظة بنهجها دائبة على اتزانها فلم يترتب على نكبتهم أثر سلبي؟ الواقع ان سؤالاً كهذا يعرض الباحث امام مشكلة اثارت اختلاف فريق كبير من المؤرخين، فيرى عدد من المؤرخين القدماء والمحدثين ان امور الرشيد اختلت بعد ذهاب البرامكة. فالجهشياري يقول: ((ولما أنقضى امر البرامكة وحصل التدبير في ايام الرشيد على ما بيناه أختلت الأمور وقصد الفضل بن الربيع لحفظ خدمة الرشيد في حضرته وأضاع ما وراء بابه))[1].

أما المسعودي فيقول على الرشيد ((أختلت أموره بعد البرامكة وبان للناس قبح تدبيره وسوء سياسته[2] ولم يستطع الفضل بن الربيع الذي خلفهم في الوزارة ان يدير شؤون الدولة بجدارة، فيذكر ابن خلكان ان الفضل بن الربيع كان يروم التشبه بهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك اللحاق بهم[3] وذكر الجهشياري ان بعض الشعراء قال شعراً يوم وفاة الفضل:

---

(١) الجهشياري ص٢٦٥.

(٢) المسعودي، التنبيه والأشراف،ص٢٩٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٤١٢.



ليس نبكي عليكم يا بني برمك أن زال ملككم فتقضى
بل نبككم لنا ولأنا لم نرَ الخير بعدكم حل أرضا[1]

ويبين ان الرشيد ندم على قتلهم وان الوشاة الذين حملوه على الفتك بهم لم يسدوا مسدهم فكان كثيراً ما يقول: ((حملونا على نصائحنا وكفاتنا، وأوهمونا أنهم يقومون مقامهم فلما صرنا إليهم ما أرادوا منا، لم يغنوا شيئاً عنا)) وقد تمثل بالبيت الأتي:

أقلوا علينا لا أباً لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا[2]

ويذكر الجهشياري أيضاً ان الفضل بن الربيع - عدوهم اللدود - ذكر البرامكة فأثنى عليهم وقرضهم ثم قال: ((كنا نعتب عليهم، فقد صرنا نتمناهم ونبكي عليهم[3] وذكر الخطيب ان أمرأة قالت عن جعفر ((لقد كنت الملك بحقه في جلالته.. فأستعظم الناس فقدك إذ لم يستخلفوا ملكاً بعدك فنسأل الله الصبر على عظيم الفجيعة وجليل الرزية التي لا تستعاض بغيرك... ثم أنشأت تقول:

العيش بعدك مرغير مرغوب ومذ صلبت ومقنا كل مصلوب
أرجو لك الله ذا الإحسان ان له فضلاً علينا وعفواً غير محسوب[4]

ويروي الجهشياري رواية يبين فيها ندم الرشيد على قتل جعفر وخلاصتها ان الرشيد سأل شخصاً يدعى بأبن يزدانيروذ عن جعفر وما إذا كان قد فكر في الأئمار بالرشيد والغدر به، فأجابه بالنفي فبكى الخليفة وقال أسفي عليك يا جعفر[5]. والأمر الذي

(١) الجهشياري، ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) الجهشياري، ص٢٥٨؛ اليافعي، مرآة ج١، ص٤١١؛ ابن خلكان،وفيات، ج٢،ص٢٤٦؛ نيكلسون، تاريخ الأدب العربي، ص٢٥٩.

(٣) الجهشياري،ص٢٦٢.

(٤) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٥٨.

(٥) الجهشياري، ص٢٦٠ – ٦١.



يمكن ان يخرج بن القارئ بعد ملاحظة هذه النصوص هو ان الندم قد وجد سبيله الى نفس الرشيد وكان يلح عليه ويثير في نفسه الحزن والأسف على ما دبره للبرامكة على ان هناك اقوالا اخرى تناقض ما عرضناه على القارئ من نصوص فقد جاء في العقد الفريد ان الأمين وأمه زبيدة أستشفعا بالبرامكة لدى الرشيد فلم يشفعهما وكتب على الرقعة التي قدمت إليه (عظم ذنبك أمات خواطر العفو عنك))[1] وأن الرشيد قال عندما اشار الى مصرع جعفر:

من لم يؤدبه الجميل ففي عقوبته صلاح[2]

ثم يذكر بعد هذا ان فاطمة ام جعفر وظئر الرشيد شفعت بيحي وولده فلم يقبل... وكان آلى على نفسه وهو في كفالتها إلا يحجبها ولا استشفعته لأحد إلا شفعها [3].

وقد ارسلت قصيدة الى الرشيد انطوت على كثير من عبارات الأستعطاف والتماس العفو غير ان الخليفة لم يعر ذلك كبير اهمية وإليك بعض ابياتها:

قل للخليفة ذي الصنيعة والعطايا الفاشية
وأبن الخلائف من قريش والملوك العالية
ان البرامكة الذين رموا لديك بداهية
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة بادية
فكأنهم مما بهم اعجاز نخل خاوية
عمتهم لك سخطة لم تبق منهم باقية
أضحوا وجل مناهم منك الرضا والعافية
يا من يود لي الردى يكفيك مني ما بيه
يكفيك ما ابصرت من ذلي وذل مكانيه[4]

(١) العقد الفريد، د٣ – ٢٦٣.

(٢) العقد،ج٣، ص٢٥٩.

(٣) العقد،ج٣، ص٢٦١-٢٦٢.

(٤) ابن عبد ربه، العقد، ج٣، ص٢٦٢.

وهناك اشاراتن تدل على اعتراف يحيى بذنوب اولاده. ويستطيع القارئ ان يتبين الإشارات في الرسالة التي وجهها يحيى الى الرشيد وهو في السجن، والرسالة قطعة أدبية جميلة تدل على براعة يحيى الأدبية وقد يكون من المناسب ان نقتبس لك بعضها: ((لأمير المؤمنين وخليفة المهديين... من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه ومال به الزمان ونزل به الحدثان... ساعته شهر وليلته دهر... وا اسفا على قربك لا على شيء من المواهب... وأما ما أصبت به من ولدي فبذنبه ولا أخشى عليك الخطأ في أمره ولا ان تكون تجاوزت فيه فوق الحد تفكر في أمري جعلني الله فداك ولميل هواك بالعفو عن ذنب ان كان فمن مثلي الزلل ومن مثلك الإقالة))[1] أما كيف أصبحت أمور الدولة بعد البرامكة وما هي النتائج التي تمخضت عنها فأليك تفصيل ذلك: أورد الجهشياري نصاً يظهر منه سياسة الرشيد اصابها الأهمال وغلب عليها التواني سواء في عهد البرامكة ام بعد نكبتهم قال الجهشياري: ((أن أمور البريد والأخبار في ايام الرشيد كانت مهملة وان مسروراً الخادم كان يتقلد البريد والخرائط، ويخلفه عليه ثابت... فحدثني ثابت ان الرشيد توفي وعندهم اربعة آلاف خريطة لم تفض))[2] ولهذا القول أهمية خاصة نظراً لخطورة مؤسسة البريد وأهميتها في ذلك العصر[3]. ونص الجهشياري هذا ان يدل على شيء فانما يدل على ان التواني لم يكن يحصل بسبب ذهاب البرامكة وأنما

(١) عبد العظيم خان، تاريخ برامكة، ص قنو.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص٢٦٥.

(٣) كان البريد في العصر العباسي بالإضافة الى نقل الرسائل الرسمية يقابل دائرة الجاسوسية في العصر الحديث وكان هناك موظف خاص يسمى صاحب البريد وهذا يشرف على اعمال – موظفي الحكومة في الولايات ويشرف بالإضافة الى ذلك على اعمال الرعية. ويكتب للعاصمة بما يجري في منطقته وهو مستقل عن امير الولاية ويتصل بالعاصمة مباشرة وحديث المنصور عن صاحب البريد يدل دلالة واضحة على اهمية هذه المؤسسة. إذا احد اركان الملك الأربعة بالرغم من انه اعز الخلفاء واكثرهم سيطرة فقال (ما كان احوجني على ان يكون علي بأبي اربعة نفر لا يكون على بابي اعنف منهم. وهو اركان الملك فقاضي لا تأخذه في الله لومة لائم والأخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية... والرابع صاحب بريد يكتب ويخبر هؤلاء عن الصحة.

كان مظهراً من المظاهر العامة التي غلبت على الدولة حتى في عهد وزارة البرامكة أما التناقض الذي يظهر بين أقوال المؤرخين فأنه فيه دلالة واضحة على ان هؤلاء المؤرخين فأنه فيه دلالة واضحة على ان هؤلاء المؤرخون لم يكونوا يعترفون بحصول اثر سلبي بعد نكبة البرامكة وقد يكون في حديث الرشيد الى مسرور ما يدل على ان نكبة البرامكة كانت محاطة بالغموض الى حد ان معاصريه كانوا يجهلون عنه الشيء الكثير.

وذكر الجهشياري ان الرشيد سأل مسروراً عما يقوله الناس فيه وفي البرامكة فقال له ان الناس يقولون انك لن تقف لهم وانك طمعت في اموالهم، ثم امره ان يحضر يحيى من الحبس فلما مثل بين يديه أورد له اربعة عشرة جريمة صدرت منه اثناء قيامه بالحكم، ثم قال يا مسرور بصيغة التعجب: يقول الناس اني ما وفيت؟! [1].

ولا شك ان القارئ لاحظ ان المؤرخين يكادون يجمعون على الثناء على البرامكة وان نكبتهم كانت وبالاً على الناس وأليك بعض الأبيات التي تمثل هذا الشعور:

عليك من الأحبة كل يوم	سلام الله ما ذكر السلام
لئن أمس صداك برأي عين	على خشب حداك بها الأمام
فمن ملك الى ملك برغم	من الأملاك أسلمك الهمام
فما ابصرت قبلك يا أبن يحيى	حساماً فله السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً	لدولة آل برمك السلام[2]

ولم يقتصر التمادي بالثناء والعطف على البرامكة على المؤرخين القدماء وحسب بل تعداه الى المحدثين أيضاً[3]. وبعد فهذا موجز ما يذكره المؤرخون القدماء عن الآثار التي نتجت عن نكبة البرامكة في الدولة ويبدوا هذا الأثر السيىء واضحاً فيما طرأ على سياسة

(١) الجهشياري، ص٢٤٢-٤٣.

(٢) عبد العظيم، تاريخ برامكة، ص قكط - قلا.

(٣) المدور، جميل نخلة، حضارة الإسلام في دار السلام (القاهرة المطبعة الأميرية) ص٢٨٢.



الرشيد بعدهم من توان وأهمال – فيذكر السيد أمير علي أن معظم شهرة الرشيد تعزى الى كفاية الوزراء الذين أوكل إليهم مهام الدولة خلال سبعة عشر سنة ولكن الدولة ما لبثت ان امتدت اليها يد الضعف بعدهم[١].

أما المدور فيغالي كثيراً في تأثير نكبة البرامكة في الدولة العباسية وينحي باللائمة على الرشيد فيقول ان امور الرشيد أضطربت أضطراباً شديداً بعد نكبة البرامكة وان فارس قامت بها القيامة وخراسان عصفت فيها روح الفتنة والمغرب تضعضع حكم الرشيد فيها والروم جاشوا وأمتنعوا عن تأدية الجزية[٢].

ولا بد لي ان اقول هنا ان كلام المدور هذا ما هو إلا ضرب من التبجح الأدبي أطلق المدور فيه أطلاقاً أما نيكلسون فيرى ان سقوط البرامكة ادى الى اثارة روح التعصب العنصري التي حاولوا قمعها وقد ظهر هذا في نزاع الأمين والمأمون الذي كان في حقيقته نزاع بين العرب والفرس[٣] ولقد سبق لنا ان ناقشنا هذا الرأي في بعض الفصول الفائتة فلا حاجة للتكرار، أما بارتولد فيرى ان يحي لم يكن ذا اثر كبير في الدولة[٤].

وذهب الأستاذ الخضري الى ان الرشيد بنكبته للبرامكة ((فقد زهرت دولته وغرة جبينها بل زهرتا للدولة العباسية كلها فقد وزراء ان كتبوا أجادوا وان قادوا الجيوش سدوا الثغور وان ولوا عملاً أصلحوا، وهكذا الخليفة ذو السلطان المطلق لا يأمنه خدمه بل تراهم حذرين ووجلين))[٥].وللأستاذ فيلبي رأي يخلوا من كثير من الدقة فهو بعد ان يتهجم على الرشيد يقول ان البرامكة ذهبوا ضحية للظلم ثم يعقد مقرنة بين نكبة

---

(١) أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص٢٠٥.

(٢) المدور، حضارة الإسلام، ص٢٨٧ – ٨٨.

(٣) Nicholson O. C. P. 254 – 55.

(٤) بارتولد، البرامكة، الموسوعة الإسلامية، ج١، ص٦٦٣.

(٥) الخضري، محاضرات في الدولة العباسية،ص١٤٤.

البرامكة وفاجعة كربلاء بقوله: ((وكما كانت فاجعة كربلاء لطخة في التأريخ الأموي كذلك كانت نكبة البرامكة لطخة في تأريخ العباسيين))[1] .

والحقيقة اننا لا نرى ما يبرر الأستاذ مثل هذه المقرنة بين هذين الحادثتين لأختلاف الدوافع التي ادت الى حدوث كل منهما هذا الى ان الحسين عليه السلام كان قد ثار في وجه الأمويين لدوافع اجتماعية ودينية نبيلة فهل اراد البرامكة انم يزيلوا ظلماً او يحققوا عدلاً حتى يقارن الأستاذ بين الحادثتين؟؟ هذه اهم اراء المحدثين التي وقفت عليها في تأثير نكبة البرامكة في الدولة العباسية وقد وقد يكون من الضروري ان اناقش اكثر هذه الآراء تطرفاً وها انا اقصر مناقشتي على آراء جميل نخلة المدور.

فالمدور يقول ان الروم جاشت وامتنعت عن الجزية لعلمها بضعف الدولة بعد نكبة البرامكة فأقول ان النزاع بين العباسيين والبيزنطيين لم يكن وليد فترة معينة وانما كان نزاعاً تقليدياً يرجع الى ما قبل عهد العرب حيث كان قائماً بين الفرس واليونان ثم بينهم وبين البيزنطيين وقد ورث العرب هذا النزاع[2] وكان يضعف ويقوي تبعاً لقوة وضعف احد الطرفين ثم ان الرشيد في حربه مع الروم في ١٨٧هـ لم يظهر ضعفاً كما زعم المدور وانما انتصر انتصاراً باهراً فيذكر الطبري ان الرشيد (سار حتى اناخ بباب هرقلة ففتح وغنم واصطفى وافاد وخرب وحرق وأصظلم فطلب نقفور الموادعة على خراج يؤديه في كل سنة[3] وعند نكثه عاد الرشيد إليه وأرغمه على دفع الجزية. وفي سنة ثمان وثمانين ومائة انتصر قائد الصائفة على نقفور وقتل من أصحابه اربعين الفاً وسبعمائة وأخذ اربعة آلاف دابه[4].

(١) فلبي، هارون الرشيد، ص٨٤-٨٥.

(٢) خدوري، مجيد، الصلات الدبلوماطيقية بين الرشيد وشارلمان (بغداد، مطبعة التفيض، ١٩٣٩) ص١٠.

(٣) الطبري، ج١٠، ص٩٢-٩٣.

(٤) الطبري، ج١٠، ص٩٥.



وقد واصل الرشيد انتصاراته على الروم ففي سنة ١٩٠هـ فتح الرشيد هرقلة واخربها وسبى اهلها وارسل حميد بن معيوف ففتح قبرس وهدم وحرق وسبى من اهلها ١٦ الفاً ثم يضيف الطبري الى ما سبق من الرشيد وصل الى الطوانة وان نقفور بعث الى الرشيد بالخراج والجزية عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر اهل بلاده وقد قدرت هذه الغرامة قرابة ٥٠ الف دينار[١].

واما مازعمه المدور ان خراسان عصفت بها فتنة بعد موت البرامكة فليس بصحيح ولا يقل تطرقاً عن اقواله السابقة فخراسان كانت تشكوا من ظلم علي بن عيسى حتى في عهد البرامكة الذين اشاروا على الرشيد بعزله[٢] وكان علي هذا يصانع الرشيد بالهدايا الفاخرة مما جعل الرشيد يغضى عن اعماله ولما شعر علي بالوشاية ((قدم على الرشيد بالأموال والهدايا والطلاف من المتاع والمسك والجوهر وآنية الذهب والفضة والسلاح والدواب وأهدى وأهدى بعد ذلك الى جميع من كان معه من ولده وأهل بيته وخدمه وقواده على قدر طبقاتهم ومراتبهم))[٣].

وقد لا يكون الرشيد على علم اكيد من امر ابن ماهان ولكنه ما كاد يفتضح أمره بعد ثورة اهل خراسان بقيادة رافع بن الليث حتى عزله الرشيد وأستصفى امواله[٤] وقد طلب من هرثمة بن اعين ان يستصفي امواله ويأخذ حقوق الناس منه ((وفي انصاف الناس في حقوقهم ومظالمهم حتى لا تبقى لمتظلم منهم قبلهم ظلامة))[٥].

---

(١) الطبري، ج١٠، ص٩٨-٩٩ (لاحظ ان الطبري لم يميز بين الخراج كضريبة على الأرض والجزية كضريبة على الرؤوس).

(٢) الطبري، ج١٠، ص٩٦.

(٣) الطبري،ج١٠، ص٩٥.

(٤) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي، ص١٣٧.

(٥) الطبري، ج١٠، ص١٠٧.

وقد أيد فريق كبير من اهالي خراسان ثورة رافع بن اليث هذا كل ماحصل من اضراب في خراسان على عهد الرشيد، اما لهذا الاضطراب علاقته بنكبة البرامكة - عما يزعم المدور - فليس هناك ما يشير الى مثل هذه العلاقة، وقد يكون السبب الرئسي في تأييد الناس لرافع بن الليث هو ظلم علي بن عيسى بن ماهان واجتحافه اموال الناس ظلماً وعدواناً. فمن هذا يتضح انه لم يتسرب الى الدولة ضعف او توازن بعد نكبة البرامكة بل لعلي لا اغلو اذا زعمت ان الدولة كانت قوية معززة الجانب ولكن يجدر بالباحث ان يلاحظان حالى الدولة العامة قد امتذ إليها الضعف والتواني خلال وزارة البرامكة وابتداء حكم الرشيد ومن الأدلة على ذلك أستفحال أمر النساء واتساع تدخلهن في سياسة الدولة الأمر الذي كافحه الهادي بشدة وحاول ان يحد من نشاطه فذهب ضحية من اجل ذلك وقد اشرنا اغلى ذلك بالفصل السابق فالخيزران الى حد غير قليل وزبيدة الى حدما كانتا تتدخلان في سياسة الدولة وقد بينا الدور الذي لعبته الخيزران في ابتداء حكم الرشيد. ثم ان تماهل الرشيد في معاقبة العمال يدل دلالة واضخة على ضعف سياسته وتصرفات علي بن عيسى في خراسان من اوضح الأدلة على هذا الضعف ثم ان موقف الرشيد من امبراطور البيزنطيين وأكتفائه بدفع الجزية منه قد يحمل الباحث على الأعتقاد بان الرشيد لم يكن مبتكراً في سياسته وان كان بوضع يساعده على حصول شروط أحسن من امبراطور الروم.

كرم البرامكة وضخامة جاههم:

كنا قد اشرنا في الفصل السابق الى مدى تسلط البرامكة على مالية الدولة واجتحافهم الأموال دون الرشيد وقد انفقوا هذه الاموال في اصطناع الاحزاب والمكارم[1]. ولم يكدسوها كما يظهر من قول الفضل بن يحيى عندما آارد مسرور ضربه بتهمة اخفاء المال

(١) الجهشياري، ص٢٤٢.



فيقول: ((لو خيرت بين الخروج من ملك غالدنيا وبين ان اضرب سوطاً واحداً لأخترت الخروج، وأمير المؤمنين يعلم ذلك وانت تعلم أنا نصون أموالنا وأعراضنا))[1].

وفي هذا ما يدل على ميل البرامكة الصادق في الكرم لأجتذاب الناس فيقول الأستاذ محمد صبيح ((ان كتب الدب والتأريخ مشحونة بأنباء الجود والكرم البرمكي، وهذه الأموال التي كانوا يغدقونها على الشعراء والأدباء والعلماء... بغير حساب))[2].

ويبدوا ان اغراق البرامكة في البذل والسخاء قد استدعى انتباه الناس الامر الذي حمل محبيهم واصدقائهم على التخوف عليهم من مغبة هذا الأمر فيذكر الجهشياري ان احد اصدقاء يحيى اشار عليه بأن ينقل قسماً من ضياع اصحابه الى ولد الرشيد فأجابه ((لأن تزول عني النعمة أحب إلي من ازيلها عن قوم كنت سبباً لهم))[3] وقد بالغ البرامكة بالعطاء الى درجة كبيرة فيذكر الخطيب[4] ان سلات يحيى لمن تعرض له إذا ركب (٢٠٠) درهم فعرض له شاعر فأنشد لعمله الأبيات الأتية:

يا سمي الحصور يحيى اتيحت	لك من فضل ربنا جنتان
كل من في الطريق عليكم	فله من والكم مثتان
مثتا درهم لمثلي قليل	هي منكم للقابس العجلان

فأستحسن الوزير شعره وامر له بعشرين الف درهم وقد طلب رجاء بن عبد العزيز اعانة مالية من يحيى فوهبه (٧٠٠ الف درهم)[5] وكان الشعراء يستغلون مناسبات الفرح عند البرامكة فيظفروا بكمية كبيرة من المال ففي يوم من ايام الاعياد انشد احد الشعراء

(١)) اليافعي،مرآة،ج٢،ص٤٠-٤١؛ وابن خلكان،ج١، ص٤٠٩.

(٢)) محمد صبيح،هارون الرشيد،ص١١٧.

(٣)) الجهشياري، ص٢٢٧.

(٤)) الخطيب، تاريخ بغداد،ج١٤، ص١٢٩؛ ابن خلكان، وفيات،ج٢، ص٤٤.

(٥) المستطرف للأبشهي (مصر مطبعة دار الكتب) ج١، ص٢٢٨.



المعروف بابي قابوس النصراني امام جعفر بن يحيى الابيات الآتية:

ابـا الفضل لـو ابصرتـنا يـوم عيدنا ... لـرأيت مباهاة لنا في الكنائـــس
فـلا بـد لي مـن جبـة مـن جبابكـم ... ومـن طيلسان مـن جياد الطيالـس
لـعـمـرك مـا أفـرطـــت فـيـما سألته ... ولوكنت قد أفرطت فيه بيائس[1]

وذكر الفالي ان احد الشعراء دخل على الفضل بن يحيى فخرج احد الخدم فأخبر الفضل بمولود جديد فقال الشاعر:

ويـفـرح بـالمـولـود مـن آل بـرمـك ... بغاة الندى والرمح والسيف والنصل[2]
وتـنـبـسـط الآمـــال فـيـه لـفـضـلـه ... ولا سيما ان كـان مـن ولـد الفضل

فأمر له بمائة الف درهم ثم صنع له امراً فأمر له بمئة ألف درهم اخرى ويروي الطبري شعراً لمروان بن ابي حفصة يمدح فيه الفضل ويشيد بكرمه:

ما الفضل إلا شهاب لا اقـــول له ... عند الحـروب إذا مـا تـأفل الشهب
ان الجـواد ابـن يحيى الفضل لاورق ... يبقى عـلى جـود كفيه ولا ذهــب[3]

أما القصة التي يرويها ابن الطقطقي فتدل دلالة واضحة على تمادي البرامكة في الجود والعطاء وخلاصة ما يرويها ابن الطقطقي ان احد الحراس عثر على شخص يندب البرامكة بالرغم من المنع الذي وضعه الرشيد فأحضره امام الخليفة فلما سئل عن امره قال انه كان كاتباً صغيراً ليحيى البرمكي وقد طلب منه مرة ان يدعوه لبيته فأعتذر لصغر داره وقلة ما في يد فالح يحيى عليه فأنصاع لطلبه فعندما حضر يحيى وولده امر بفتح

(١)عبد العظيم، تاريخ برامكة، ص، صح .

(٢) القالى، ذيل الأمالي (القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية -١٣٤٤) ص٩٩؛ ويروي (اليافعي مرآة ص٣٥) قصة مشابهة لهذه القصة ولكنه يجعل الصلة ١٠ الآف دينار .

(٣)الطبري، ج١٠، ص٦٢-٦٣ .



الحائط المجاور، فظهر بستان حسن مثمر ودار فيها الألآت والفرش والخدم والجواري، فقال هذا المنزل وما فيه لك، وقم جعفر بدوره فقدم له ضيعة وقدم له الفضل(١٠) الآف دينار(٣) وذكر الأستاذ لويس شيخو اليسوعي قصة مشابهة لهذه القصة عن كتاب احسن المسالك في اخبار البرامك ليوسف بن محمد البلوي احد مخطوطات مكتبة باريس مع تبديل طفيف بين اشخاص القصة إذ يرى انها حصلت مع الفضل بن يحيى[١] وقد أغلظ يحيى مرة لأحد كتابه فأسترضاه بـ (٣٠٠) الف درهم[٢] وذكر ابن الطقطقي ان اسحق الموصلي اهدى الى الفضل جارية فقال له ان صاحب مصر يلتمس مني حاجة ولن اقضيها له حتى يأتيني بتلك الجارية فان طلبها منك فلا تقبل منه بأقل من خمسين الف دينار، فعندما تقدم صاحب مصر لأبتياع الجارية باعها عليه بثلاثين الف دينار وقد جرى مثل ذلك لصاحب خراسان فحصل منه على أربعين الف دينار ونال من صاحب الروم ثلاثين الف دينار وبعد ان حصل على هذه المبالغ الطائلة ارجع له الفضل الجارية[٣].

وكان البرامكة ينافسون الرشيد في الهبات والعطايا حتى ان الشعراء لم يكونوا يتأخرون عن مدحهم في حضرة الخليفة فيذكر ابن الطقطقي ان الرشيد حج الى مكة وصحب معه الأمين والمأمون ويحيى وولديه فجلس الرشيد ويحيى معه وأعطوا الناس ثم جلس الأمين مع الفضل والمأمون مع جعفر وأعطوا الناس كذلك فحصل الناس على ثلاث اعطيات ضربت بكثرتها الأمثال[٤].

وهاك ما قاله احد الشعراء في هذه المناسبة:

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فيا طيب أخبار ويا حسن منظر

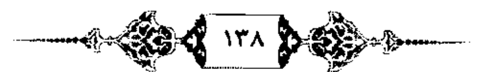
---

(١) الفخري، ص ١٨٠- ١٨١.

(٢) شيخو، اليسوعي، مأثرة برمكية، المشرق، ١٨٩٩، ج٢،ص٥٤٤- ٩٩.

(٣) الجهشياري، ص١٩٨ – ٩٩.

(٤) الفخري، ص١٨٣ – ٨٥؛ ابن خلكان ج٢، ص٢٤٣ (مع أختلاف بسيط).



لهم رحلة في كل عام الى العدا وأخرى الى البيت العتيق المستر
إذانزلوا بطحاءمكةاشرقت بيحى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت إلا لجود أكفهم وأقدامهم إلا لأعواد منبر[1]

وقد اكثر الشعراء من التغني بجود الفضل بن يحيى فقال احدهم:

ما رأينا كجود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

وقال فيه يزيد بن خالد المعروف بأبن حسبات:

ألم تر ان الجود من صلب آدم تحدرحتى صار في راحةالفضل
إذا ما أبو العباس جادت سماؤه فيالك من طل ويالك من وبل

وقال أخر:

أنت الذي تأخذ الأيدي بحجزته إذا الزمان على انيابه كلحا
وكلت بالدهر عيناً غير غافلة بجود كفك تأسوا كلما جرحا

وقد اطلق على الفضل لقب (حاتم الإسلام) و (حاتم الجواد) لكثرة عطاياه[2]. وقال شاعراً اخر في الفضل:

أقام الندى والجود في كل منزل اقام به الفضل بن يحيى خالد[3]

هذه صورة مصغرة وتمثل لوناً من الوان سخاء البرامكة وكرمهم وهي صورة لم تستجمع إلا جزء يسيراً من كرم البرامكة ذلك الكرم الذي يقول عنه ابن خلكان انه عم جميع الناس[4].

---

(١) الفخري، ص١٨٢؛ الجهشياري، ص٢٢١ .

(٢) الفخري، ص١٨٢.

(٣) الفخري، ص١٨٢ ؛ الجهشياري، ص٢٢١ .

(٤) الجهشياري، ص٢٠٤.



وقد غالى المؤرخون والشعراء في مدح البرامكة وأطنبوا أطناباً يحمل الباحث على الشك في صحة كثير من هذه الحوادث فيذكر الطبري ان احد الشعراء نظم في يحيى بن موسى شعراً لا يغلوا من كثير من الغالاة حين يقول:

هو الجود الذي بذ كل جود بجوده
اعداه جواد ابيه يحيى وجود جدوده
من البرامك عود له فأكرم بعوده[1]

ويصفهم – البرامكة – ابن الطقطقي بأنهم ((ملجأ للهف ومعتصم الطريد)) ويصف يحيى بأنه جواد يباري الريح كرماً.

ويذكر قولاً لأبي نؤاس فيهم:

سلاماً على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغاد[2]

ولكن تأمل هذا التناقض العجيب الذي يظهر من قول ابي نؤاس في محل أخر إذ يذكر الجاحظ أنه قال في حق جعفر البرمكي:

وأعظم زهوراً من ذباب على خرا وابخل من كلب عقور على عرق
أرى جعفراً يزداد بخلاً ودقة إذازاده الرحمن في سعة الرزق[3]

ويعرض الجهشياري من جملة ما يعرض شعراً لأحد الشعراء يصمهم فيه صاحبه بالبخل فيقول:[4]

صحبت البرامك عشراً ولا وبيتي كراء وخبزي شراء[4]

(١) ابن خلكان، وفيات، ج١ ص٤١ .

(٢) الطبري، ج١٠ ص٦٠ .

(٣)ابن الطقطقي، الفخري، ص١٧٩ .

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص٢٠٩ .



وإليك شعراً يناقض الشعر السابق ويصف جعفر البرمكي بالكرم والجود:

ذهبت مكارم جعفر وفعاله في الناس مثل مذاهب الشمس
ملك تسوس له المعالي نفسه والعقل خير سياسة النفس

وإليك ما قاله أشجع الشاعر يمدح جعفر بن يحيى:

أحيا ابن يحيى النوال مغترباً فكل مجد إليه مجلوب
وكل بذل زكت مناسبه فهو الى البرمكي منسوب
لابس تاجين تاج مكرمة وتاج ملك عليه معصوب[1]

وقد يدعونا هذا التناقض الى الاستنتاج بأن كرم البرامكة لا يخلوا من المبالغة والتخويل وكما ان اعدئهم بالغوا ببخلهم بينما اسرف اصدقاؤهم وحين وصفوهم بالجود والكرم وهذا التناقض دليل ناصع على تعصب المؤرخين للبرامكة او عليهم الأمر الذي شوه الحقيقة التي ينشدها المؤرخ.

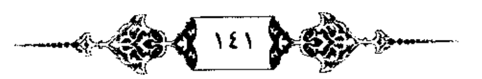
وبالرغم من هذا التناقض الذي يظهر من اقوال المؤرخين فيما يتعلق بكرم البرامكة يرى الدكتور الرفاعي ان جميع ماقيل عن كرمهم صحيح: ((بلا مبالغة ولا غلو ولا تهويل)) على حد قوله[2]. ونعتقد ان الأمثلة التي ذكرناها والتي اظهرت تناقض اقوال المؤرخين عن اعمال البرامكة كافية لأن تقوم دليلاً على ان ما ذهب إليه الدكتور لا يخلو من مبالغة وغلو وتهويل.

وقد ذكرنا شيئاً عن ابنيتهم وطراز معيشتهم في سياق الكلام، وتتمة للبحث نرى من المناسب ان نعرض عليك ما يقوله الاستاذ فليب حتى ((ان قصور البرامكة كانت في بغداد الشرقية حيث عاشوا على احسن طراز، وقصر جعفر المدعو بالجعفري كان كنواة

---

(١) الصولي، الأوراق، ج١، (مصر مطبعة الصاوي ١٩٣٤) ص٩٢ - ٩٣.

(٢) الرفاعي، عصر المأمون، ج١، ص١٤٨.



لمجموعة الأبنية التي سكنها المأمون ثم حولت فيما بعد الى دار الخلافة))[1] .

ونكتفي بهذه العجالة عن كرم البرامكة وجودهم وننتقل الى موضوع ذي أهمية كبرى وهو ثقافة البرامكة وسنحدثك فيما يلي عن ذلك.

ثقافة البرامكة

ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب ان كثيراً من المؤرخين يرى ان البرامكة مؤسسوا طبقة الكتاب ويروي ابن عبد ربة عن سهل بن هارون انه قال: ((لقد عمرت معهم وادركت طبقة المتكلمين في ايامهم وهم يرون البلاغة لم تستكمل إلا فيهم ولم تكن مقصورة إلا عليهم))[2]. وكان سجاعو الخطب ومحبر القريض عيالاً على يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى ولو كان كلام يتصور دراً ويجعله المنطق السري جوهراً لكان كلامهما والمتقن من لفظهما[3]. أما ابن النديم فيحشر يحيى وأولاده مع الكتاب المترسلين الذين رويت رسائلهم[4].

وقد نعت البرامكة نعوتاً تتخللها بعض المبالغات ونحن في الوقت الذي نعترف فيه بغزارة ثقافة يحيى وولده وطول باعهم في العلوم والفنون اقول في الوقت الذي نقر بذلك ولا نؤيد المبالغات التي لجا إليها بعض المؤرخون، ونعتبر قسماً منها من نوع الأستطرادات الأدبية.

فيصف ياقوت يحيى بن خالد بانه كان من اكمل أهل زمانه أدباً وفصاحة وبلاغة [5]

---

(١) أنظر: Hitti, O.C. P. 294 – 5.

(٢) العقد الفريد، ج٣، ص٢٥٩.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج٢، ص١٧٦ – ٧٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست ١٧٦.

(٥) ياقوت، معجم الدباء، ج٢٠، ص٥.



ويصفه الجهشياري بانه كان اعلم الناس بالنجوم[1] ويرى ابن خلكان ان يحيى كان من النبل والعقل وجميع الخلال على اكمل حال[2].

ووصفه احد الشعراء [3]:

رأى الله تفضيل يحيى بن خالد	ففضله والله بالناس اعلم
له يوم بؤس فيه للناس ابؤس	ويوم نعيم فيه للناس انعم
فيمطر يوم الجود من كفه الغنى	ويمطر يوم البؤس من كفه الدم

وعندما يحصي ابن النديم الكتاب المرسلين يجعل يحيى بن خالد بن يحيى والفضل ابنه وجعفر ابنه[4] منهم. أما الأستاذ عبد العظيم فيخرج في مدحه ليحيى عن حدود المعقول فبعد ان يقول انه نخبة الأيام وواسطة عقد الكرام ويرى ان يحيى من حيث جمال المنظر وجودة المخبر وجزالة المنقط وسهولة اللفظ ونزاهة النفس وأستكمال الخصال بحالة انفرد بها منذ ظهور آدم عليه السلام حتى الآن بأستثناء الأنبياء والمرسلين ورجال الدين.

وقد ذكر لنا المؤرخون نماذج من أدب يحيى وولده تدل على عقل ناضج وثقافة واسعة فذكر الجهشياري ان يحيى قال مرة ((الناس يكتبون احسن ما يسمعون ويحفظون احسن ما يكتبون ويتحدثون بأحسن ما يحفظون))[5]. وقد جمع الأستاذ عبد العظيم خان[6]

---

(١) الجهشياري، ص٢٤٩، ولعل في البيتين الآتيين إشارة الى سعة أطلاع يحيى بالنحوم والسحر:

قال ليحيى ابن الكهانة والسحر	واين النجوم من قتل جعفر
انسيت المقدار ام زاغت الشمس	عن الوقت حين قمت تقدر

عبد العظيم – تاريخ برامكة – ص يب.

(٢) ابن خلكان، ج٢،ص٢٤٣.

(٣) تاريخ برامكة، ص مط.

(٤) ابن النديم، الفهرست،ص١٧٦.

(٥) الجهشياري، ص٢٠٠؛ ياقوت، معجم الأدباء،ج٢٠،ص٩.

(٦) كركاني، عبد العظيم خان، تاريخ برامكة، ص نب،نج، ند، نه.

نماذج من ادب يحيى منها: ((البلاغة ان تكلم كل قوم بما يفهمون)) ((والمواعيد شباك الكرام يصيدون بها محامد الأحرار)) ((الكريم إذا تعزز تواضع واللئيم إذا تعزز تكبر والخسيس إذا ايسر تجبر)) ((ولا ارحام بين الملوك وبين احد)) ((التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة)) ((ما وقع غبار موكبي على لحية رجل قط إلا وأوجبت له على نفسي حفظه وألزمتها حقه)) ((مطلك الغريم احسن من مطلك الكريم لأن الغريم لا يسلف إلا من فضل والكريم لا يطلب إلا من جهد)) ((كثر شاكوك وقل شاكروك فأما أعتدلت وأما أعتزلت)) ((أنا مخير في الأحسان الى من لم أحسن إليه ومرتهن بالإحسان الى من احسنت إليه لأني إذا لن استنم احساناً فقد اهدرته)) ((لست ترى احداً تكبراً في إمارة إلا وقد دل على ان الذي نال فوق قدره ولست ترى أحداً تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال في سلطانه)) وذكر طائفة من الأقوال ليحيى بن خالد منها ((ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال الكتاب والرسول والهدية)) الشريف إذا نقر تواضع والوضيع إذا نقر تكبر))[1]. وكان يحيى بليغاً الى حد ان الكسائي احد علماء اللغة المشهورين كان يحذر الخطأ بين يديه فيذكر ابن كثير ان شخصاً صادف الكسائي فوجده مهموماً فسأله عن حاله فقال: ((أن يحيى بن خالد قد وجه إلي ليسألني عن أشياء فأخشى من الخطأ))[2] وقد يكون مرد خوف الكسائي الى انه كان يخشى ان ينقل يحيى الى الناس حديث الكسائي على خطئه فتنحط منزلته وذكر الراغب الأصفهاني ان يحيى نصح أحد ولده بقوله: ((أنتق من كل علم طرفاً فمن جهل شيئاً عاداه وأكره ان تكون عدواً لشيء من الأدب))[3]. وجاء في التحفة البهية ان الجاحظ وصف يحيى بن خالد بأنه كان لا يتوقف ولا يستدعي معنى من بعد وقد قال يحيى مرة ((من حقوق النبل ان تتواضع لمن هو دونك وتتصدق على ضعيفك وتتصف

(١) ابن قتيبة الدنيوري،عيون الأخبار (مصر مطبعة دار الكتب – ١٩٢٥) ج١،ص٢٦٥، ٢٦٨، ٢٨١.

(٢) ابن كثير،البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٠٢.

(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء (مصر المطبعة الزاهرة ١٣٢٦هـ) ج١، ص٢٢.

من هو مثلك وتتنبل على من هو فوقك[١]. وفضلًا عما عرف به يحيى من شهرة واسعة وتمكن عجيب بالعلم والأدب فان شهرته بالأمور المالية وسعة أطلاعه فيها لم تكن تقل عن شهرته العلمية الأدبية[٢].

أما جعفر فيصفه الجهشياري انه انطق الناس وقد جمع الهدوء والتمهل والجزالة والحلاوة وافهاماً يغنيه عن افعادة ولو كان في الأرض ناطق يستغني بمنطقه عن الإشارة كما استغنى عن الإعادة[٣] وقد سئل مرة عن البيان فقال: ((ان يكون الأسم يحيط بمعناك ويعزي عن مغزاك... والذي لابد له ان يكون سليماً من التكلف بعيداً من الصنعة بريئاً من التعقد غنياً عن التأويل)) وقال ((إذا كان إلا الأكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الأكثار عياً)) وكان جعفر بن يحيى يقول: ((الخراج عمود الملك، وما استغزر بمثل العدل ولا استزر بمثل الظلم))[٤] وقد ذكر الراغب الأصفهاني ان سائلاً سئل جعفراً عن اوجز كلام فقال قول سليمان عليه السلام الى ملكة سبأ ((انه من سليمان وانه بسم الله ان لا تعلو علي وآتوني مسلمين فجمع في ثلاثة أحرف العنوان والكتاب والحاجة وأظهار الدين وعرض الرشاد الى المكتوب إليهم))[٥].

ويصفه اليافعي بأنه احد الجواد الفصحاء[٦] ويقول الجهشياري ((انه كان بليغاً كاتباً، وكان إذا وقع نسخت توقيعاته وترست بلاغاته))[٧] وقد جمع الأستاذ عبد العظيم خان نماذج من ادبه فقد وقع مرة على رقعة قدمت إليه ((هذا يمت بحرمة الأمل وهي اقرب

---

(١) الطولوني،حسن، التحفة البهية، ص٢١٨ -٢٣١.

(٢) فلبي، هارون، ص٩٨.

(٣) الجهشياري،الوزراء والكتاب،ج٤،ص٢٠٤.

(٤) الدنيوري، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢،ص١٧٣ -١٧٤ وج١،ص١٣.

(٥) الأصفهاني، محاضرات،ج١، ص٢٦.

(٦) اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص٤٤؛ الخطيب، تأريخ بغداد،ج١٤، ص١٣٠.

(٧) الجهشياري، الوزراء والكتاب،ص٢٠٤.



الوسائل واثبت الوصائل فليعجل له من ثمرة ذلك عشرون الف درهم وليمتحن ببعض الكفاية فأن وجدت عنده فقد ضم الى حقه حق والى حرمته حرمة وان قصر عن ذلك فعلينا معولة والينا موئله وفي مالنا سمعة له)) وقد خطب جعفر تدل على سعة في الإطلاع وتمكن من ناصية الأدب وإليك بعضها:

((الحمد لله الذي لم يمنعه غناه عن الخلق من العائدة عليهم ولم تمنعه أسلمتهم من الرحمة لهم، دعاهم من طاعته لما ينجيهم وذادهم من معصيته عما يرديهم، كلفهم من العمل دون طاقتهم وأعطاهم من النعم فوق كفايتهم، فهم فيما حملوا مخفف عنهم، وفيما خولوا موسع عليهم، وصلى الله على محمد بني الرحمة والمبعوث الى كافة الأمة وعلى أهل بيته الطاهرين وسلم تسليما. أما بعد فأني أوصيكم بالألفة وأحذركم الفرقة وآمركم بالأجتماع وانهاكم عن الأختلاف قال الله عز وجل وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا فآمر بالجماعة في أول الآية ثم لم ينقص حتى نهى فيها عن الفرقة توكيداً للحجة وقطعاً للمعذرة[1].

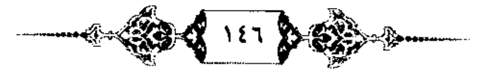
ولعل وصف إبراهيم لأولاد يحيى يعطينا فكرة عن المزايا التي كانوا ينتمون بها قال الموصلي: ((أما الفضل فيرضيك بفعله وأما جعفر فيرضيك بقوله واما محمد فيفعل بحسب ما يجد واما موسى فيفعل ما لا يجد))[2]. وذكر اليافعي عن الفاضي يحيى بن اكثم انه سمع الأمون يقول لم يكن ليحيى بن خالد وولده احد كف، في الكتابة والبلاغة والجود والشجاعة ولقد صدق القائل:

أولاد يحيى أربع كأربع الطبائع   فيهم إذا أختبرتهم طبائع الصنائع

قال الفاضي فقلت يا أمير المؤمنين أما الكتابة والبلاغة والسماحة فنعرفها بقي منها

(١) كركاني، عبد العظيم خان، تاريخ برامكة ، ص صد – صز.

(٢) الجهشياري، ص١٩٨.



الشجاعة فقال في موسى بن يحيى ولقد رأيت ان اوليه تغر السند[١].

وقد ذكر الأستاذ عبد العظيم خان بيتين في وصف أولاد يحيى:

أولاد يحيى بن خالد وهم   أربعة سيد ومتبوع
الخير فيهم إذا سئلت بهم   مفرق فيهم ومجموع[٢]

وكان البرامكة يشجعون الأدب والعلم، يذكر ابن النديم ان ابا يوسف الف كتاب الجوامع ليحيى بن خالد وكان يحتوي على أربعين كتاباً ذكر فيه اختلاف الناس والرأي المأخوذ[٣] وذكر أيضاً أن يحيى البرمكي ارسل رجلًا الى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة في بلادهم وان يكتب له أديانهم فكتب له هذا الكتاب ويقول ان الذي عني بامر الهند في دولة العرب وهو يحيى وجماعة البرامكة، وأحضروا علماء واطباء وحكماء من الهنود وجاء في الفرس أيضاً ان جابر بن حيان الكيمياوي الكوفي كتب كتاب اغراض الصنعة الى جعفر بن يحيى البرمكي، وكتاب تليين الحجارة الى اسحق البرمكي[٤] وذكر الشيخ أغا بزرك ابا موسى جابر بن حيان صاحب كتاب التدابير في الكيمياء، كان متصلاً بالبرامكة... وكان جابر متصلاً بهم ومنقطعاً إليهم بشهادة أنه قد الف كثيراً من تصانيفه لهم ووشح بعضاً بأسمائهم[٥]. ولم تقتصر عناية البرامكة بالأدب والعلم بل انهم اهتموا بالنواحي الأخرى فأسسوا بيمارستاناً اسندوا رياسته لطبيب هندي[٦].

---

(١) اليافعي، مرآة،ج١،ص٤٢٤؛ الخطيب، تاريخ بغداد،ج١٤، ص١٣٠.

(٢) كركاني، عبد العظيم، تارخ برامكة، ص قعا .

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٦ – ٢٨٤.

(٤) الفهرست، ص٥٠١.

(٥) اغا بزرك، محمد حسين، الذريعة الى تصانيف الشيعة،ج٤،ص١٥ – ١٦.

(٦) متيز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١) ج٢، ص١٦٨.



وذكر الجهشياري ان ابان اللاحقي نظم كتاب كليلة[1] ودمنه شعراً واهداه الى جعفر فوهب له مائة ألف درهم، أما الأستاذ[2] عبد العظيم خان فيقول أن أبان اللاحقي[3] نظم كتاب كليلة ودمنه وبدأه بالبيت التالي:

هذا كتاب أدب ومحنة   وهو الذي يدعى كليلة دمنة[1]

ويرى بارتولد ان جعفراً كان مشهوراً بالكتابة وبإطلاعه بالفلك[4].

هذه لمحة مستعجلة عن حياة البرامكة الثقافية وقد أثاروا ضجة في الأدب في حياتهم العملية وبعد نكبتهم، والى هذا يشير الأستاذ الرفاعي بعد ان يعطي نماذج من الشعر الذي قيل في البرامكة فيقول ((أرأيت الى أي مدى بلغت مكانة البرامكة من رجالات العصر وأدبائه حتى تملكوا من القلوب أعنتها ومن النفوس أزمتها))[5].

ونختم الحديق عن ثقافة البرامكة وحياتهم الأجتماعية بالراي القائل ان الغناء المعروف بالموال أول من أنشده اتباع البرامكة بعد نكبتهم فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم يا موالي وبالجمع يا مواليا فصار يعرف بهذا الأسم ويعطي الأستاذ أنطون اليسوعي نموذجاً من هذا الغناء:

---

(١) الجهشياري، ص٢١١.

(٢) عبد العظيم خان، تاريخ برامكة، ص ف.

(٣) ذكر الصولي (الأوراق: مطبعة الصاوي ١٩٣٤ ج١ ص١، ٢، ٣) ان ابان بن الحميد بن لاحق.... من اهل البصرة.... قدم بغداد فأتصل بالبرامكة وأنقطع إليهم وعمل لهم كتاب كليلة ودمنة فحسن موقعه فمنهم ثم يستطرد ويقول ويقال انه قلب الكتاب (كليلة ودمنة) في ثلاثة اشهر من الشعر وهو اربعة عشر الف بيت... ثم يجعل الصلة عشرة آلآف دينار من يحيى وخمسة الاف دينار من الفضل.... ويبين أخيراً ان منزلة ابان كانت عظيمة عند البرامكة فيقول وقرب من قلب يحيى بن خالد وصار صاحب الجماعة وزمام امرهم.

(٤) بارتولد، البرامكة، الموسوعة الإسلامية، ج١، ص٦٦٣.

(٥) الرفاعي، احمد فريد، عصر المأمون، ج٢، ص١٥٠.



يـادارايـن ملوك الأرض ايـن الفرس   اين الذين حموها بالقنى والتـــرس
قالت تراهم رمم تحت الأراضي الدرس   وغـراب البين اتى ورفـرف حواليا[1]

ديانة البرامكة

يجد الباحث في هذا الموضوع نفسه أمام مشكلة من أعقد المشاكل في حياة البرامكة ان لم تكن اعقدها حيث يجد آراء متضاربة وأقوالاً متباينة فبينها يصفهم البعض من المؤرخين بأنهم مسلمون اخلصوا للأسلام وأهله إذا بطائفة اخرى من المؤرخين ترميهم بالإلحاد والزندقة وهذه الصفحة من حياة البرامكة تظهر لنا الدور الذي لعبه التعصب في تشويه الحقائق فالمتعصبون للبرامكة ينسبون اليهم بناية المساجد والرباطات واما اعدائهم فيرمونهم بالزندقة ويذهب البعض الى انهم كانوا يتعصبون للعلويين والآخر يرى أن فيهم ميل على العلويين وان البرامكة كانوا سبباً في نكبة كثير منهم. ومن أهم المصادر التي تؤيد الحادهم هي الأتية:

الطبري وقد ذكر ان محمد بن الليث وثف يحيى بانه يكيد للأسلام وأهله ويحي الأحاد واهله[2] ويرى ابن قتيبة ان البرامكة كانوا يرمون بالزندقة إلا أقلهم[3]. أما ابن النديم فيقول ((ان البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد بن برمك كانت زنادقة))[4]. وقد رماهم بعض الشعراء بالشرك، فهجاهم الأصمعي:

إذا ذكـر الـشرك في مجلـــس   أضـائـت وجـوه بنـي برمـك
ولـو تليت بينهـــم آيـــة   أتـو بالأحاديـث عـن مـزدك

---

(١) رباط اليسوعي، انطون، الرشيد والبرامكة، ص١٠١ .

(٢) الطبري، ج١٠، ص٨٠.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص١٦٨.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٤٧٣.



والأصمعي نفسه يمدح البرامكة بقوله:

إذا قيل من للندى والعلى ... من الناس قيل الفتى جعفر

و ما ان مدحت فتى قبله ... ولكن بنو برمك جوهر

ولعل هذا دليل جديد على التناقض الذي يسيطر على اقوال المؤرخين بخصوص حياة البرامكة. وبالإضافة الى ماسبق يذكر اليافعي ان الرشيد حبسهم بحبس الزنادقة[1] أما ابن كثير فيرى البرامكة أرادوا أظهار الزندقة[2]. ولكن سبق لنا ان اشرنا للحوادث المتعلقة بإيوان كسرى والنوروز والتي استنتج منها براون انهم كانوا يضمرون المجوسية[3]. ويكاد الأستاذ ميتز يجزم بأن البرامكة غير متدينيين فيقول ((انهم كانوا بعيدين عن الإيمان كل البعد))[4]. وقد اتهمهم بعض الخلفاء بالكفر فيذكر الأستاذ المقدادي ان البرامكة ((لم يكونوا مخلصين للإسلام حتى ان الهادي اتهم يحيى بالكفر، وانهم لم ينصتوا عند تلاوة القرآن ولا يظهرون أحترامهم له))[5].

وهناك اقوال تناقض الأقوال الفائتة الى حد كبير فهي تنعت البرامكة بالتدين وتنفي عنهم كل ما يحمل على الشك في إسلامهم جاء في الفخري انهم اسلموا وحسن اسلامهم[6]. ويطنب بعض المؤرخون بذكر عنايتهم في المؤسسات الإسلامية فيقول الجهشياري ان الفضل بن يحيى بنى المساجد والرباطات في خراسان وهدم قسماً من

(١) الجهشياري، ص٢٠٦.

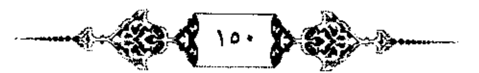
(٢) اليافعي، مرآة،ج٢،ص١١-١٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٨٩؛ القرماني، أخبار الدول،ص١٥١.

(٤) Browne O. C. P. 252.

(٥) متيز آدم، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص١٦٨.

(٦) المقدادي درويش، تاريخ الأمة العربية (بغداد،دار الطباعة، ص٢٨١)



النوبهار وبنى فيه مسجداً[1] ويذكر الأستاذ كركاني عبد العظيم خانم ان الفضل كان متمسكاً بدينه وقد تأخر يوماً عن الصلاة لأنشغاله بأمور الدولة، فكتب على رقعة ما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

يتصدق عني بمأتي ألف دينار درهم لتفريطي في صلاة العصر يوم كذا ولتأخيري أياها عن وقتها شغلاً عنها بأمر من امور السلطان[2].

ونختم حديثنا عن استعراض آراء المؤرخين حول ديانة البرامكة برأي الأستاذ عبد الحليم العباس الذي يتجاهل التناقض الذي اشرنا إليه في اقوال المؤرخين ويجزم بأنهم كانوا ذوي دين ثابت[3].

ان هذه القوال المتناقضة تجعل من الصعب على الباحث ان يعطي رأياً قاطعاً في هذه المسألة والذي أميل إليه هو ان البرامكة لم يكونوا متدينين ولكن مصلحتهم كانت تضطرهم الى ان يظهروا حبهم بالإسلام وأهتمامهم بالمؤسسات الإسلامية وقد بينا فيما سبق ميلهم للفرس وتقريبهم لبعض المجوس كالفضل بن سهل وابيه من قبله، وكذلك تعصبهم للمؤسسات الفارسية كطاق كسرى، وكل ذلك يحملنا على الأعتقاد بأنهم يميلون ميلاً قوياً الى المجوسية دين أبائهم ولكن هذا لا يعني انهم اعتنقوا المجوسية فعلاً.

(١) الفخري، ص١٧٩.

(٢) الجهشياري، ص١٩٢.

(٣) كركاني تاريخ برامكة، ص عج.



العلويون والبرامكة

لا تقل علاقة البرامكة بالعلويين غموضا وارتباكاً عن النواحي الاخرى من تأريخهم ففريق غير قليل من المؤرخين - المحدثين خاصة - يرون انهم من الشيعة[1] فالأستاذ جرجي زيدان يقول ((كان البرامكة من الشيعة وكان جدهم خالد بايع للعلويين قبل العباسيين مثل اهل خراسان وفارس))[2] وهذا الرأي على ما ارى يعوزه التدقيق حيث ان كثيراً من المصادر ترى ان خالداً كان متصلاً بإبراهيم الإمام ومحمد بن علي قبله[3]. أما ابن خلدون فيقول ان خالد بن برمك كان من كبار الشيعة وكان له قدم راسخ في الدولة[4].

وكلمة شيعة هنا لا تعني شيعة العاويين انما تعني الشيعة العباسية ويؤيد رأينا هذا ما جاء في كتاب طبقات الشعراء لأبن المعتز إذ يقول في معرض كلامه عن احد الشعراء فدعى الرشيد بأبي عصمة الشيعي وهو من شيعة بني العباس[5].

أما قول الأستاذ زيدان ان المذهب الشيعي في تلك الفترة كان منتشراً في فارس وخراسان ففيه نظر[6] ويستطرد الأستاذ زيدان بحديثه عن تشيع البرامكة فيقول وسار ابنه - يشير الى خالد - يحيى وأولاده على نحو ذلك وهو اهم لا يزال مع الشيعة العلوية من إيثار آل علي لكنهم كانوا يكتمون ميلهم[7].

---

(١) عبد الحليم العباس، البرامكة في بلاط الرشيد،ص٢٦.

(٢) المدور، حضارة الإسلام،ص٢٨٢؛ جرجي زيدان، التمدن،ج٤، ص١٥١، بارتولد، الحضارة الإسلامية،ص٦٦ ؛ وحتي ، تاريخ العرب، ص٢٩٤ - ٩٥.

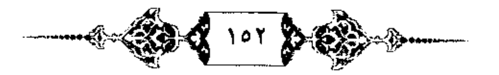
(٣) زيدان، التمدن، ج٤،ص١٥١.

(٤) ابن عساكر ، التاريخ الكبير، ج٥، ص٢٨.

(٥) تاريخ ابن خلدون، التاريخ، ج٣ ، ص٢٢٣.

(٦) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص١١٤.

(٧) الدوري، العصر العباسي، ص١٦٧.



وللأستاذ الخضري رأي يبين فيه ان البرامكة كانوا يميلون الى العلويين فيقول عند كلامه على حادثة يحيى العلوي ((كانت هذه الحادثة سبباً للوشاية ضد البرامكة في اخص صفات الوزير وهي الأخلاص لملوكهم، وذلك طعن وقر في نفس الرشيد شيء من ذلك وان البرامكة يؤثرون مصلحة العلويين على مصلحته وهذه التهمة اشد من تهمة الزندقة عند المهدي))[1].

أما الأستاذ طنطاوي جوهري قريبى ان البرامكة كانوا على اتفاق مع العلويين واغنهم ارادوا نقل الخلافة اليهم[2] ويرى الاستاذ عبد العظيم خان كركاني ان البرامكة من رجال الشيعة وانهم قربوا بعض الشخصيات الشيعية المشهورة كجابر بن حيان الكيمياوي وهشام بن الحكم وكلاهما من خواص أصحاب الصادق عليه السلام[3].

وأنا اخالف الأستاذ زيدان وغيره ممن يعتقدون بتشيع البرامكة وأرى ان البرامكة ليسوا من الشيعة وان ما قاموا به من تصرفات لا يمكن ان يرتكبها شيعي مهما بلغت قلة اهتمامه بالدين من ذلك سعيهم لقتل الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

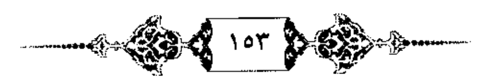
وسنورد ادلة تأريخية تؤيد ما ذهبنا إليه فيذكر الأصفهاني ان يحيى البرمكي وشى بالإمام موسى الكاظم لدى الرشيد وقال له أن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب وان له بيوت اموال فحبسه الرشيد عند الفضل فرفه عليه فغضب الرشيد لذلك فقال له يحيى انا اكفيك امره فأمر السندي بن شاهك فقتله[4]. وذكر الدميري أن جعفراً اعتدى على احد العلويين وكان مسجوناً عنده فقطع رأسه دون ان يكون امر بقتله فأستحل

(١) التمدن، ج٤،ص١٥١.

(٢) الخضري، محاضرات،ص١٣٩.

(٣) كركاني، عبد العظيم، تاريخ برامكة، ص ريه.

(٤) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ص٣٣٣، ٣٤، ٣٥.



الرشيد بذلك دمه[1]. وللدكتور مصطفى جواد رأي يبين فيه ان جعفراً قطع رأس حبيسه العلوي وأهداه الى الرشيد فأستعظم الرشيد ذلك وضمره للبرامكة. وأرى ان في هذا الرأي قلة تدقيق لأن نكبة البرامكة لم تكن وليدة عامل بسيط كهذا ولا سيما ان علمنا ان الرشيد كان يبيح لنفسه ان يقطع رؤوس الكثيرين من العلويين إذا اقتضت الحاجة[2].

وقد ذكر أيضاً ان محمد بن علي القمي قال في العيون ((عيون أخبار الرضا))[3] أن البرامكة متعصبون على اهل بيت رسول الله ﷺ مظهرين العداوة لهم)). وكان البرامكة يكافحون رجال الشيعة ويرمونهم بالتهم لدى الرشيد فيذكر السيد محسن العاملي ان البرامكة كانوا يشون لجعفر لقوله بالإمامة وان يحيى أحتال عليه وأظهر له انه على مذهبه فأخذ منه أخبار موسى الكاظم ورفعها الى الرشيد[4].

وذكر الدكتور مصطفى جواد أن الإمام الرضا عليه السلام شوهد في جبل عرفة يدعو على البرامكة لأنهم سعوا بأبيه[5].

وقد ذكر الأستاذ فلبي بمعرض كلامه عن اطلاق جعفر البرمكي ليحيى العلوي ان جعفراً قد يكون مدفوعاً بعمله هذا بدافع ديني وانه لم يرد ان يغمس يده في دماء آل الرسول ﷺ ثم يستطرد فيقول لكننا يجب ان نبتعد عن الفكرة القائلة بان جعفراً يرى ان يحيى العلوي أحق بالخلافة من الرشيد وهذا الرأي ينفي تشيع البرامكة لأن الشيعة العلوية ترى وجوب حصر الخلافة في آل علي عليه السلام خاصة.

---

(١) الدميري، كتاب الحيوان، ج٢،ص١٧٢ – ٧٣.

(٢) مصطفى جواد (نكبة البرامكة) مجلة الرسالة، ١٩٣٤، ج٢ – ص١٧.

(٣) نفس المصدر.

(٤) العاملي، محسن الأمين، المجالس السنية في مصائب العترة النبوية (صيدا – مطبعة العرفان ١٩٢٦) ج٥، ص٣٤١ – ٣٤٢.

(٥) مصطفى جواد (الرسالة ١٩٣٤) ج٢، ص١٧.



هذه بعض الأدلة التي تنفي تشيع البرامكة ولا بد ان الباحث يعطي أهمية خاصة للدليل القائل بأن البرامكة سعوا بقتل الإمام الكاظمعليه السلام إذا علم انه من الأئمة المعصومين. والشيعة الأثنى عشرية يعتبرون طاعة الأئمة المعصومين جزء من الإيمان وأصلاً من أصول الدين[1].

ونختتم حديثنا عن عقيدة البرامكة الدينية برأي الأب انطون اليسوعي مفاده ان الرشيد نكب البرامكة لميلهم او تدينهم بالدين النصراني ويورد أدلة منها ان الرشيد شدد على النصرى بعد نكبتهم وهدم كنائسهم[2] وأن جعفر البرمكي زار ديرا للنصارى عندما عاد من استقبال الرشيد بعد عودته من الحج، وهذا الرأي لا يخلو من ضعف ذلك لأن المصادر المعاصرة التي اطلعت عليها لا تشير الى ان البرامكة اظهروا ميلا للدين النصراني. اما الادلة التي يوردها الكاتب فتهافتت امام النقد إذ ان زيارة الدير لا يشترط فيها وجوب انتساب الزائر الى الدين المسيحي ثم ان الرشيد لم يتشدد على النصارى بسبب البرامكة بل بسبب اضطراب العهلاقات بينه وبين الروم[3] وقد ناقشنا ذلك في فصل سابق فلا ضرورة للتكرار.

وهناك رأي للأستاذ أحمد فريد الرفاعي وهو ان البرامكة يميلون للمعتزلة[4] وقد اورد الأستاذ رأيه دون ان يذكر المصادر التي استقى منها هذا الرأي والذي نراه ان البرامكة لم يتمذهبوا بهذا المذهب[5].

وقبل النتهاء لا بد ان اقول كلمة ختامية في هذا الموضوع التي تضاربت فيها اراء

(١) الكليني، الكافي، طبعة حجر، ص٦٨.

(٢) رباط اليسوعي، أنظون، الرشيد والبرامكة، ص٦.

(٣) الطبري، ج١٠، ص١٠٠.

(٤) الرفاعي، عصر المأمون، ج١، ص١٥٨.

(٥) الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الأول، ص١٦٨.



المؤرخين ذلك التضارب الذي اشرت إليه خلال البحث وقد ي. بلغ تباين آراء المؤرخين درجة يصعب معها اعطاء رأي قاطع في هذا الموضوع الشائك وقد يكون هذا التضارب نتيجة لأنقسام المؤرخين الى مؤيدين للبرامكة ومناوئين لهم، فمؤيدوهم يرفعونهم الى عليين ومناوؤهم يخفضونهم الى الحضيض وهذ التعصب لهم او عليهم شوه الحقائق التأريخية وجعل من الصعب على الباحث ان يتوصل الى حقائق دقيقة في هذا الموضوع.

ومما يجدر ذكره ان الجانب المؤيد للبرامكة قد غالى في مدح البرامكة ونسب إليهم كل مكرمة، وتجاوزت هذه المبالغاتن حد المعقول بحيث اصبح من الصعب على الباحث المدقق ان يصدق كثيراً منها.

أم الدور الذي لعبه البرامكة في الدولة فما لا شك فيه انه من اهم الدوار التي مثلها الفرس على مسرح الخلافة العباسية ولكنه مع ذلك لا يخلو من الغلو والمبالغة. وقد تطرقت اثناء البحث الى هذه المبالغات التي ارتكبها المؤرخون على اختلاف مللهم ونحلهم فلا حاجة الى ان اكرر ما سبق تفصيله.

ومن الجدير بالذكر ان اهم نقطة شغلت بال المؤرخين القدامى والمحدثين هي نكبتهم، وقد اكتنف الغموض هذه الناحية وحار المؤرخون في تعليلها واسباب وقوعها وأطلقوا العنان لمخيلاتهم ونسجوا حول الموضوع افكاراً وخرافات يتسرب الشك الى كثير منها ومن الخرافات التأريخية التي احتلت الصدارة في هذه الناحية هي قصة العباسة المزعومة وقد عرضنا لتفنيدها في حينها.

وبعد فهذا ما اردت ان اختم به هذه الرسالة ولعلي استطعت ان اكشف عن بعض الحقائق التي لا يزال يكتنفها كثير من الغموض والأبهام. أما تقدير الدور الذي مثله بنو برمك على مسرح التأريخ العباسي فأني أترك ذلك الى فطنة القارئ وتمكنه على استخلاص الحقائق من مكانها.

المراجع

أولاً: المصادر الأولية:

١. الأبشهي: المستطرف. الجزء الأول. مطبعة دار الكتب العربية (مصر).

٢. الأتليدي: اعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بني العباس. المطبعة الجمالية (مصر) ١٣٢٩هـ.

٣. ابن الأثير: الكامل. الجزء الخامس والسادس. المطبعة الأزهرية (مصر) ١٩٠٩هـ.

٤. الأربلي: عبد الرحمن. خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير السلوك. مطبعة القديس جاور جيوس (بيروت) ١٨٨٥هـ.

٥. الأصفهاني: ابو الفرج. الأغاني. طبعة الساسي (القاهرة).

٦. الأصفهاني: ابو الفرج. مقاتل الطالبين. المطبعة الحيدرية. النجف ١٣٥٣هـ.

٧. الأصفهاني: الراغب. محاضرات الأدباء. الجزء الأول. المطبعة الزاهرة (مصر) ١٣٢٦هـ.

٨. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة. الجزء الثالث.

٩. ابن ابي اصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. الجزء الأو. المطبعة والوهبية ١٢٩٩هـ.

١٠. أبن بدرون: شرح قصيدة ابن عبدون. مطبعة السعادة (مصر) ١٣٤٠هـ.

١١. البلاذري: فتوح البلدان. المطبعة المصرية بالأزهر. القاهرة ١٩٣٢هـ.

١٢. البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية. ليبزج ١٩٢٣هـ.

١٣. التوحيدي: ابو حيان. الأمتاع والمؤآنسة. الجزء الأول. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٢٩.

١٤. تأريخ ابي الفداء: الجزء الثاني. المطبعة الحسينية. مصر.

١٥. الجاحظ: البيان والتبيين. المطبعة الرحمانية. مصر ١٩٣٢م.

١٦. الجهشياري: الوزراء والكتاب. مطبعة البابي الحلبي وأولاده. مصر ١٩٣٨م.



١٧. الجهشياري: مطبعة عبد الحميد. مصر ١٩٣٨م.

١٨. ابن الجوزي: مناقب أحمد بن حنبل. مطبعة السعادة. مصر ١٣٤٩هـ.

١٩. ابن الجوزي: المنتظم. الجزء الخامس. مطبعة دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن. ١٣٧٥هـ.

٢٠. الحاج خليفة: المعروف بكاتب جلبي: كشف الظنون. الجزء الأول. مطبعة وكالة المعرف التركية. ١٩٤١م.

٢١. الخطيب البغدادي: تأريخ بغداد. الجزء السابع والرابع عشر. مطبعة السعادة. ١٩٣١م.

٢٢. ابن خلدون: التأريخ. الجزء الثالث.

٢٣. ابن خلدون: المقدمة. المطبعة الأزهرية. مصر ١٩٣٠ م.

٢٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان. الجزء الأول.

٢٥. الدميري: كمال الدين. حياة الحيوان الكبرى. الجزء الثاني. مطبعة محمد شاهين.

٢٦. الدنيوري: ابو حنيفة. الأخبار الطوال. مطبعة عبد الحميد. مصر.

٢٧. ابن الساعي: مختصر أخبار الخلفاء. بولاق. مصر. ١٣٠٩هـ.

٢٨. السمعاني: الأنساب. ليدن. ١٩١٢م.

٢٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء. إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥٢هـ.

٣٠. السيوطي: حسن المحاظرة في أخبار مصر والقاهرة. الجزء الثاني. مطبعة الموسوعات. مصر ١٣٢١.

٣١. الصابي: تحفة الأمراء في تأريخ الوزراء. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٤م.

٣٢. الصولي: الأوراق. الجزء الأول. مطبعة الصاوي. مصر ١٩٣٤م.

٣٣. الطبري: تأريخ الأمم والملوك، الجزء التاسع والعشر. المطبعة الحسينية. مصر.

٣٤. الطبري: الجزء السابع والخامس. مطبقة الإستقامة القاهرة. ١٩٣٩م.

٣٥. الطولوني: حسن: التحفة البهية. مطبعة الجوائب. القسطنطينية ١٣٠٢هـ.



٣٦. ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية. مطبعة المعارف. مصر. ١٣٢٣هـ.

٣٧. ابن عبد ربه: الفخري في الآداب السلطانية. مطبعة المعارف. مصر ١٣٢٣هـ.

٣٨. ابن عساكر: التاريخ الكبير. الجزء الخامس. مطبعة الروضة. الشام ١٣٣٢هـ.

٣٩. ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب. الجزء الأول. نشريات مكتبة القدس ١٣٥٠هـ.

٤٠. الف ليلة وليلة: مطبعة بولاق: الجزء الثاني ١٢٧٩هـ.

٤١. ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان. ليدن ١٣٠٢هـ.

٤٢. الفالي: ذيل الأمالي. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٣٤٤هـ.

٤٣. ابن قتيبة. الإمامة والسياسة. الجزء الثاني. مطبعة مصطفى محمد مصر.

٤٤. ابن قتيبة: المعارف. المطبعة الإسلامية. مصر ١٩٣٤م.

٤٥. القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التأريخ. مطبعة التبريزي. بغداد.

٤٦. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد. طبعة كوتنجن ١٨٤٨م.

٤٧. ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ. الجزء العاشر. مطبعة السعادة. مصر.

٤٨. الكليني: اصول الكافي. طبع حجر.

٤٩. المبرد: الكامل في الذب واللغة. الجزء الثاني. مطبعة مصطفى محمد. مصر.

٥٠. المسعودي: التنبيه والأشراف. مطبعة دار الصاوي. مصر ١٩٣٨م.

٥١. المسعودي: مروج الذهب: الجزء الثالث. مطبعة دار الرجاء. مصر.

٥٢. ابن مسكويه: تجارب الأمم الجزء الأول. لندن ١٩٠٩م.

٥٣. ابن مسكويه: تجارب الأمم (مخطوطات تحت حوادث ١٨٧هـ).

٥٤. ابن المعتز: طبقات الشعراء. مطبعة جامعة كمبرج. ١٩٣٩م.

٥٥. المقريزي: شذوذ العقود في ذكر النقود. المطبعة الحيدرية. النجف.

٥٦. ابن منظور: لسان العرب. الجزء الأول. مطبعة بولاق. مصر. ١٣٠٠هـ.

٥٧. ابن النديم: الفهرسصت. المطبعة الرحمانية. مصر.

٥٨. اليافعي: مرآة الجنان: الجزء الأول والثاني. المطبعة النظامية حيدر آباد الدكن ١٣٣٧هـ.

٥٩. ياقوت: معجم الدباء الجزء العشرين. مطبعة دار المأمون. مصر.

٦٠. ياقوت: معجم البلدان. الجزء الثامن. مطبعة السعادة. مصر. ١٩٠٦ م.

٦١. اليعقوبي: التأريخ ثلاثة أجزاء. مطبعة الغري. النجف ١٣٥٨هـ.

ثانياً: المصادر الثانوية:

المصادر العربية:

٦٢. الأعظمي: علي ظريف: مختصر تاريخ بغداد. مطبعة الفرات. بغداد ١٣٤٤هـ.

٦٣. أحمد امين: ضحى الإسلام: الجزء الأول. مطبعة الأعتماد. مصر ١٩٣٤م.

٦٤. أحمد امين: ضحى الإسلام. الجزء الأول. مطبعة لجنة الترجمة والنشر والتأليف.

٦٥. أحمد امين: فجر الإسلام: الجزء الول مطبعة لجنة الترجمة والنشر والتأليف. مصر، ١٩٣٥م.

٦٦. أغا بزرك: محمد حسين. الذريعة الى تصانيف الشيعة. الجزء الثالث والرابع. مطبعة الغري. النجف ١٣٥٧هـ.

٦٧. أمير علي: مختصر تاريخ العرب. مطبعة لجنة التأليف ولنشر والترجمة.مصر ١٩٣٨م.

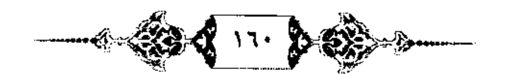
٦٨. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية: مطبعة المعرف. مصر.

٦٩. البستاني: بطرس: دائرة المعارف. الجزء الخانس. مطبعة المعارف. بيروت ١٨٨١م.

٧٠. البستاني: بطرس: محيط المحيط. الجزء الأول.

٧١. خدوري: مجيد: الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان. مطبعة التفيض الأهلية. بغداد. ١٩٣٩م.

٧٢. الخضري: محاضرات في تأريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) مطبعة دار الإحياء، مصر. ١٩٣٠م.



٧٣. الخشاب. يحيى. سياست نامه. نظام الملك والبرامكة. الثقافة الجزء ٣٣٢ (مايس ١٩٤٥).

٧٤. الدوري عبد العزيز: محاضرات في النظم الإسلامية (غير مطبوعة).

٧٥. الدوري: عبد العزيز: العصر العباسي الأول: مطبعة التفيض: بغداد ١٩٤٥م.

٧٦. رباط اليسوعي: أنطون: الرشيد والبرامكة المطبعة الكاثوليكية. ١٩١٠م.

٧٧. الرفاعي: أحمد فريد: عصر المأمون. الجزء الأول. مطبعة دار الكتب. مصر. ١٩٢٧م.

٧٨. روسان: صباح فالح: تحقيق في نكبة البرامكة. العرفان الجزء الثالث والعشرون، (آذار ١٩٣٣م).

٧٩. شيخو: لويس: جواب المشرق في معنى برمكي. الجزء الأول. ١٨٩٨م.

٨٠. شيخو: لويس: كتب عن البرامكة. المشرق الجزء الأول ١٨٩٨م.

٨١. زيدان: جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي. الجزء الرابع. مطبعة الهلال. مصر ١٩٢٢م.

٨٢. زيدان: جرجي: العباسة أخت الرشيد.

٨٣. طنطاوي: جوهري: براءة العباسة أخت الرشيد. مطبعة مصطفى البابي. مصر ١٩٣٦م.

٨٤. العالمي: محسن الأمين: المجالس السنية في مصائب العترة النبوية الجزء الخامس. مطبعة العرفان. صيدا ١٩٢٦م.

٨٥. العباس عبد الحليم: البرامكة في بلاط الرشيد. مطبعة الجريدة التجارية. مصر ١٩٤٧م.

٨٦. عياد. كامل. محاضرات عن الدولة العباسية (غير مطبوعة).

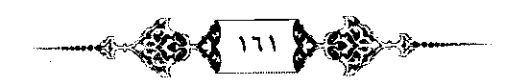
٨٧. فان فلوتن: السيادة العربية. مطبعة السعادة. مصر ١٩٣٤م.

٨٨. كرد علي. محمد: الإسلام والحضارة العربية. مطبعة دار الكتب العربية. القاهرة ١٩٣٤م.

٨٩. كرد علي. محمد: القديم والحديث: المطبعة الرحمانية. مصر.

٩٠. الكرملي: انستاس، معنى أسم برمكي. المشرق. الجزء الأول ١٨٩٨م.

٩١. الكرملي أنستاس: السن أو آثار قصر الخلد وبقايا قصور البرامكة. المشرق. الجزء العاشر ١٩٠٧م.



٩٢. محمد صبيح: هارون الرشيد.

٩٣. المدور جميل نخلة: حضارة الإسلام في دار السلام: المطبعة الأميرية القاهرة.

٩٤. مصطفى جواد: نكبة البرامكة. الرسالة. الجزء الثاني ١٩٣٤م.

٩٥. ميتز: آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة. القاهرة: ١٩٤١م.

٩٦. نجا، وجيه علي: البرامكة: جريدة المتفك، الأعداد: ٣٨، ٤٠، ٣٩ (تموز ١٩٤٠ و ٤٣ و ٤٥) (ايلول وكانون الول ١٩٤٠) و ٥٦ (كانون الثاني ١٩٤١) و ٦٠ (شباط ١٩٤١).

المصادر الأجنبية:

97. **Barbier de Meynard: Dictionnaire Geographique His torique etLitteraire de la Ferse et des Contrees Adjacentes Pares 1861.**

98. **Barathold W.Barmakides Enc, elopedia of Islam Vol.1.**

99. **Barathold W. Turkestan, Down to the mo ngol inavasion, Oxford, University Press 1928.**

100. **Browne E.G.: Aliterare Eistory of fersia, Vol. 1 2 nd ed., London 1909.**

101. **De Slane: Bibliotheque national, cataloque des Man – uscrits arabes paris 1883.**

102. **Hitti pg. k.: history of the arabes, London 1937.**

103. **Karamers j.h.: sultan Ene. of Islam Vol. 4.**

104. كركاني – عبد العظيم خان: تأريخ برامكة – مطبعة مجلس – طهران – ١٣١٢هـ

105. **Macdoland: sh u`u biyya Ene of Islam Vol. 4.**

106. **Malcolm jhon:History of fersia, Vol. 1 London 1829.**

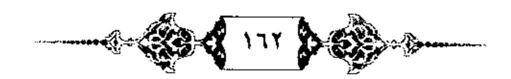
107. **Nicholson R. A.: A Literary History of the arabes, Cambridge, University Press, 2 nd ed., 1930.**

108. **Oleary: arabes thought and its Place in History, New York, 1933.**

109. **Philby, st. j.: Harun AL- Rashid University Press Edinburgh 1933.**

110. **D. Goitein: The origin of the Vezerate and its True character Islamic Culture, Vol. 16. 1942.**

111. **Wellhausen: The arab kingdom and its Fall University Press Calcutta 1927.**



الأخطاء المطبعية

٢	وكتاباً	كتاب
٤	الطقطقي	الطقطقى
٨	الفدامى	القدامى
١٢	**S.D.G**	**S.D.**
١٤ و ٢٣	**Olleary**	**Oleary**
٢٠	سلمية	سليمة
٣٢	العباسيين	العباسيون
٣٧	ثورة	وثورة
٣٩	تفسم	تقسم
٤٦	ملكون	ملكولم
٤٩	نوبهار	النوبهار
٥٠	فزعمون	فيزعمون
٥٠	**P.**	**P.77**
٥٧	من من	من
٦٠	للهجم	للعجم
٧٠	قهتمه	فهمته
٧١	الرامكة	البرامكة
٧٤	جعفراً	جعفر
٧٥	الطقطفى	الطقطقي
٧٩	الفارئ	القارئ
٨٣	**Origen**	**Origin**
٨٨	حعفر	جعفر
١٠٢	الغلوى	الغلوي
١٠٦	جعفر	جعفراً
١٣٨	يحيى خالد	يحيى بن خالد



المحتويات

الإهداء ٧

المقدمة ٩

الفصل الأول: العباسيون والفرس ٢٩

الفرس والدعوة العباسية ٣٣

الشعوبية ٣٦

مبدأ ظهور هذه النزعة ٣٧

الأتجاهات العامة للسياسة العباسية ٤٢

الحركات الثورية الفارسية ٤٨

حركة المقنع ٥٠

الراوندية ٥١

الزندقة ٥٢

العلويون والعباسيون ٥٤

الفصل الثاني: إسلام البرامكة واتصالهم بالعباسيين ٥٩

البرامكة قبل الإسلام ٥٩

معنى كلمة برمك ٦٣

اسلام البرامكة ٦٦

اتصال البرامكة بالعباسيين ٦٨

البرامكة في عهد المنصور ٧١

المهدي والبرامكة ٧٣

البرامكة في عهد الهادي ٧٥
الفصل الثالث: البرامكة في عهد الرشيد ٧٩
يحيى والخيزران ٨١
جعفر البرمكي والرشيد ٩٠
دور جعفر السياسي ٩٥
الفصل الرابع ٩٩
أولاً: سبب سياسي ١٠٨
ثانياً: السبب المالي ١١١
ثالثاً: الأسباب العنصرية ١١٤
رابعاً: السبب النفسي ١١٧
الوشاية ١١٩
مقتل جعفر وحبس البرامكة ١٢١
الفصل الخامس: حياة البرامكة الاجتماعية ١٢٧
كرم البرامكة وضخامة جاههم: ١٣٥
ثقافة البرامكة ١٤٢
ديانة البرامكة ١٤٩
العلويون والبرامكة ١٥٢
المراجع ١٥٧
أولاً: المصادر الأولية: ١٥٧
ثانياً: المصادر الثانوية: ١٦٠
الأخطاء المطبعية ١٦٣